

# صندوق الدمى



لؤلؤ للدراسات والبحوث

شِيرين هَنائي

لجزيرة من الكتب الحصرية ..

جروب **مضيق الكتب**

[FB.com/groups/Book.julce](https://www.facebook.com/groups/Book.julce)

# صندوق الدمي

# صندوق الذمى

بشير هتائي

غلاف: أحمد مراد

إخراج فني: أحمد عاطف مجاهد

التصحيح اللغوي: محمد الكشك

الطبعة الأولى: مايو ٢٠١٢

الطبعة الثانية: نوفمبر ٢٠١٢

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٨٤٢٠

ISBN: 978-977-5153-20-3

٣ شارع إدريس أول شارع الوحدة - إمبابة كورنيش - جيزة

البريد الإلكتروني: rewaq2011@gmail.com

الصفحة الرسمية: facebook.com/Rewaqa.Publishing

محمول: ٠١١٤٧٣٧٩١٨٣

رقم الهاتف: ٣٣١٠٠٩٥١ (٢٠٢)



للشركة

© جميع الحقوق محفوظة للنشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

شِيرين هَنائي

# صندوق الدُمى

رواية

الوراق للنشر والتوزيع

امزيد من الكتب المصرية

جروب نصير الكتب

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

لمزيد من الكتب انضمت

جروب **عشير الكتب**

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

إهداء..

إلى زوجي..

أول من نبهني إلى حقيقة القيد..

المزيد من الكتب الحصرية

جروب **ميسر الكتب**

[FB.com/groups/Book.julce](https://www.facebook.com/groups/Book.julce)

لقد أضعنا أعمارنا في مقدمات بلا نتائج.. بينما استثمرنا  
هم أعمارهم في نتائج بلا مقدمات..



لمزيد من الكتب انضمت

جروب **نصير الكتب**

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

لجزيد من الكتب العربية ..

جروب **مميز الكتب**

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

## مذكرات..

لمزيد من الكتب المصورة

جروب **قصير انفس**

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

اقلع غمناك باتور وارفض تلع..  
اكسر تروس الساقية واشتم وتف..  
قال: بس خطوة كمان.. وخطوة كمان..  
يا اوصل نهاية السكة.. يا البير تجف..  
صلاح جاہین

لمزيد من الكتب العربية

جروب مصر الكتب

[FB.com/groups/Book.juice](https://www.facebook.com/groups/Book.juice)

لمزيد من الكتب المصورة

جروب **عصر الكتب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

من يوميات متفرقة كتبها رنا مهنى إلى ابنها أسير في  
الفترة من مارس ٢٠٠٩ إلى إبريل ٢٠١٠.

٢٨ مارس ٢٠١٩

ابني/التي الحبيبة:

ليت اختبار الحمل ينبيء إن كنت صبيًا أم فتاة! نعم! أنا حامل بعد كل ثلاث  
السنوات!

انقضت أعوام - أي بني - مححورت كلها حولك. في البداية، انتظار شهري  
لأي علامة تطمئن قلبي المتهلّف إلى الأمومة.. ثم لا شيء.. ثم شهور مشكلة في  
عقلي قطارًا من السنوات التي لا ترقف ولا تبالى بشوقي إليك.. أصارك  
يا بني - سأفترض جدلاً أنك صبي - أن حلم الأمومة قد تلاشى من عقلي  
تمامًا وأنا أخطو إلى عامي السادس من الزواج دون أن يجدي أي علاج أو  
عمليات في أن يجسد جزء مني في طفل صغير أعلق عليه كل آمالي وأحلامي  
التي شاخت في داخلي أولاً، ثم في زوجي ثانيًا.. أعني.. أباك.  
لقد قررت اليوم - وهو أسعد يوم في حياتي - أن أكتب إليك لحظة بلحظة،  
موثقة كل دقيقة تنمو فيها بداخلي؛ لعلك تقرأ هذا يومًا فيكون عندك تاريخًا  
لم يذكر لأي طفل آخر سواك عنه شيئًا..

لم أخبر أباك بعد بالخبر، لكنني أعلم رد فعله المحيّب للآمال من الآن. إنه لم  
يهتم لحظة بوجودك أو بعدمه، لا أقصد بهذا أن أسيء إليه أمامك؛ فهو كمعظم  
الرجال، لا تنمو داخلهم الأبرة إلا بعد الإنجاب بفترة - هذا إن نمت أساسًا  
- لكنني - وأتمنى أن تقرأ تلك الكلمات في سن مناسبة لفهم ما أعنيه - قد  
تعلمت أن أحتفظ بمشاعري وأفكاري بعيدًا عنه.

هو كذلك قد أصبح رجلًا غريبًا عني، يجمعني به الفراش رغم إرادته في أيام  
أحسبها بدلة فقط على أمل أن يمنح لي ما يعرضني عن ستة أعوام لم أجده فيه  
ما تصورت أني سأجده.. لم أجده فيه أبدًا يعرضني عما أفتقد، وهو يعلم مدى

انتقادي له. لم أجد فيه أبًا أدنى رأسي في صدره وأبكي وأعزم أنه يحبني حتى إن لم يكن ثمة خطر فعلي لم أجد على الأقل روحًا فلم تكن هناك مودة ولا رحمة ولا أي تعامل من أي نوع، فقد كان يحصل على متعة - النفسية والحسدية - بطرقه الخاصة، والتي كان يعلم أنني أعرفها ولم يبال حتى بإحقاتها.

أستادك يا بني.. فقد استيقظ أبوك، وعليّ أن أعد له الإفطار..

\*\*\*\*\*

٢ مايو ٢٠٠٩

ابني الحبيب:

من الغريب حقًا أنني لا أشعر بشيء غريب عظمي.. لا شيء صباحي ولا غشيان ولا أي شيء! كما أخبرتك أول أمس فقد ذهبت إلى الطيبة - مع منال صديقتي - وطمانتي أن كل شيء كما يجب أن يكون. لقد أمضيت الشهر الماضي - كما تعلم - أحلم بكرايمس كلها عن كوني لست حاملًا، وهو تبرير من عقلي الباطن لعدم ظهور أعراض حمل كباقي النساء علي.

دعني أصارحك أنني أتمنى أن تكون فتاة.. دمية صغيرة ألعب بها وأغمر لها ملابسها وأصنف شعرها! فإذا كثرت صارت صديقتي وأحني وسندي..

أعشق الفتيات الصغيرات وأعشق صوتهن (المسرّع) وجدائلهن المزدانة بالشرائط الملونة، ترفرف خلفهن حين يجرين كرايات الحوريات الحمريرة..

لكي مستعدة تمامًا لتقبل كونك صبيًا! سأجد متعة أكيدة في التنظيف ورائك، وتضميد ركبلك المجروحة من لعب الكرة، وحياسة سراويلك الممزقة من فرط اللعب و(العفرتة)! ولن أجد أبدًا غضاظة في الرد على مكالمات الفتيات



ورسائل المدحجات إن صرت وسيما كأبيك - وهو شيء لا أتمناه بمصدق -  
ذكيا مثقف كما أتمنى لك أن تكون ..

ابق سالما من أجلي حتى مرعد في نوفمبر

\*\*\*\*\*

١٨ يولية ٢٠٠٩

لقد بدأ التعب! متأجرا نعم، لكنه بدأ! لكن كل الهمم والإعياء والعصبية  
نسيتها عندما أخبرني الطيبة أنك فتاة!  
ابتني الحبيبة سليمة وقد بدأت في اتخاذ الشكل الأدمي! شهر قليلة وتمكين  
الدنيا صراخا وضجيجا!

أقضي وقتي بين تعلم أصول التربية مستعدة إلى ما أرساه القرآن الكريم من  
قواعد، وبين ترجمة سحابة جدا لكتاب دكتور سيوك الأمريكي، أحاول أن  
أستفيد منه ما يلائم مجتمعا ودينا.

في المساء أتحدث إليك قسما.. أغني لك.. أضع المذياع بقرب بطني؛ لأدعك  
تستمعين إلى صوت الشيخ محمد رفعت الذي يذكرني برمضان ويطفولني  
البعيدة.

الجو الحار يجثم على أنفاسي، وصيق في صدري يبدأ كلما سمعت صوت مفتاح  
أبيك يدور في باب الشقة، ثم مساء الخير المدعمة بصوته الأنفي العميق.. هذا  
كل ما أسمع عادة من صوته.. صباح الخير، مساء الخير، شكرا.. أساسيات  
اللغة العربية كما تعلمونها للأجانب في المستوى الأول..

المشكلة يا دينا- وهو اسم قررت أن أسميك به إلى أن أراك، دينا زهر! فلربما  
لا يليق بك الاسم قبل شيء - أتمنى أحيانا أن يتشاجر معي والدك. أن يتصرف

و يتعامل حتى لو بشكل سيئ.. إنه لا يرفض أي طلبات مادية لي، لكنه في الوقت ذاته لا يهتم بأن يفكر فيما احتاجه من تلقاء نفسه.. لا يجرح مشاعري بشكل مباشر، لكنه كذلك لا يهتم بإحفاء ما قد يجرحها.. هل تفهمين ما أعيد؟

لن أنكر يا حبيبتي الصغيرة أنني أحس أباك ذلك الحب الواهن (على شعرة) كما كانت تصفه مال صديقتي.. كنت أحب حالة الحب ذاتها.. أحب سيارته، ومضارته الشمسية، وأسلوبه الأنيق الأنفي في الكلام.. أحب أن يراني الناس بجواره ويحسدوني.. أحببت أن تكون لي حياة مستقرة ماديًا وعاطفيًا - كما كنت أتصور وقتها - وأن يكون لي قبل كل شيء أطماع.. لا أتصور هدفًا آخر للروح سوى ذلك، ولا أنحيل نفسي إلا بحاطة بدنة أطفال تراوح أشكالهم بين الطويل الرسيم أسود الشعر مثل أبيه، والنحيل ذي الشعر البني المشعث والحسنة الصخمة على جانب ذقنه مثلي!

لم أبل من أحلامي طيلة الأعوام الفاتئة إلا استقرازا ماديًا فقط، إلى أن أراد الله أن يهديك إلي!

دينا، لا أريد أن أعطي إعطاعًا سيئًا لك عن أبيك، لكن بعد كل تلك الأعوام اعتقد أننا لم نكن موفقين في اختيار كل ما الآخر.. لكن، هل نستمر سويا من أجلك؟ لا أدري..

\*\*\*\*\*

٣٠ يونيو ٢٠٠٩

أحتاج إلى زين بشدة هذه الأيام.. أحتاج إلى ما تصورت أنه قادر على أن يعطيني لي..

أشعر برحلة شديدة، ولا أستطيع أن أسطر على صنبور الدموع المثقوب

الجلدة في عيني.

أشاهد مسرحية كوميدية وأحد نفسي أضحك بشدة، ثم أبكي حين أدرك أنه لا أحد يشاركني ضحكاتي، ثم أبكي أكثر حين أدرك أنني أبكي وحدي ولن يابيه أحد ليكاثني أو حتى موتي..

أذكر موتي فأرثي لنفسي، ثم أتذكرك.. أهدأ وأفتح كتاب قصص كلية ودسة وأقرأ لك.. أداعب الشعر الأصفر لدميتي الصغيرة، وتتحيل أناقلي أن هذا هو شعرك أنت..

يدق جرس الباب حينها، فأعلق الكتاب، وأبص منسائلة عن عشاء يأتي الآن.

أسمع صوت ضجيج أطفال على الباب.. أفتح فأجدنا منال وأولادها وزوجها!

أخبرني قليلاً وراء الباب، وأمد يدي (عمياني) وأسحب منال من يدي ضاحكة مرحبة، واستأذنها أن تدعو زوجها للدخول ريثما أرتدي حجابي.

بالضجة المحيية التي يثيرها أولئك الأطفال! تدخل مريم وريم حجرة نومي صاحكتين، وتجذبان أطراف الإسدال الذي أرتديه في شقارة واضحة! أرش على ملابسهما من عطري الذي يحبانه، فتهرولان في سعادة إلى والدتهما المولي ظهره لنا في الشرفة في انتظار أن أدعوه إلى الدخول.

يسأل رشدي - زوج منال - عن رين في حرج فأخبره أنه سيعود خلال ساعة على الأكثر، فيسحب كرسيًا من السفرة ويضعه في الشرفة باسمًا ويجلس عليه..

- أترككما على راحتكما، وانتظر أن رين في الشرفة..

أحكى لي ما حدث في الفترة السابقة ونحن نعدّ الشاي في المطبخ، كعهدنا  
تحاول أن تعطيني أن كل شيء سيصلح - بمعجزة 11٩ - بعد الإثحاب، وأن  
الأبوة ستعزّ زين حتمًا، وسيشعر بالمسؤولية تجاه طفتة.

لم أكن أكثرث فعلًا لما كانت تقوله؛ فالحكى عادة نسائية لا ينبغي من ورائها  
شيًا إلا الثرثرة فقط، كان اهتمامي منصبًا على ما كنت أراه في الثرثرة الآن.  
كانت ريم تقول شيئًا ما لأبيها والإخير ينهرها بشدة، حتى تنامت إلى مسامعي  
بضع كلمات عن طلباتها التي لا تنتهي والدلع الرائد..

تجري العناية إلى أختها الكبرى مريم وتحتضنها، تضع مريم كمها الصغيرة عليها..  
حتى الآن الوضع طبيعي.. فتاة تشفق على أختها الصغرى.. منتهى الحنان!  
لكن ما رأيته عياني كان مرعبًا بحق يا ابنتي العزيزة؛ فعلى وجه ريم الباكية  
كنت أرى وجهًا آخر لريم ذاتها لكنه شفاف.. وجه مزرق أحمر، العين  
ككرتي نار، يلبسه حزن عميق لم أر مثله قط، ومن خصلات شعرها يتطاير  
شرر رفيع أخضر في اتجاه أبيها. شرر يتزايد مع بكائها.

الأغرب هو أن مريم، ذات التعبير الملائكي على وجهها، والشفقة التي تطلّ  
من عينيها بينما ترثت على أختها يدها البيضاء الصغيرة، كنت أرى مريم  
أخرى شفافة فوق جسدتها، تخلص كفها الحسراء ذات الأظافر جلد أختها  
الصغيرة الذي تسيل منه الدماء إلى أعلى في عكس اتجاه الجاذبية فلا يلوّث شيئًا  
إلا كف أختها، وعلى وجه مريم الشفاف ابتسامة خيثة شامخة!!  
لا أتبه إلى شرودي إلا وبخار الغلاية الكهربائية يلسع وجهي، وصوت (طك)  
المميز لإتمام غليان الماء بها.

فركت عيني وأعدت النظر إلى الفتاتين مرة أخرى.. أرى المشهد نفسه، بينما  
تقف سال الآن خلف ريم وتحتضنها ولا أرى على الأم أي تغير يُذكر، لكنني

أرى مريم بتعير لونها إلى الأزرق، وتتطاير شررات من شعرها في اتجاه أسها  
برعم أن وجهها - المرئي للجميع - لا يرال تعلوه الشفقة!

تدريجياً، ومع هدوء الجميع عاد كل شيء إلى أصله، وانصت الاهتمام علي إذ  
سقطت فاقدة الوعي!

ديا، أكتب إليك بعد أن رحل الجميع، أبوك عافٍ بجايي الآن ولا يعلم عما  
حدث شيئاً.

أحكي لك أنت فانا أعلم أنك لن تنعيني بالجسور، لكنني متأكدة من أنني  
رأيت ما حكيته لك.

ربما تبدو الأوهام حقيقية إلى هذا الحد، لن أعرف أبداً.. أئني ألا يتكرر ما  
رأته مرة أخرى، فإن صحَّ هذا فمعناه أن الأبطال ليسوا بهذه البراعة إذن! إن  
مريم تغار من ريم، وربما تدبر الوقائع بينها وبين أبيها، والأدهى أنها تتظاهر  
بالعكس تماماً في براعة مقلقة..!!

إن مريم في الثامنة، ولم أكن أظن أن الأطفال يحسن أن تكون لديهم كل تلك  
المشاعر السوداء. لقد رأيت بعيني ذلك الشر الذي صدر عنهما تجاه من  
يغضبنه. إن الشر الصادر من ريم أجد له ما يبرره إلى حد ما، أما مريم فقد  
كانت مستبعدة من احتضان منال لريم.. هي حقاً لم تُرد لأختها أن تهدأ أو تل  
أي اهتمام..

حبيتي، أنا متعبة من كل تلك المشاعر المتضاربة، وأريد أن أنام قليلاً لعلي  
أهدأ...

تصبحين علي خير يا أميرتي..



٢٢ يولية ٢٠٠٩

أخبرتكم منذ ما يقرب من شهر عن زيارتي للطبية وطمأنتها إياي عليك  
والآن عدت من زيارة أخرى لها تأخرت عدة أسابيع.  
لم أشأ أن أحيركم في المرة الماضية عن ذلك الطفل الذي رأيته في العيادة، فقد  
رأيته لحظات فقط بينما كانت منال في دورة المياه، وقد طنت أنني تخيلت  
وجوده.

كان طفلاً في حوالي السابعة أو الثامنة، أزرق اللون، متصلب الجلد كأنه  
رخام. كان يقف بحائبي، وقد أدركت وجوده فجأة من صوت يخرج من  
أنفه كأنه يجاهد كي يتنفس!

ما أثار دعري حتى كدت أبلل ثيابي هو أن فمه كان محاطاً بخيط أسود والدم  
الجاف يكسو أماكن ثقب الحياطة! عيناها بيضاوان تماماً وإن كنت أشعر أنه  
يحدق في. أما أذناه فقد سدّتا بقطعتي صلصال حضاروان أو هكذا حيل إلي.

لم يفعل الطفل شيئاً سوى أنه دار على السيدات الجالسات، يتلمس بطونهن  
دون اهتمام. لمس بطني بسرعة ثم جرى مبتعداً عبر الحائط ظللت أرتجف  
لمدة نصف ساعة على الأقل ولم أخبر أحداً عما رأيته. لكسي سألت طبيتي  
عن ما إذا كان من الممكن أن ترى الحامل بعض الأشياء غير الحقيقية، فأخبرتني  
أن ذلك ربما يحدث تحت ضغط الهرمونات والقلق وما إلى ذلك، لكنني لم  
أخبرها بأية تفاصيل.

اليوم يا فتاتي الصغيرة وجدته مرة أخرى في العيادة، وهو ما كان من أسباب  
تأخري في مواعيد متابعتي مع طبيتي. لقد كنت أحشى أن أراه مرة أخرى.  
كان يحشي ببطء ويجرب العيادة ناظراً إلى بطون السيدات المترامحات على  
طول حوائط حجرة الانتظار.

لم يلمس بطن أي مهن مرة أخرى، كما لم تره أيهن أو تشعر به.

توقف عدي لحظة ثم جرى مختفياً! لقد صار هذا لا يطاق! من الصعب في هذه المرحلة أن أغير طبيعتي وقد تابعت معي حملي من البداية، من الصعب أيضاً ألا أذهب إليها دورياً؛ فانا أهتم حقاً بسلامتك، وأحب أن أعلم كافة المستجدات عنك، هذا بالإضافة إلى متعتي الخاصة الصغيرة برؤيتك على جهاز المرحلات الصوتية!

أخشى عليك من تلك اللمسة التي لمسها لبطي إن كان حقيقياً، لا أدري كذلك إن كانت بعض النساء الأحربات يرين أشياء غريبة كالتي رأيتها من يوم أن لمسني ذلك الطفل.

هل كانت لمسته مشبهة بشكل ما فيما رأيته على مريم وريم؟ أم أن ذلك كله كان جزءاً من هلاوس حملي؟ ولم لا أرى شيئاً على الكبار؟ إن هلاوسني خاصة بالأطعمال إذن! هذا ما يرجح أن تكون فعلاً مجرد هلاوس بسبب قنني عليك وتفكيري المستمر في أفضل سبل لرعايتك وحمايتك..

الآن أضحك إلي في أحشائي، وأغضض عيني على صوت ماجة الرومي تهلله ابتها..

.... وفي غدٍ متكبرين، وتعرفين في الشجون..

وفي غدٍ ستمشقين، عينين من دون العيون..

نامي.. يا حلوتي الصغيرة، نامي..

أنتِ غداً.. امرأة.....



## ٢ أغسطس ٢٠٠٩

لقد تحلى زين عني.. أعني أنه قد اتخذ خطوة فعلية تأكدت منها اليوم..  
لن أحدثك بتفاصيل تؤثر على رؤيتك له مستقبلاً؛ فهو في النهاية أبوك، وإن  
لم يكن زوجاً مثالياً فمن أسرق فرصته في أن يكون أباً جيداً أبداً. لكن حبيتي،  
اعفري لي.. لا أستطيع الاستمرار كروجة له وقد علمت - وتأكدت - من  
علاقته شبه الرسمية، والتي يعلم عنها الجميع سواي، بفتاة تعمل في شركته..  
اسمها إيباس زكريا.. نعم، هي جميلة.. بمقاييس الرجال والنساء هي جميلة..  
ذكية كما سمعت عنها من أخيه وهو يرد على اتهاماتي لزين.. كان يقول لي  
إن الرجل كقطعة من الصابون المبلل.. إن لم تقصي عليه بكلتا كفيك، انزلق  
بعيداً، وإن قبضت عليه بقوة انزلق أيضاً وإيباس مملك ذكاء ليس لدي، وقدرة  
على الاحتفاظ بصابونتها بشكل أفضل!

يرى عمك أنس أنني تركت زين يفلت من قبضتي وأنا أحرم حوله كذباية لا  
تكف عن طلب الذرية، وكأن وجوده لا يكفيني أو يساعدنني على الصبر ريثما  
يكسب لنا الله الإنجاب..

يقول عمك أنس إن علاقتي الحميمة به - أياك أعني - كانت تفوح منها  
رائحة الراجب والشر الذي لا بد منه لإنجاب الأطفال! يقول إنه لم يشعر  
لحظة أنني استمتع بقربي منه قدر حرصني على أن أعجل بنهاية لقائي معه  
كي أحصل على ما أستطيع أن أصنع منه الأطفال! وهي المتعة نفسها التي ربما  
يلاقونها مع عاهرة تتعجل إنهاء اللقاء حتى تحصل على مالها!

كان أنس يربحه لي اتهامات يحارل أن يجعلها على هيئة نصائح كي لا يجرح  
مشاعري، لكن أي نصائح تلك بعد هزات الأوان؟ إن كان يريد نصحاً لكان  
قد حدثني من البداية ومع تدهور حالها، لكن يبدو أن عائلته لم ترل ترى في



اهنة الموظف البسيط التي اقتضت انهم رابعة في أمواله وفي (المظرة) كما سمعتها مرة من أخته...!!

الحق يا طعني لم أعد أدري.. هل أهملته لأنه أهملني، أم هو الذي أهملني لأنني أهملته؟! لم أعد أذكر، لكنني لن أدخل بك أكثر في دوامات الصراع تلك؛ فقد قررت أن أهني كل شيء قبل أن تولدي حتى.. أريد أن أترك لك مساحة الحكم على الأب لا على الزوج الذي لن يعينك في شيء.. سأطلب الطلاق في أقرب وقت.. وليرشدني الله إلى ما فيه الخير لك..

\*\*\*\*\*

### ٣. أغسطس ٢٠٠٩

لا أعلم ما يحدث لي.. أعقد أنني.. أنني ألد!!!

\*\*\*\*\*

### ١٦ سبتمبر ٢٠٠٩

يا إلهي! لقد كانت طبييتي حقا، وصاحت بعد أن أخرجتك إلى الدنيا في المستشفى وهي تعطيك لي مغطى بالدم عاريا:

— ولد يا رنا! ولدا ضحك علينا هاهاهاها!!

وأتاولك بين كفي لاهنة، غير مصدقة لتلك المعجزة الصغيرة! والآن يا طفلي العزيز وقد بلغت من العمر أسبوعين كاملين، أوصل الكتابة إليك بعد انقطاع وأعتذر عن كتابتي لك قبلاً على أنك دها! تعلم أنك الآن أعز شيء إلى قلبي وأنت تغفو بجانبتي..

لقد أسميتك أسرا! فقد أسرني من أول نظرة إلى وجهك الجميل.. فملك وجه

أيك - كما كنت أحشى لكن بالنسبة إلي فإن روحك هي ما ساكرس له حياتي؛ لتكون - عشيئة الله - أبصل الناس وأذكاهم، وليس مجرد شاب آخر ممن يُتَجَوَّن بالآلاف ولا يساوون أكثر من ثمن ملابسهم.

لتكون رجلي من الآن فصاعداً، فحين أضمتك إلي أشعر بحنان منك علي يهوق حاني أنا نفسي عليك! وكأنيك أبي!

طلبت مني طبييتي أن تراك حين أنعاني؛ لأنها تشك في وجود عيب ما في أعصائك الخاصة، لذا كانت تظن أنك فتاة، لكنني أراك مكتملاً ولا عيب فيك.. لا توجد في حياتي نسوة كبار أنت فيهن إلا حمايتي وعمتك، ولكني لا أريد أن أستمثيرهما في شيء، جاءت مال فقالت لي إنها لا تدري عن أعضاء الأطفال الذكور شيئاً؛ فهي لم تجب إلا إناثاً!

سأذهب بك إلى الطيبة في أقرب فرصة، إلا أنني أخشى الذهاب إلى عيادتها فتعاودي الروي الغريبة التي انقطعت منذ ولادتك حينها سأؤكد من كونها ليست هلاوس حمل، وهو شيء لا أحب التأكيد منه!

لم أر الطفل الأزرق إلا تلكما المراتين اللتين ذكرتهما لك، بينما تكرر ما رأيته على ابتي منال عدة مرات على فتيات مختلفات لا أعرفهن، إلا أنني سعيدة أن كل شيء توقف الآن..

سأنام الآن وأنت بين ذراعتي، تملأ علي حياتي..  
نم يا حبيبي.. إنها ليلة أخرى تمر حتى أراك رجلاً..

\*\*\*\*\*

أشعر مظماً شديد وقد تبقى حتى موعد الإفطار أكثر من ساعتين، إنه أول رمضان تقضيه معي يا صغيري، ولعله ليس الأخير إن شاء الله..

لقد جهز لك والدك أروع غرفة أطفال على الإطلاق! مكسوة من الحائط للحائط بموكيت أزرق اللون ناعم كصفحة الماء.. تزدان حوائطها بورق حائط يمثل سحباً وطيوراً كرتونية وبحراً ممتداً، يسما سقف الغرفة كحلي اللون مرصع بنجوم نضية في الظلام!

لديك الآن كل شخصيات الرسوم المتحركة على رف علوي.. لديك سرير على هيئة سفينة فراصة ضخمة بأشرعتها وأعلامها تكاد تكون حقيقية لولا الملائة والوسائد..

حملتك ودلفت إليها بعد أن فتحتها زين بعدما تسلمها من مهندس الديكور، وقد كانت معلقة تماماً ومحرماً عليّ دخولها لمدة أسبوعين.. كنت أتساءل - مع صوت الضوضاء والدق بالداخل - عما إذا كان زين ينقب عن الآثار فيها، خصوصاً مع تعليماته المشددة بعدم دخول الحجرة ريثما ينتهي منها.. انتهى البواب من جمع ما تبقى من آثار العمال وانصرف، وهو شاب (جدع) ساعد العمال في حمل قطع الأثاث إلى الغرفة ولم يتقاض شيئاً. تقدمني والدك وأعضاء الغرفة وابتسم لي..

- ها! ما رأيك؟!

لم أدر ما هي الكلمات لوصف تلك الروعة! يبدو أن زين سيكون أبا جيداً رغم كل شيء!

اختلفت معادتي من أجلك مع شعور مخيف بجدوى تلك الحجرة مع

احتمالية أن أترك ذلك المنزل بعد الطلاق.. كنت أتساءل ما إذا كان أبوك يذكر طلبي بالانفصال عنه أم يتجاهله عامداً؟!

أخذ يطفئ السور ويضيئه في بلاهة وهو يستعرض لي كيف أن النجوم في سماء الغرفة تصيء كما لو أن الصغير يبحر فعلاً في المحيط بسفينة قراصنة! ثم يصعق زراً مفصلاً ليصيء فأورساً رمضانياً نحاسياً تلالاً أبراراً المدونة في الغرفة..

لم تدرك أنت وقتها أي شيء من هذا، ولكني كنت حائرة..

— آ.. زبي.. إن الحجرة رائعة فعلاً، وإن أسر المحظوظ لامتلاكه حجرة كهذه. لكن.. لم ترد علي بخصوص طلبي..

فردت ومارالت الابتسامة الطفولية على وجهه وهو يتأكد من تثبيت رف ما — طلب ماذا؟!

— ال.. الطلاق..!

بلنفت إلي وتخفت الابتسامة عن وجهه تدريجياً ومارالت ذراعه معلقة في الهواء..

— طلاق؟ تقولين طلاق؟ هه؟ الآن؟! رنا.. حبيبي.. ألم يعلموك في منزل أهلك أن تتقي الأوقات المناسبة (للكد)؟ إن هذا شأنك طوال ست سنوات لعينة.. تتقين براعة أوقات سعادتي واحتفالاتي لتذكركني أنني حقير ولا أستاهل لحظة سعادة واحدة! بعدها تشكين أنني لا أتحدث إليك ولا أكثر لأمرك..

ويترك الحجرة ملقطة مفاتيح السيارة ومظارته الشمسية من على السفرة ويفتح الباب..

— تريدني طلاقاً إذن.. حسناً.. أنت طالق يا رنا..

وأقف ذاهلة يا بني بينما تبكي أنت وكأنك تشعر بي ..

لقد انتهى كل شيء .. كنت أتوقع المزيد من المراوغة أو .. لا أعلم . نهاية  
درامية أكثر من اللازم ..

أجلس معك في سريرك الأسطوري وأهددك حتى تنام .. أحرق في السقف  
ولست لدي رغبة في البكاء ..

يبحث الفانوس بالوان مبهجة على الحائط ولكنها لا تشعرني بأي بهجة ..  
من بعيد أسمع صوت صلاة التراويح فيطمئن قلبي قليلاً .. إن الله سظل  
معاً ..

أتخيل أن السفينة تبحر يا بعيداً .. ربما عبر النيل إلى الشمال .. لا أريد أن  
أرى شيئاً من حياتي الماضية .. ليتني أستطيع البدء من جديد معك .. معك  
وحدك ..

\*\*\*\*\*

٢٨ سبتمبر ٢٠٠٩

رغم ما حكته لك في مذكراتي الأيام الماضية من عدم إخباري أحداً - حتى  
أهلي - بموضوع طلاقتي، إلا أنني ما زلت لا أشعر براحة في تلك الشقة ..  
لم يأت والدك من يوم طلاقنا ولم يتصل .. أتى عمك أنس قليلاً وأعطاني نقوداً  
لمصاريف العيد وما إلى ذلك. لم أقبلها فأنصرف مخرجاً ..

كانت منال تتصل بي من بيتها في الإسكندرية؛ فقد تم نقل زوجها إلى فرع  
عمله هناك .. كنت أشتاق إليها وأود أيضاً أن أحكي لها، لكنني كنت أجب  
في آخر لحظة ..

كنت أتصل بابي يوميًا وأتحدث في كل مرة يسأل فيها عن زين.. كان أبي مريضًا لكنني لم أجزؤ على الذهاب إليه؛ فظرة واحدة منه إلى وجهي مستبته بكل شيء.. وربما تتدهور حالته أيضًا..  
إن عمتي تعتني به جيدًا وهذا يجعلني مطمئنة إلى حد كبير.

\*\*\*\*\*

٨ أكتوبر ٢٠٠٩

وعندني عمك اليوم بأني سأحصل على مستندات طلاق في أقرب فرصة، وعرفت أن من حقني المكوث في شقة الزوجية طيلة فترة حصاتي لك .  
بعدها - كما أخبرني أنس - سيطلب زين ضمك لحضاته .

هل تفهم ما يعنيه ذلك يا بني؟ أن يأخذك معي رغم انتظاري لك كل تلك الأعمار.. أن يتزعزع الأمل من حياتي وكل ما أحيا من أجله..  
يعني أن ما تبقى لي معك هو سنوات قليلة.. هل هذا عدل؟

ماذا أفعل الآن؟ أبكي وأنا أراك متشبهاً بشدي بيدك الاعمدة الوردية، وظرة مطمئنة في عينيك.. أكاد أسمعك تهمس لي.. "كن أتركك يا أمي.. سأظل بجانبك للأبد"، أصدقك وكأنني أسمع نبوءة من أمهر عرافي العالم.. لكن لا بد من أن أفعل شيئاً..

\*\*\*\*\*

١١ أكتوبر ٢٠٠٩

لقد حكيت لحال كل شيء.. ظلت تحوّل طيلة نصف ساعة على الهاتف ثم بكيت قليلاً، وبعد أن هدأت طلت مني أن أفكر بهدوء وأتأمل؛ فقد أخبرتها

أنتي انتويت الهرب بك إلى أي مكان.. قالت لي إنه قادر على العثور عليّ، بل وإقامة دعوى قضائية صدي.. لا يستطيع المرء الاختفاء بهذه السهولة..  
لكنني يا بني كنت مصحمة! قلن بأخذك مني إلا الموت - موتي أنا! فأنا لا أستطيع حتى التفكير في موتك - ولن يصل إلي إذا أحدث الاحتباء.. لكن من أين لي المال للسفر أو البحث عن شقة حتى أجد وطيفة ما؟  
أفكر وأنا أطعمك، ثم أتحدث إليك عن همومي، فيدور عليك الإبهات، ثم تضحك! تضحك مسفهاً كل عوارص الدنيا.. وما لتلك البلبا إلا أن تهون أمام وجهك الصبور!  
أحبك اليوم أكثر من أمس، وسأحبك غداً ضعفي اليوم.. هل تذكر كم سأحبك حتى يوم عيد ميلادك الأول! 111!  
وتضحك ثانية كأنك حسبتها



٤ نوفمبر ٢٠٠٩

ملاً شوارع القاهرة الورد الحمراء والقلوب.. بينما يتراص العشاقون على ضفاف النيل مشايكي الأيدي..  
وبينما تدوي أصوات الأغاني من كل مكان، أركب سيارة عصي المتهاكمة، منشحة بالسواد.. مشبعة أبي إلى مشواه الأخير.  
أحملك يا حبيبي على كتفي وقد صمت محاماً فلم تيك أو تطلب طعاماً طوال اليوم.. من حين آخر أشعر بذراعيك الصغيرتين تصماني بشدة فتعصر الأم مني، وتطمئني أنه لا يزال لي ظهر في هذه الدنيا..  
بعد صلاة الجسرة وجدت زين يرتدي حذاءه على بوابة الجامع ثم يرتدي

نظارتها السوداء ويتجه إلى معرباً.. أشعر بوهن شديد يا بني، ولا أخفيك أسي وددت لو أرميت بين ذراعيه . أعلم أن شعوري هذا خاطئ، وأني لا أحتاجه هو شخصياً ولكنني أحتاج تلك الصورة التي طالما تخيلتها عنه..

— ماذا ستفعلين بعد الجسارة؟

— لا شيء.. سأذهب إلى المنزل.. ربما تأتي معزيات ليلاً كما تعلم..

وظل زهن في المقابر حتى انتهينا من الدفن، ظل واقفاً على بعد يرقبنا بعد أن طلب مني أن أحملك قليلاً لكنني أبيت. اعذربي يا بني، ففكرة استيلائه عليك لا تفارق ذهني من الآن..

عرض عليّ أن يوصلني إلى المنزل فوافقت؛ فانهيار عصتي كان يضغط على أعصابي، ولم أكن قادرة على منحها المراساة؛ فأنا بحاجة إلى من يواسيني.. لم يفتح أبوك فمه طيلة الطريق، ولكنه كان ينظر إليك مداعباً من حين لآخر حتى وصلنا..

لدهشتي صعد أبوك معنا حتى مدخل الشقة، ثم وقفنا لحظات هدت كأيها الدهر تبادل نظرات، أكذب إن قلت إنني أفهمها..

لم أدر كيف دخل إلى الشقة، ولا كيف وجدتني أجلس معه نحتسي الشاي على الكاوتر العالي في المطبخ بينما تغفر أنت في عربة الأطفال يساً..

— تعازي لك..

— الحمد لله على كل شيء..

— ألا تحتاجين شيئاً؟ هل يصلك المال مع أنس؟

— نعم يصلني.. وإن كنت لا أعلم لم لا تأتي وترى ابنك كأي أب و.. معدرة..



غريزة (الكذب) مازالت تسيطر عليّ.. يبدو أنك ارتحت منها العترة الماضية..  
اهتم ودفن وجهه في قدح الشاي.. من مكان ما في الشارع تبعث أغنية  
برايان آدامز "عندما تحب امرأة".. صوته المشرع الخاني يداعب أذني..  
يذكرني بشكل ما بصوت أليك..

"عندما تحب امرأة..

حاول فهمها...

حاول سر أغوارها..

تسمع كل فكرة من أفكارها..

وترى كل حلم من أحلامها..

لنحبها أجمدة إن أرادت الطيران..

وعندما تجد نفسك بلا إرادة بين ذراعيها آتياً..

تعرف حينها أنك أحبت تلك المرأة...."

آه يا بني من ذكريات تلك الأغنية.. يرفع زين عينيه عن قلدحه ويظهر نحوي..  
أكاد أرى دموعاً في عينيه، لكنه أبداً لا يدعها تظهر..

هل أحبت هذا الرجل فعلاً أم أنني أحبت الحالة نفسها؟ بما فيها تلك الأغنية.

هل اشتاق إليه فعلاً أم هو الضعف الناتج من فقدان أي ومن كل ذلك الحب

المتبعث في الهواء من حولي في عيد الحب..؟

أخبرتني يا بني في الأيام السابقة كم كنت أشعر بالخواء من دونه.. عندما

كنت أرى ملايسه التي لم يأخذها في الدولاب، ورائحة جسده الملتصقة بتلك

الملايسه، أشعر بالحنين إلى شيء ما..

فرشاة أسنانه الجافة تحك ذاكرتي وتكشط الصدا عن سة أعوام قضيتها مع

الرجل نفسه.. هل فعلاً أنا من تركته ينزلق من يدي..؟؟

"علما تحب امرأة.."

آخرها ایها محبوبک..

أخبرها بما تحب سماعه .

وعندما نحتاجك، أحبرها أنك ستكون معنا أبدًا .

أحبرها أنك لم تحب قط من قبلها امرأة. "

كنت أبكي، حليط من الوحشة والشعور بالذنب لإهمالي أبي خلال الفترة الماضية.. لقد أهملت وأهملت ربي لأبائي . وهل الأمور انانية؟

برکت زیر علی کافی.. ہرل عن کرسہ العالی و یقرب منی.. یحشني..

[illegible]

"عندما تحب امرأة.."

وتدعها تخضعك..

عندما تعلم أنها بحاجة للمبتك...

نفسها.. تلوثها..

اشعر بها فی دمک...

عندما ترى أولادك الدين لم يولدوا بعد في عيها..

إذن، فانت تحب تلك المرأة...

ولتفهم يا بني وحدك ما حدث بعدها، لكسي لم أشعر قط من قبل بما شعرته تلك الليلة...

◆◆◆◆◆

## ٥ نوفمبر ٢٠١٩

أجلس الآن بعد انصراف المعربات لأكتب إليك..

لقد تطورت العلاقة بيني وبينك إلى صداقة لا شك فيها أكتب لك كل ما يمر  
بني، حتى وإن كان غير لائق أن يعلم الآب ما يدور بين أبيه وأمه بهذه الدقة..  
لكنني أحتاج بشدة إلى أن أحكي لك ما حدث أمس، ارتدى رين ملابس  
وحلس على طرف السرير بدخ، هو لم يدخن من قبل في حجرة النوم..

- إذن؟

- إذن ماذا يا رنا؟

- لقد كان ما حدث خطأ فادحاً...

- أي خطأ؟ مارلت في شهور العدة.. أنت روحتي..

- زوجتك؟ أعني.. لقد رددتني في لحظة ضعف وأنا..

ويطفي سيجارته التي لم يدخن إلا نصفها ويصعد بجوارى إلى السرير..  
- رنا.. لم تكن لحظة ضعف بالسبب لي، لقد كنت واعياً لما أفعله، وأردت  
فعله.. أنت زوجتي وأريدك أن تظلي معي..

يدق قلبي بعنف..

- إذن.. ستترك المرأة الأخرى؟

يصمت لحظات ثم يقوم مرتدياً حذاءه ويحاول ألا ينظر لي..

- لتعري شيئاً.. أبا أحبك.. وأحب إناس.. هي لم تفعل لي شيئاً كي أتركها،  
في الوقت نفسه أريد أن تظلي روحتي وأبي معي أحتاجك في  
حياتي..

- تحتاج كتباً!! لكني لا أستطيع الحياة بهذا الشكل، لن أحتمل.. لقد  
حدعتني إذن اليوم لتردي كي تصبح كلنا المراتين ملكك! كنت أعمم أنت  
حقير ولكن ليس إلى هذه الدرجة!

يقطب حينه ويظهر إلي، يحطف معطفه من على المشجب ويرتديه به ينظر في  
عيني مباشرة في تصميم

- لن أطلقك.. وابني هو ابني شئت أم أبيت.. أنت غبية فعلاً.. هل كنت  
ستشعريين بنحس إذا صممت الولد إلى حضائتي وتركتك تنعفين وحدك؟  
هه؟ هل ما فعلته الآن حقارة؟ هل إذا ظللت زوجتي وظل الولد معك ثم غـ  
وقادونا أصبح أنا الحقير؟! انتهى العناء. ١١١

ويرحل ويتركني لا أعني شيئاً.. لم أفكر فيما قاله من قل.. ربما عودتي لأبيث  
كانت ستوفر عليّ مشقة الخوف والمعاناة من فقدك.. هل أنا غبية فعلاً أم لـ  
شيئاً في داخلي يريد الاستحواذ عليك، أن تكون ملكي وحدي؟  
أصارحك يا بني أي أشعر بندم ما، لكسي لن أترجاه للعودة، ولن أقبل أن  
أكون المرأة الأخرى (القديمة) في حياته.. أنت ابني وقد دفعت ثمن حصرتي  
عبك كاملاً وستكون لي وحدي..

يا ربي.. ماذا أقول؟! لقد جئت تماماً ولا أعني فداحة فعنتي.. كيف أصف  
نفسي بالمصححة من أجل طفلي وأنا أحرمه من أبيه؟ لآسي لا أستطيع التصحبة  
بجزء بسيط من كرامتي من أجله.. ساعدني يا رب..

\*\*\*\*\*

٢٣ ديسمبر ٢٠٠٩

ابني الحبيب.. لقد حكيت لك في الأيام السابقة كل ما من شأنه أن يقسي

بالكتابة لمدة عامين! نعم، فأهوك مارال رافصًا للطلاق، وأنا لا أستطيع الحياة بهذا الشكل.

لقد تروح إياس بالفعل، فعممت أن أترك كل تلك الحياة خلفي وأرحل بعيدًا..

لقد ترك لي جدك مبلغًا ماليًا معقولاً هو بصيبي من الميراث، بالإضافة إلى شقته الصغيرة بإمبابة التي كان قد كتبها باسمي. ساعدتني مثال في بيع الشقة، وها أنا في طريقي غداً إلى الإسكندرية لرؤية الشقة التي وجدتها لي ورشدي روح مثال. أيا كانت فسوف أوافق بها ما دامت في حدود المبلغ المباح معي، مع ترك مبلغ آخر للعيش به ربما أجد أي عمل.

ستبدو جميلاً في ثياب الخروج الشتوية غداً! لقد أخطأت حين خيل لي أنك تشبه زين، في الواقع أنت لا تشبه أيا منّا! لكك جميل تشبه الفتيات بشعرك الحريري المتدلي على عينيك، وملامحك الدقيقة، وحجمك الصغير.. تبدو ملائكة من ملائكة اللوحات الكلاسيكية.. ملائكة عبي الحد الفاصل بين الذكورة والأنوثة! لقد وهبك الله لي وأبي إلا أن تكون ابناً واهة في الوقت ذاته؛ ليعرضني بك عن كل ما افتقدته..

نم يا صغيري.. فقدنا يوم طويل..

\*\*\*\*\*

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٩

أجلس منهكة في حجرة الفتيات - مريم وريم - أكتب إليك على عجل، وقد قررت مثال أن أبيت معها حتى أنهي موضوع شراء الشقة.

اصطحبني مثال ورشدي من محطة القطار إلى حي سيدي بشر حيث الشقة

الزعمومة. شارع صيق لطيف يكسوه أسفلت قديم لكن بحالة جيدة على  
عكس الشوارع المماثلة في القاهرة؛ حيث لا أسفلت على الإطلاق، والشارع  
محرف بطريقة تجعلك توشك على رؤية الأراج التكوينية ذاتها!

المرل مكوّن من ٤ طوابق، وتقع الشقة في الدور الأرضي من البناية. مارلت  
رربة رمضان معلقة بين المدي الصغيرة القصيرة حتى الآن، وبدوا أنها كانت  
معلقة منذ أعوام، وستظل معلقة إلى أن تبلى.

الشقة صغيرة، حجرتان لا تتجاوز الواحدة مسهما مترين في ثلاثة أمتار، تربع  
حائطيها نافذتان صغيرتان. أما الصالة فهي أكبر قليلاً، ويتفرع منها حمام  
ومطبخ. الحوائط في حالة جيدة وإن كان لونها الأصفر الليموني يشعري  
بالغيان.

لكنها كانت بالنسبة لي كالراحة في الصحراء، وقد شجعتني على تحملها  
معادتك العامرة فيها، كنت تضحك وتطر حولك كما في حافلة مزدحمة  
بالمهرجين!

كنّا عقدها منذ سهرات قليلة، ودعت حراً من الملع، وسأحت الملع  
المتبقي غداً من فرع البنك هنا..

لا أعلم من أين سأشترى لها فرشاً لكن يوسعي النوم على الأرض ما دمت  
أشعر بالأمان معك..

أعني لك قنبلاً حتى تنام.. وأنام أنا...

\*\*\*\*\*

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٩

يوم آخر لنا معا في شقتنا الصغيرة الجميلة! تعلم...؟ لقد فككت سريرك الجميل، وحمله رشدي على سقف سيارته فجرا، معامرا أن تسحب رحصه على الطريق. لكنك أحيت هذا السرير، فليكن هو مناعا الوحيد في هذه الشقة مع السمار القديم الذي تبرعت لي به. حاله جيدة إذا واطت على الطرق فوقه كل بصع دقائق حتى تبت الصورة. لن أسي أيضا الكومبيوتر المهالك الذي اقترضته منها لأعمل عليه إذا قلت بي المكتبة التي أعترم أن أعرض خدماتي عليها غدا..

أحضرت كذلك بعض ملاهسا وبعض الكتب وشرائط الكاميت..  
أحملت في طريقي إلى السوق فأخذ الطريق الطويل الممتد بطول البحر..  
أشعر بالحرية وشيء من السعادة وسط قنفي من مستقبلا الغامض..  
تردان الأرضة أمام المحال بأشجار عيد الميلاد ودمى بأها نويل..  
أشترى عداء بسيطًا مناسبًا لطهوه على موقد الكهرباء دي العين الواحدة،  
وأبتاع لك كيتا من الكرات الملونة كالتني تعلق على أشجار رأس السنة،  
ظلمت ممسكا بها طيلة طريق العودة .

بجانب المنزل أرى مدرسة ابتدائية مهجورة.. ألح من خلال سورها الحديدية  
لعب أطفال قديمة ملقاة ها وهناك، لكسي أسمع صوصاء أطفال بالداخل،  
إنها ليست مهجورة إذن.. ربما لها مدخل خفي أكثر نظافة.. تسترعي  
انباهي لافتة المدرسة الخشبية المكسورة من منتصفها حيث اسم المدرسة فلا  
استطيع أن أميز منه إلا "مدرسة..... الابتدائية لدعات".

نظن عيناك معلقة بها حتى نصل إلى المنزل فتقبض بيدك الصغيرة على طرف

البوابة وكأنك لا تريد الدخول.. تريد النظر إليها أكثر.. ليتك تستطيع الكلام لأعلم ما يحدب نظرك فيها إلى هذا الحد..



### ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩

لقد عدنا الآن إلى المنزل بعد يوم شاق! كل عام وأنت بخير يا صغيري 11 اليوم هو أول رأس سنة نقصها سوياً في الأعرام الماضية اعتاد أبوك أن يقيم حفلاً صغيراً في المكتب يدعو إليه أصدقاءه وموظفي الشركة. لم أكن أحضر ذلك الحفل، لأني في المرات القليلة التي حضرته لم أكن أستطيع إلا أن أتبع نظرات أهلك أينما ذهبت.. يكلم تلك المرأة، وعندما تستدير لترحل أجده يتفحصها من شعر رأسها إلى كعبها.. يمزح مع تلك ويضحك مع غيرها.. لا يتذكر وجودي إلا في وقت الرحيل..

إن النظر بحجاب العين إلى النساء الأخريات حاصية في الغالبية العظمى من الرجال ويكاد يكون طبيعة ثابتة فيهم. ربما تكون عندك يا صغيري الحاصية ذاتها حين تكبر، لكنني أنصحك الآن - فلا أعلم إن كنت ساعيش حتى أراك زوجاً أم لا - ألا تمارس تلك العادة يسماً تكون زوجتك إلى حوارك حتى وإن ظنت أنها لا تراك! فمحن نجيده إخفاء ما يعرفه عكم! فمحن السورة لنا عين ثالثة تكشف تلك اللحظات، وهي عين مرعجة فعلاً أتمنى شخصياً أن أحدد مكانها لأقتلعها! تحتاج الواحدة منا إلى أن (نظن) أن زوجها يرى، ويكتفي بها دون سواها، ولا تعلق عيه - كالسنارة - بمؤثرات ونهود الأخريات! هاهاهاهاه! سأكتب على غلاف تلك المذكرات (غير مسموح بها لمن تحت الثامنة عشرة!).. يبدو لي أنني أنكلم بحرية قد لا تليق بمراقبة مثلاً! لكن لتعذرني يا بني! فعشلي مع أهلك يدفعني دفعا لتربيتك كي تكون رجلاً يحترم



الساء ومشاعره حتى إن لم يحبهن.. أريدك أن تعرف المرید عن النساء بما  
لن تحبوك به واحدة مهن. إن الساء لا يطلن الاهتمام ولكنهن يسعين إلى  
أن يجدن ذلك الرجل الذي يهتم بهن فعلاً..

أنت الآن تجلس أمامي تنعب بكراتك الملونة على السرير، بينما أعد طعام عدا؛  
حيث إنني سأعود من المكتبة التي قلت أن أعمل بها، منهكة ثقيلة الحركة  
أشبه بالسجادة المتلة..

ما زال لدي عمل طويل في ترجمة بعض الأبحاث للمكتبة على جهاز  
الكمبيوتر. إن صاحبة المكتبة طيبة ودود ستسمح بفائقك معي في عملي؛  
فأنت هادئ جداً، ولكنها لا تقل أبداً التأخر في تسليم العمل، وها هي قد  
أثقتني بأطمان من الأوراق والأبحاث المدرسية لترجمتها في أول يوم لي رغم  
أنني لم أقض معها إلا ساعة..

لا أعلم ما أصاب التيار الكهربائي اليوم؛ فمنذ أن بدأت صلاة الأفراح في أول  
الشارع عملها اليوم بأولى حملاتها، حتى ظل التيار يقطع ويعود ويتراقص..  
حتى عدا من المستحيل أن أكتب ورقة واحدة ولا يقطع بعدها التيار،  
وأعيد تشغيل الكمبيوتر مرة أخرى والكتابة من جديد.. إن الوقت الصانع  
لا.....

.....

يا إلهي.. لن تصدق ما حدث منذ قليل. ما رآلت يدي ترتحف ولا أستطيع  
السيطرة عليها... لقد كان كابوساً حقيقياً ولا أعلم حتى كيف انتهى..

لقد دق الباب فتركت ما أكتبه لك وقمت لأفتح فوجدت حارتما مدام بشية  
تحمل صغيرتها ذات الثلاثة أشهر متسمة حاملة في يدها تورقة منزلية الصنع  
وتسعي قصاء الليلة معي؛ فزوجها مهندس البترول لن يأتي الليلة، وهي تأتي أن

تقضي ليلة كهذه وحيدة..

تعلم أنني لا أحب الاحتياط بالخيران؛ فأنا أريد أن أحتفي عن الأبطال ولا تتأثر عني الأقاويل هنا وهناك مؤدية إلى إبداء سمعتي، أو في أسوأ الأحوال كشف مكاني لأبيك الذي لا بد أنه يذرع مصر بحثاً عما .

لكن الانعلاق الرائد أيضاً ربما يسمح للآخرين بسبح القصص عني وزيادة العداء تجاهي، وهو آخر شيء أتمناه. سمحت لها بالدخول فلم تجد ما تجلس عليه إلا السرير أو كرسي الكومبيوتر فاحتارت الأخير رحبت بها وأعددت لها شايًا بينما هي تحكي لي عن الظرف الذي جاء بها اللبنة ألا وهو الشعور بالوحدة في عدم وجود (ظل رحل). لقد أسكت فضولها منذ أخبرتها أنني مطبقة ولم يعطني زوجي حقوقي فاصدرت إلى السكن هنا، وهو المسكن الوحيد الذي استطعت توفيره من مالي الخاص بعد أن طردني زوجي من مسكن الزوجية. إلا أنني أمت بها ألا تخبر أي شخص بسأل عني أو عن مكاني؛ فرعاً يكون زوجي وقد أتى لإيذائي أو احتطاف ابني..

- آه، لقد ذكرتني بحديثنا عن الرحال، لقد سأل علك اليوم رجل أسمر يشبه موديلات الدلات، وقد شككت فيه. لقد ظل يطرق بابك، وحين سمعت الطرق فتحت بابي وسألته عمن يريد فسأل علك.. فأخبرته أنني لا أعلم شيئاً عمن يسكن هنا؛ فأنا سيدة في حالي.. فظهر إلي نظرة لم أفهمها ثم رحل..

سيدة في حالي؟!!! وهل من شيم السيدات اللاتي في حالهن أن تفتحن الأبواب كلما سمعن طرقاً على أبواب الخيران اللاتي لا تعرفن عنهم شيئاً؟!!  
تبا لها! لقد وجدني! كيف؟

وضعت بثية طمعتها المصككة بدمية قماشية مما سميتها (كرنة) بجوارك على السرير كي تشرب شايها، فتركت أنت كراتك وأمسكت دميها في فضول!

بكت الطعمة فتركت تلك الدمية من فورك، لكنها ظلت تبكي وتثر كراتك  
في كل اتجاه..

فتمت إليكما لأهذي الموقف وأحملها فتعلقت يدي في الهواء، ورددتها إلي  
فوراً حتى قبل أن المسها.. كانت الطفلة تبكي وتتصاعد دموعها إلى أعلى..  
إلى سقف العرفة، وقد اترق وجهها - هل تذكر مريم وريم؟ - ومن شعرها  
القصير الخفيف تمتد شرارات صغيرة في انحناءك دون تفكير صامت إلى  
وحيات رأسك في صدري وولبتها ظهري، بينما تبدى العصب من تصرفي  
على وجه أمها التي حملتها وأحدث تهددها وتعطيلها الدمية حتى هدأت  
تماماً وعادت - بالسبة لي - إلى طبيعتها!

ظللت متسمة في مكاني لا أذكر ما قالته لي إلا أنها هدأت ووضعت الطفلة  
على فخذي وأخذت تثرثر عن زوجها وعن ابنتها وعن وعن.. لكنك تعلم يا  
بني ما أشعر به الآن.. لقد عادت تلك الموهبة السوداء كما قررت أن أسميها  
في عقلي.. لم عادت الآن وقد مرت شهور طويلة على اختفائها؟ هل لهذا  
علاقة بكوني تحت ضغط عصي ما بسبب ذكر أبيك؟

لم أعلم ما رددت به عليها، ولا كيف مرت الساعات حتى جاءت الساعة  
الثانية عشرة وكنا نشاهد احتفالاً على الهواء مباشرة وأنا شاردة تماماً، في  
الاحتفال.. بدأ العد العكسي، وهما ساد الظلام!

لقد انقطع النوار اللعين، ومن أول الشارع أسمع ضوضاء من جهة صالة  
الأفراح التي أكملت عملها بمولد كهربائي..

ظللت ساكنة في مكاني وقد كنت في طريقي إلى المطبخ لحلب كوب ماء لحارتي،  
واستدرت عائدة إلى مضلة الكمبيوتر التي أضغ عليها شمعة في غطاء، رجاجة  
لكسي صدمت رأسي صدمة حفيفة في الحائط وأنا لا أميز شيئاً في الظلام..

لم أكن أرى شيئاً إلا أنت والطفلة الصغيرة! لقد كتما توهجان باللون الأصفر  
المبهتز! ربما يعني هذا الحرف أو المصاحاة أو أيّا كان ما يعيه فهو غير طبيعي  
ومرعب!

اجتزت الأمطار القليلة التي تمصني علك في سهولة مهتدية بصوتك الأصغر  
واحتضنتك.. تدريجياً بدأتما في العودة إلى طبيعتكما..

- بثينة. هيا تقف في الشرفة إذن، الشمعة قصيرة جداً وليس عندي غيرها!  
قصا إلى الشرفة فلمعها الهواء البارد، فأغلقت الزجاج تاركة الخصائص مفتوحة  
ليبحث إلينا بعض الضوء من الشارع..

من الزجاج أرى بعض الخيران وقد توجها إلى صالة الأفراس مضطربين أن  
يقضوا ليلة رأس السنة في أنوارها الملونة المتراقصة.. أسمع باب سيارة تفتح  
وتعلق أسفل ناعمة الحجر، أخرج لحظة إلى الشرفة وأتطلع.. آاه! سيارة  
مختلفة عن سيارة زين.. ولكي أراه شخصياً خارجاً منها متجهاً إلى البوابة!  
لقد غير سيارته إذن وأنا لم ألاحظ وقوفها أمام المدخل وأنا عائدة من العمل! قبل  
أن أعود مهرولة إلى الداخل، سرق نظري طفل مضيء آحر ولكن داخل أسوار  
المدرسة الابتدائية المجاورة!!

\*\*\*\*\*

بأقبي ما كتبته رثا مهين في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٩..

كان يشع ضوءاً أحمر لم أر مثله من قبل، ومن حوله برق وليس مجرد شرارات..  
كان يجري نحو عمارتي وهو يشير إلى المدخل..  
دخلت فزعة وأنا أصبح همساً إن كنت تفهم ما أعنيه..

- بثية.. طليقي! طليقي بالخارج وهو يصعد الآن!

سمعت طرقات على الباب، قدشت كل منا صغيرها في صدرها واتسعت  
عيوننا!

توالت الطرقات مرة أخرى..

- ربما! انتحي.. أغم أمك بالداخل، لقد رأيتك وأنت تدحين وكدت  
اصعد إليك لولا أن شاهدت جارتك داعية إليك فمضت الانتظار حتى  
ترحل.. لكسي لن أنصي النبلة في الطلام.

لم أفتح فمي، بينما قامت جارتني بتصرف غريب؛ إذ قامت متسللة بطعناتها إلى  
الحمام وأعقبت عليها الباب! ربما يفعل المرء أشياء أغرب إذا استشعر خطرًا  
على أولاده!

ظل زين بطرق الباب ويدي بعصبية تزايد كلما أهملت رقوقه على  
الباب..

تسللت إلى الحمام حاملة إياك وناديت عني بثية هصًا..

- بثية.. خذي أسر معك.... بثية.. انتحي.. لا وقت!

لم ترد المرأة لكسي اسمع صوت أنفاسها بوضوح.. لكن ما جدوى أن أحبك  
بينما زين لن يهدأ حتى يحدك؟ لن يجدي التظاهر بآبك غير موجود وقد رأي  
أحملك عائدة من عملي منذ قليل..

وضعتك في سريرك وقررت أن أفتح وأواجهه مهما كانت الأسباب..  
فلأخذك على جشي إن أراد..

فتحت الباب وتراجعت عنه، قدحلت فاتحًا الباب عن آخره فاصطدم الأخير  
بالجناط حلقه مسقطًا بعض الطلاء..

- كيف عرفت مكاني؟؟

سار بحظي بطينة وابتسامه بدت شيطانية على وجهه في الظلام بحر  
سريرك..

- هذا السرير هو ما كشفك يا ذكية! لقد رأى النواب سيارة رشدي تحمل  
السرير الذي يعرفه جيدًا فقد حمل أحزائه على ظهره صاعدًا به إلى الحجرة  
فوصف لي السيارة حين رأى حيرتي والأهام تمر ولا يجدك أس حين يأتي لك  
في أي وقت من أوقات اليوم..

سألت عن رشدي فوجدته قد تم نقله إلى الإسكندرية.. راقبت مبال عدة أيام  
حتى وجدتك يا صغيرتي! والآن.. أين أسر؟؟

كان يسأل عك وأنت على السرير! لعلك سقطت عنه؟ التفت في ذعر إلى  
السرير لأحد أعرب مشهد يمكن تصويره.. كنت ما زلت جالسًا في مكانك  
بينما يجلس حلقك ذلك الطفل العامض الذي رأيته يهرول في المدرسة  
المجاورة.. كان هو الطفل ذاته الذي رأيته في العيادة منذ أشهر بعمه المحاط  
وأديه المسدودتين وعيه البصاوين. كان يده أطرافه الأربعة حولك ويطلق  
أزيزًا يشبه قرقرة القطط، ومن حولكما مجال صرني يسبح فيه ما يشبه فئات  
الناس مما يجعلكما شبه شفافين بالنسبة لي وشفافين تمامًا بالنسبة لزين..!!  
كنت أسمع همهمة من جهة الحمام ولكنني كنت في موقف لا أحمد  
عليه..

- أين الولد؟ لقد رأيته عائدة به اليوم!

- أ... أ... لا أدري...

- لا تعرفين أين أبوك؟ ما شاء الله! أنت تقدمين لي أسباب ضمه إلي من الآن  
على طبق من ذهب!

ظل يدخل كل حجرة ويبحث عنه بلا جهد تقريبًا؛ لأن الشقة بلا أثاث فلا يوجد ما أخبثك فيه، عندما وصل إلى الحمام وجده معلقًا من الداخل ..

- آ.. ها! إذن أنت تحبني مع جارتك العسولية! افتحي يا امرأة.. لن أؤذيك، فقط أريد طملي ..

لكن بشية ظلت تصرخ من الداخل وتبكي ابتها فيما يحاول زين كسر الباب بكفه.. لقد كان عاضبًا كما لم أراه من قبل؛ فهروبي بك يا بي لم يكن ليتحملة أي شخص ..

ضربتان وكان الباب القديم قد حلق من مفصلاه وكاد يسقط على بشية لولا أن قفرت داخل البانيو الصغير وهي تصرخ وترجف ..

خطأ زين داخل الحمام فوق الباب المخلوع الذي تشقق من ورنه، بحث في سرعة فلم يد له أن هناك مخبأ ما ..

بينما ينفث غاضبًا اقرب من وجه جرتي المنكمشة في الركن والتي تحبى ابتها ووجهها إلى الحائط ..

- أين ابني .. 19

- أقسم أنني لا أعرف ..

مد يده وأمسك بذراع الصغيرة في وحشية وجذبه فأطنقت الرضبعة صرحة مزقت قلبي ..

جثت بشية على ركبتيها لائمة قدميه وابتها لا تكف عن البكاء

- اتركها أرجوك .. ما دنيا .. وما دنيا!؟

- إن المرأة لا يلبس ذراعها إلا عن طريق أبنائها! هذا ما علمتني إياه جارتك

البلهاء.. لا يهمكن إلا أطلع الكس، فلم تستغربين ما فعله من أجل طملي؟؟ أم أن النساء فقط هن من يشعرن؟؟ اطلقني.. أين الولد؟؟

- لقد.. لقد أتى أحد أقارب ربا منذ قليل واحذه.. نعم.. هو كذلك.. أين عساني قد أكون حياته؟ وهل أفضل ضرر ابنتي على ضرر ابن جارتني؟؟

أنت شجاعة فعلاً يا بثينة! لعله يقتنع بتلك الحجة ويتركنا.. وقف لحظات يفكر ثم انقصر عليّ حيث وقعت خلفه عازمة أن أسمع من ضربها إن بدا أنه يتواري ذلك.. أمسكي من فكي ورفع وجهي فصرحت وأنا أشعر أن رأسي سينفصل عن جسدي في أي لحظة.

- أي قريب هذا؟؟ لم أر لك أقارب إلا أباك وعمتك.. وكيف لم أراه يحرج من البناية مع ابنتي؟؟

- آآآ.. إنه.. إنه زوج ابنة عمتي..

- كاذبة! ابنة عمتك مراهقة!

ودفعني ليرتطم رأسي بحوض الحمام.. زحفت خارجة فوق الباب المكشور قد خلت قطعة حشية في كفي فصرخت..

جثمت فوقني وأمسكني من شعري، فلم أجد إلا أن ضربته في وجهه بقطعة الخشب الصغيرة فتقام صارخاً وقد تلطخ وجهه بدم معظمه من يدي المجروحة..

وجدت من يجذبني من يدي لأقوم، بثينة تحمل طفلتها التي بدا أن ذراعها لا تتحرك وتبدو مرتخية، بينما تجذبني من يدي بيدها الأخرى..

أسمع ضجة على سلم العمارة، ثم أرى رجلاً أربعياً يمسك سنجة ومعه شاهان أحدهما يحمل جزييراً يدخلون من الباب المفتوح أصلاً..



- لا تخافي يارنا.. هذا عزت زوج أحتي.. لقد اتصلت به من هاتفي المحمول  
وورشته في آخر الشارع..

لم يتحمل زين - ابن الناس - إلا ضربة واحدة من الجزير سقط بعدها، فقام  
شاب منهم بتقييده وحمله مع صاحبه حملاً إلى المخفر..

على الباب تجمع الجيران الذين كانوا يسمعون استعاثاتنا ولم يجرؤ أحدهم  
على مساعدتنا.. كل منهم يخاف على نفسه وبيته، ولولا تصرف جارتي لكنا  
نحتفل برأس السنة في العالم الآخر الآن..

انصرف الجيران وكل حامل كشافه وشموعه مع تحياتهم لنا بعام سعيدا كنت  
أنظر إلى السرير لأجدك تعود إلى الظهور في بطنه وأنظف الغريب يتراجع عكس  
عابراً الحائط في هدوء..

كنت تنظر إلى الطفل ومحمد يدك كأنت تريد استقاءه ثم تنظر إلي وتبسم  
أجري إليك وأحتضنك، فيما تقف بثينة متسعة العبير تنظر إليث..  
- أين كان إذن عندما كان أبوه يبحث عنه؟ الله أكبر! لقد أعماه الله عن  
رؤية ابنه!

لا شك أنه رجل عاصٍ فاسد فعلاً! الله أكبر! إن الله يحبك فعلاً يارنا!  
لم أجد بداً من المرافقة على ما قالت، فما حدث معجزة فعلاً إلا أنني قد رأيت  
بيني كيف اختفيت!  
أبي الحبيب، أدرك ما حدث وأمني أن أنام وأصحو لأحد كن هذا قد كان  
كابوساً..

تعال إلى حضني أيها الصغير وأدعولي أن أنسى تلك الليلة..

٢٢ يناير ٢٠١٠

طفلي الحبيب، لقد تعافيت الصغيرة حسناء ابنة جارتي بشية من إصابة يدها في رأس الحبة، وقد خرجنا إلى السوق اليوم بعد انتهاء عملي..

– الشارع كله يعتبرك من أولياء الله! لقد اختفى إليك فعلاً!

– البركة فيك! لم أكن أريد كل تلك الضجة، لكك حكيث للشارع كده!

لم أكن غاصبة منها؛ فقد تصرفت يومها بذكاء فلم تطلب الشرطة التي لم تكن لتجنيء قبل مرور ساعات.. لقد تازلت عن المحضر هم أرد جلب العداء أكثر من هذا، ولم أستطع تحرير محضر عدم تعرض لأنه كان سيطلقني فعلياً ويطلب حق روشتك.. وما حمي كان أعظم..

ربما أكون محطنة في حساباتي تلك، وربما كان من المفروض أن يحبس وأطلب أما الطلاق حتى لا أترك له فرصة عظمي في بيت الطاعة!!

أما لا أفتد شيئاً عن كل تلك المسائل القابولية إلا ما أراه في التليفزيون وأسمعه من صديقاتي.. لقد راد الضغط النمسي عليّ، وصرت أكر فعلاً في الهرب بك مرة أخرى.

ما يسبب لي ضغطاً آخر هو أنني صرت أعاني من الموهبة السوداء بشكل مستمر، وقد كوّنت عنها رأياً في محاولة مني لوضع قوانين تحكمها..

أولاً، هي مرتبطة بذلك الطفل العريب ولمسته لي لأول مرة.

ثانياً، أنا أرى مشاعر الأطفال في ذرواتها، فلا أرى إلا الخوف الشديد أو القلق الشديد أو العصب الشديد.. أي أنها مرتبطة بشدة المشاعر السلبية..

ثالثاً، هذا الطفل غير مرتبط بمكان فقد رآته في القاهرة والإسكندرية. في

العبادة وفي داري وفي المدرسة المجاورة، إلا أن وجوده في المدرسة يبعث في نفسي قشعريرة ما..

رابعًا، إنك ترى هذا الطفل، وربما تحبه كذلك، ولكني لا أعرف إن كنت ترى مشاعر الأطفال الآخرين مثلي، لكنني أرجح أنك لا تفعل لأنك لا تبدي أي اهتمام بتلك العيراب حين أشاهدها..

خامسًا، أنت ترى شيئًا ما في هذه المدرسة لا أستطيع رؤيته. ربما يكون هو ذلك الطفل، لكن.. من يكون؟!

سادسًا، هذا الطفل شبح أو طيف أو أي شيء غير بشري أو حي، وهو ما يقلقني من وجوده برغم أنه يبدو في صفنا إلى الآن..

سابعًا، ما أراه حقيقي وذو آثار ملموسة وليست أوهامًا.

أخيرًا، لماذا أنا؟ ولماذا أنت؟ ما الجديد أو المميز بنا ويجعل ذلك الطفل يلاحقنا ويجعلني أرى ما أراه ولأي غاية؟!

ابني الحبيب.. من المؤكد أنك تعلم الآن وأنت تقرأ هذه السطور في زمن ما معزى كل ما يحدث، أما الآن فلا شيء إلا التعبط والخيرة..

\*\*\*\*\*

٢٥ يناير ٢٠١٠

كنت اليوم مصابًا بنزلة برد شديدة تجعلك تقيء أي شيء تأكله، وكنت (محتاسة) بك في المكتبة وأحاول إبعادك عن أي شيء يمكن لقيتك أن يلوثه. وكنت أهرع بك إلى الحمام كل نصف ساعة وأظفرك قبل أن تتسخ ملابسك، لكنني انشغلت عنك لحظات مع أحد الزبائن فوجدتك قد اتسخت تمامًا من شعرك

حتى قدميك! لم أدر ما أفعل وليس معي ملابس أخرى لك فضلاً عن كون الحمام بالمكتبة لا يحوي إلا حوضاً وليس به مياه ساخنة لأحممك بها. اتصلت بالسيدة صاحبة المكتبة حاكية لها ما حدث، واستأذنتها لعلق المكتبة والعودة بك إلى ائدار لتغير ملابسك ثم العودة إلى العمل مرة أخرى.

- مدام سكية لن يأخذ مني الموضوع أكثر من نصف ساعة..

فترد علي بصوتها العجوز المبحوح

- أنا بازلة لك.. انتظري..

وكانت السيدة تسكن في ذات البناية التي بها المكتبة.. دقائق مرت كساعات وأنت ترتحف بلا انقطاع حتى دخلت السيدة من الباب بعاءتها المنزلية المطررة والشال على كتفها. ما إن رأتك حتى رفعت حاجبها في دهشة..

- كيف ستعودين به وهو في هذه الحالة؟ أفسحي لي.. أفسحي لي..

أفسحت لها، فلفتك في شالها ورفعتك وخرجت بك وهي تكلمي..

- سأظفه لك في شقتي ولتكلمي أنت عملك.. هيا أيها الشاب الصغير!

شكرتها بصدق وإن لم يكن مجرد شكرها كافياً بالنسبة لي، إنها بمثابة أمي التي لا أذكرها..

مرت حوالي ثلث ساعة حتى وجدتها عائدة بك ويبدو على وجهها أنها تريد أن تقول شيئاً.. كنت ملغوماً في قميص مقلم يبدو أنه لابسها أو زوجها. ناولتي إياك وهي تبسم، وفي يدها الأخرى كانت تحمل كيساً بلاستيكياً يحوي ملابسك المتسخة..

- ربما يا ابني.. كنت أريد أن أسألك عن شيء، ربما أكون فضولية أكثر من

اللازم، وربما أنك تعرفين وسوف تعطينين إن حدثتك في الموضوع، وربما

أنت لا تنحطين فوجب عليّ إخبارك!

لم أدر كما تتكلم.. هل تحدث عن عريس لي مثلاً، أم.. أم أنها رأت الطفل الغريب مع ابنتي بشكل ما؟!!

- يا ابنتي، أعمم أياه أول مولود لك وأعلم مما أحبرني أنت (مقطوعة من شجرة)، فلا توحّد امرأة مئة شئ تنصحك أو تبدي لك ملاحظات عني ابنتك.. الحقيقة... اجلسي يا ابنتي..

جلست، وكنت أحتاج فعلاً إلى هذه الجلسة، غاص قسي في قدمي وصاغت الكلمات ممي.. أغلقت الباب المكتبة الزجاجي وعادت لتجلس أمامي مبتسمة في إحراج..

- تعلمين يا ابنتي أنني أنجبت حمسة شباب، وأعصري لي، عندما كنت أحسم ابنتك وقع نظري على...

وتأرلنت مني وكشفت القميص عن حسدك الصغير.

- آ. آ.. أعنقد يا ابنتي أن أسر لديه مشكلة ما في أعضائه الشاسلية.. تبدو لي ضامرة بعض الشيء..

- ضامرة؟ ظننتها صغيرة فقط لأنه صغير.. ما.. ماذا أفعل؟!!

- لا تدعري يا ابنتي.. ربما تكون صغيرة فعلاً وأما أخرف.. لقد مرّ أكثر من حمسة وعشرين عامًا منذ رأيت أعضاء طفل صغيراً ربما احتلط عليّ الأمر.. لكن.. استشري طبيًا من باب الحرص..

ثم قامت وكأنها ألقت عن كتفيها حملاً ثقيلاً ربما يعود إليها ثانية إذا أطالت البقاء. لكن.. ماذا يعني ذلك؟ هي ليست أول من يذكر هذا الموضوع. لقد ذكرته طيبشي عقب ولادتك، ولم أهتم حينها، ثم بسيت الأمر تمامًا..

أعزم أن أصحبك للطبيب عدًا إن شاء الله.. لنرى مسألة القىء أيضًا..

\*\*\*\*\*

٢٦ يناير ٢٠١٠

لم أدرك كم يكيث إلا عندما وجدت صعوبة في رؤية الورقة التي أكتب لك فيها لقد ظمأنني انطبيب على حال معدتك، لكنه نصحي بإجراء أشعة على الحوض؛ لتأكد من شيء ما.. لم يحبرني ما هو، لكن عقلي لن يكف عن التفكير.. ماذا بك يا صغيري.. وما درجة خطورته؟! أحشى أنني لا أستطيع الكتابة أكثر من ذلك اليوم..

\*\*\*\*\*

٢٩ يناير ٢٠١٠

..... هل اتصل برالدك؟ هل أطلب منه مالا لإجراء تلك التحاليل والأشعة؟ هل سيتهمني بما أنت فيه؟  
..... لقد جاءت فواتير الماء والكهرباء وعليّ أن أتدير أمري...  
ساعدي يا رب...

\*\*\*\*\*

٣ فبراير ٢٠١٠

لقد أتى أبوك صباحًا إلى المكتبة حيث أعمل، وكنت أنت تلهو على الأرض بجوارى وقتها.

دخل إلى المكان متافلاً متعالياً ولم يحلح حتى نظارته السوداء. الحق أنني قد

شعرت بالحنجمل مما حدث يوم رأس السنة بالرغم من أنه كان هو المعتدي، لكنه  
حجبل أو شعور بالدسب يتأني إذا أخذت حقني ممن ظلمني!

- كيف حالك؟

سألي وهو يقلب في كتاب خارجي موصوع على الكاونتر الزجاجي  
أمامي..

- بخير.. هل تستطيع أن أساعدك؟

- أين أسر؟

نظرت تحت قدمي فوجدت شيئاً كنت أتوقعه - وأتمناه - حقاً. كنت حالماً  
تدعب كما أنت وذلك العطل الأرق - ولا يتوهم بالأحمر كالمرّة الأولى  
- يحتضك من الحلف. لقد رأيتك يفعل ذات الشيء طيلة الشهر الماضي كما  
استشعرت خطراً تجاهك..

لكن ماذا أقول له؟ بالتأكيد هو يراقبني كمادته، وقد رأي أدخل المكتبة بك  
صباحاً. هل ساعتمد على الحظ مرة أخرى وأحاول إقناعه أنك لم تكن معي  
من البداية؟

- أسر ليس معي، إنه مع منال..

- منذ متى وهو معها؟

- آ.. منذ قليل..

وأولته ظهري متشاكبة بالبحث عن شيء ما على شاشة الكمبيوتر خلفي.  
لقد كان زوجي طيلة ستة أعوام وهو يعرفني جيداً حين أكذب. المشكلة هي  
أنني بدأت أدرك أن احتفائك بهذا الشكل يضعني في موقف أسوأ من كونك

ظاهراً وأنا أرفضك تسليمك له. هل تفهم ما أعنيه؟ كيف سأستمر في الكذب عليه في كل مرة وهو متأكد من أنك معي؟ سوف يستمره هذا ولا أعرف سبيلاً لحمل ذلك الطفل العريب يتركك وشأنك. ربما أحاول أن أتحدث إليه - الطفل لا إليك - اليوم إذا وجدت الفرصة..

- أولاً انظري إلي وأنت تكلميني، ثانياً ماذا تعين به (مد قليل)؟ أنا لم أر أحداً يدخل أو يخرج حاملاً ابني.

- لا بد أنك غفرت أو اشعلت بشيء، لاحظات.. الآن، هذا مكان عملي ولا أستطيع الحديث معك في هذه الأمور هنا..

- حسناً، سأتي لك في وقتك..

- لا أعني...

- رنا.. أنا أسيطر على أعصابي بصعوبة الآن ولا أدري أي لعبة تلك التي تلعبين معي، لكن ليكن في علمك، أستطيع أن أحيل حياتك بحقيماً إذا واصلت إحماء الولد.. لن يستطيع أولئك البلطجية إيقادك في هذه المرة..

- حسناً.. دعني أرتب الأمر.. سأقابلك غداً بالولد في حديقة الحيوان.. تعرفها؟

- أعرفها..

ثم طرق بيده على زجاج فاترينة العرض وانصرف..

هنا يا بني نقلت عيني إليك فوجدت الطفل الأزرق يتعد عليك ويتجه في هدوء نحو الجدار. أشرت إليه سادية بصوت هامس

- يا.. يا بني.. انتظر..



تسمر مكانه ولم يلتفت إليّ.. اقتربت منه في بطنه راجفة، تشي تحتي ساقاي  
كأنهما لا عظام فيهما . أدور حوله حتى أواجهه، ثم أركع على ركبتي  
أمامه..

- أشكرك على مساعدتك يا بني، لكن كما ترى، إحتفاؤك لآسر سبب لي  
مشاكل عظيمة، فأستريحك أن تركه يظهر غداً حتى يراه أبوه وينتد عني .  
فهل ستفعل ذلك؟

ظل قلبي يرتجف ابعالاً وأنا أتصور نفسي أكلم شعباً حقيقياً أو حتى (كائناً  
ما). انتظرت أن يحجب بظرفته ولم أتوقع منه أن يتكلم بعمه المعلن هذا.. ظل  
يحدق في بعبي البضاوين ثم مرّ من حلال عابراً الحائط..

في تلك الثواني التي عبر فيها مختاراً جسدي شعرت برودة ورطوبة ملاصقة  
لجلدي كأنني محاطة بشيء رطب حش.. وهو الشعور ذاته الذي كنت أشعر  
به وأما طفلة عندما كما يذهب إلى الشاطئ ويدفن أحسادها الصغيرة في الرمال  
المداة الباردة..

لا أعلم إن كان سيعي بوعده الذي لم يعبه حتى لا أعلم ماذا سأفعل إن جاء  
غد ووجدتني مضطرة لتبرير احتماثك مرة أخرى..

\*\*\*\*\*

٤ فبراير ٢٠١٠

لقد كانت الشمس قاسية اليوم برغم برودة الجو، وقد اكتسى وجهك بهمة  
مغرية بالعضا لقد استحال خذاك خروحتين ناضحتين حتى كدت ألتهمك  
وأنا أجول بك في حديقة الحيران الصغيرة بالإسكندرية.

تعمدت أن أصل مبكرة كي أنره معك قليلاً قبل ميعادنا، واشتريت لك قليلاً

مطاطيًا صغيرًا منهوئًا بالهواء من أحد الباعة الجائلين أمام المدخل.

كنتُ شجاعًا بحق فلم تخف من أي من تلك الحيوانات بالرغم من أنك لم تر معظمها من قبل حتى على شاشة التليفزيون. كنتُ ممن اقتنعوا أن التلعاز يُقصد من ارتباط الأم بأولادها، وبالعكس، ويقصّي على أي مهارات يمكن للأطفال تعلمها عن طريق الاحتكاك المباشر بالبشر الأكبر سنًا، لذا كانت مشاهداتك مقتصرة على ساعة أو ساعتين على الأكثر يوميًا.

اليوم أجذك اجتماعيًا بشكل كبير، قروي الملاحظة حتى إنك قلّدت براءة -بالسبة لـنك- عمارح حروفي حين أطلق أسماء الحيوانات أمامك، بل وحاولت تقليد أصوات بعضها كذلك.

إلا أنني شردت مرة أخرى في مسألة مرضك هذا.. هل أحبر والدك؟ هل أتصرف وحدي؟

جلسنا سويًا فنظر والدك بعد أن حدثته من هاتف عمومي فأخبرني أنه على وشك الوصول. أتابع بعيني الأطفال ها وهناك.. أرى القليل منهم في حالات من الغضب أو الشورة، لكن أغلبهم سعداء فلا أرى لهم أي ألوان أو حالات حولهم..

لمت نظري شيء لم أراه من قبل، كان الطفل الأزرق يقف في داخل قفص لبيغاوات الكبيرة وقد استحال أحمر اللون، يمسك بكلنا قبضتيه القضبان الحديدية ويهرها، ثم يطر في اتجاهها ويشير إلى الاتجاه المعاكس.

من الساحة التي أشار إليها أرى رحلة مدرسية لأطفال في المرحلة الابتدائية.. على ملاحظتهم الخارجية تبدو سعادة متوجسة بعض الشيء، يمكن أن أصفها بسعادة التلميذ بالرغم من وجود المدرس إلى جواره.. أما ما أراه بموهتي السوداء فهو شيء جديد تمامًا وخارج تصنيفي.

كان الأطفال مبهوتين من أدرعتهم وسيقانهم بحبوط تشبه حبوط دمي  
الماربوبيت لكنها شفافة لها طابع دحاني، تنجبه إلى أعلى قبلاً ثم تتجمع كلها  
في يد المدرسة القاسية. كان الأطفال يعضون الشرر في كل اتجاه ومعظمه تجاه  
تلك المدرسة، عني وجوههم تعبير استسلام تام.. أعبهم مصمتة لا تطرف،  
أفواههم معلقة، يسرون كأهم مرغمون، وتنقل أقدامهم خطوة بخطوة  
كما يجذب الخيط لأعلى ثم ارتحي .

كنت تطر إليهم وقد احتفت الابتسامة من على وجهي. أنت تراهم إذن؟  
يسمى عبر الأطفال أمام قفص البعاء الذي يقف فيه الطفل العاصي، يرتفع هذا  
الأخير عن الأرض مخلقاً في سماء القفص، صارباً برأسه كل راوية فيه كأه  
يعذب، يهز رأسه في سرعة حارقة يمتد ويسرة كأه يقول (لا) أبدية شيطانية..

— آسراً أخيراً

أفزع وألقت لأحده أبك وقد حمل كيتاً موبناً ضحكاً يفتح بالألعاب  
والخدوى. تتفاخر عيالي بينه وبين الطفل الغريب لا أدري كيف أركز في كلا  
الأمريين سوياً..

يحملك في حنان صادق وتشعر أنت به فتحتضنه.. يبدو عدم التصديق عني  
وجهه وكأنه لم يكن يتصور هذا الاستقبال الحاني ملك..

لا أذكر أي شيء، مما فعلته مع والدك، لكنه لم يتعد بك عن باظري، إلا أسي  
كنت سعيدة لاجتماع محاولتي للتواصل مع الولد العاصي، وخائفة من معنى ما  
أراه الآن عليه وعلى الأطفال الآخرين.

عمر مجموعة الأطفال من أمامي فأحس بقشعريرة قوية؛ إذ أحد وجوه الأطفال  
تلثفت كلها نحوك، حتى عندما أصبحت حفيفهم أحد أعناقهم قد التفت مائة

وثمانين درجة للخلف ومارالت أعينهم معلقة بك..

أجد أيضًا أن خطواتهم قد بطأت بعض الشيء، فأنجذبت الخيوط في يد المدرسة التي التفتت إليهم محدقة ثم نقلت بصرها إليك فتبدى العصب الوحشي على وجهها. حذبت أطراف الخيوط بشدة حول كمها فتألم الصغار وانصرف بظرفهم عنك إلى عذابهم الخاص.

كان أبوك يحملك ويشير إلى مجموعة الأطفال ضاحكًا ويحرك بأمانياته أن يراك مثلهم . كثيرًا، نذهب إلى المدرسة، وتشاكس زملاءك..

وجدت أباك يتبعه إليّ وقد بدت الجذبة مرة أخرى عني وجهه. جلس إلى جوارى وقد لاحظ شرودي..

- رنا.. ما بك؟ هل تريدن حمل أسر قليلًا؟

- هه؟ بالطبع..

وأحملك على فخذي وقد قررت الحديث عن أي شيء حتى لا أفكر في ما رأيته، خاصة وأن الطفل الغامض قد احتفى الآن..

- زين.. كنت أريد أن أخبرك شيئًا لكن رجاءً لا تنهمني بالإهمال أو التقصير..

وشرعت أحكي له عن مرضك ورغبتني في إجراء التحاليل التي أمر بها الطبيب كنت أرى في عينيه ثورة يحاهد كي يستبقها بداحله.. لكنني لا أعلم أهى غصب مسي، أم دعر عني حالتك، أم ماذا؟

- وهكذا أحري الطبيب أنه.. أنه ربما يكون أسر أنثى داخليًا، وإذا تأكدنا عن

طريق التحاليل من هذا فهو ينصح بإجراء عملية لتعديل الجنس قبل أن يتم ١٨

شهرًا.. قرأت أيضًا أن الطفل يكون هويته الجنسية بعد هذه الفترة وإجراء أي عمليات بعد سن عام ونصف قد يهدد سلامته الف..

- أنت وقراءاتك! تقولين إن أبي أشي؟! دعيني أخبرك شيئًا، إن كانت هذه حيلة لتحويله أشي كي لا أضمه إلى حصاشي فأنت ساذجة.. تعر...

أقاضعه في هدوء عبر مسرقي بالنسبة لي

- ربي، يمكنك اصطحابه إلى أي طبيب تشاء.. تعرف أن التأكد من هذا سهل..

كان يعلم أبي لا أكذب في هذا الصدد، لكنه كان يبحث عن أي خطأ لي يبرر أعمال طال كتمابه داخله. إلى جانب ذلك، كيف لم أخط موضوع الحصانة هذا؟! هل أراد الله أن يسمحني بخرجا غير متوقع بهذه الطريقة؟

وكعادة والدك إذا افعل، ارتدى نظارته السوداء وأخذ يبحث في هاتفه. بعد هنيهة أخبرني أنه سيرحل، وسيتصل بي على رقم القال الخاص بي الذي أعطيته له! لتتدبر أمر الطبيب..

راقته وهو يرحل إلى سيارته الواقفة أمام الحديثة، ولدهشني وجدت الطفل الأزرق العامص يركب في الكرسي الخاسبي ثم يلف وجهه إليها ويغمز بعينه! وتروحل السيارة إلى القاهرة...

\*\*\*\*\*

٥ فبراير ٢٠١٠

.....  
وتلك أشياء ..  
تحدث. لكن لم يتصل بي أبوك حتى الآن..

\*\*\*\*\*

٧ فبراير ٢٠١٠

..... هل اتصل أبا به؟ أشعر بالقلق من كون ذلك  
الطفل قد ركب معه . أترأه قد تحدث من أليك؟ حل جذري أكثر من  
اللازم..

\*\*\*\*\*

١٠ فبراير ٢٠١٠

اتصلت منذ قليل بأبيك فرد علي منهكاً.. إلا أن مجرد سماع صوته حياً قد  
أراحني إلى حد كبير.

— أ.. لقد قلقت عندما لم تتصل كما وعدتني..

— آسف يا رند... لا أدري ما دهاني.. إن الصداع لا يفارقي، وأرى...  
أعني.. أتخيل وأسمع أشياء لا وجود لها.. ذهت إلى طبيب لكنه لم يجد شيئاً  
عصوياً.. أترأه لم يمحضني بشكل مدقق؟

لم أدري كيف أرد إلا أنني كنت أغالب سؤالاً عن كنه الذي يراه.. هل يرى  
طفلاً أررق بحاط العم؟ هل سيمتلك موهبتي السوداء هو الآخر أم أن الطفل  
يقوده فقط للجنون؟

بالطبع كتبت خواطري ولم أذكره بموضوع طبييت. فلأصبر قليلا ريثما  
يظمنن على صحته..

\*\*\*\*\*

١٤ فبراير ٢٠١٠

يتوافد المراهقون إلى المكتبة في مثل ذلك اليوم مسرعا ماسحين الأرقف مما  
عليها من (دياديب) وكروت وأقراص مدججة لمطربين بأعيهم، عيدين الكون  
تدريجيا إلى بقعة حمراء كبيرة..

ولأصارك يا بني، هذا حيل لا يحلو من نهضة وفراع دهن. فمن بين الهدايا  
في الكون لا يختارون إلا شيئا واحداً عديم القيمة والتعبير ألا وهو دمية الدب  
ذات العراء. لا أعلم إلا رمز أو علامة تدل، أو كيف تشعر الفتاة بالتعبير إذا  
أهديت هدية لا تعبر عن أي شيء فيها كهذه؟!!

بجرد قالب آخر وضعوه للاحتفال بيوم الحب الذي بحث أصوات العقلاء في  
التصريح بأنه مجرد يوم للاحتفال بالقدس والتأين الذي كان يشجع العلاقات  
غير المشروعة وهروب العتبات مع الفتية أصدقائهن تحت راية الحب وهناك  
يوم مصري لسحب في ترفيع، لكنه جيل قد تم بريجة عقله كي يفكر بأسلوب  
العقل الواحد والأقدام الكثيرة، فلا عيد إلا العيد العربي بطقوسه الباهتة.  
عقلهم غذي على ثقافة المراجعة، والمدارس الثانوية المشتركة، وهانا مونتانا،  
وهاي سكول ميوزيكال، عقل بحرك ملايين السيقان في كافة البلدان في اتجاه  
واحد لا يمت إلى ثقافته ولا إلى عقله بصمة.

أجد العتبات والخيبات كالمخيبين بعيون زجاجية تمسح العتارين عن أي رمز شرقي  
أو محرف أو أجوف لشراته دون تفكير في مغزى ذلك كله

إن الثقافة العربية باهرة بحق ككل وكوحدة واحدة. ثقافة لا بد من إدراك جمالها في بيتها مع انتراع ما يتنافى الأخلاق منها. لكن كل ما تفعله نحن كمسؤولين عن جيل من الأطفال والمراهقين والشباب هو استيراد ثقافة محرومة تدور أيقنة براقعة واحدة من الخارج بينما تحوي داخلها الخواء ذاته.

نعم يا بني، نحن نسمع بجلب هذا كله لعقول أبائنا ولا دخل للمغرب فيما وصلنا له الآن. تخيل معي مثلاً يا بني إن الغرب كائن ضخم براق شرير ونحن - أولياء الأمور - ندرك هذا جيداً. الكائن بطبيعته يريد التهام المريد من العقول، هذه هي قوايه الخاصة التي يحيا بها. فماذا فعلنا نحن؟ أعلقنا كافة الأبواب والوافد على أبائنا كي لا يروا المسخ، وبالتالي لا يراهم هو، لكننا دفناهم أحياء في الظلمات، ولم نجلب لهم ما يؤس وحشتهم ويصرف انتباههم عن الوحش اليراق في الخارج، فصار شغل أبائنا الشاغل هو كيمية الهزار لرؤية الكائن؟ ترى ما شككه؟ بالتأكيد هو أفضل من الظلام واللاشيء الذي حبسنا عقولهم فيه.

على التقيض هناك آباء تركوا أولادهم ليستكشفوا الوحش بطريقتهم دون أي سلاح يرتكون إليه. لم يعد في وسع الأبناء إلا الانجراف وراء الوحش الجذاب، فلم يعودون إلى ديارهم إن كانت فارغة عملة؟ لم يقاتلون إن لم تكن ثمة قيمة ما يقاتلون من أجلها؟

هل تفهمي الآن يا بني؟ ما ذنب الوحش في كونه وحشاً؟! كان نتاج إهمالنا كل تلك الأعرام هو أحيال من الدمى تسير وفقاً لما يريده أي شخص إلهم. والأكثر ظرفاً هو ترسيخنا لمبادئ الطاعة العمياء في أولادنا وكأننا يقصصهم قلة الإرادة أيضاً. الطاعة العمياء والقمع هي أكثر الأساليب التربوية سهرة وفعالية في التحكم في الأطفال كقطيع، ومن ثم يوفر وقتنا لتفاهات أخرى ظانين أن خيوط الدمى التي نتحكم فيها من خلالها لن تلف حول أعناقنا يوم ما.



القلة النادرة يا بني من الشباب والمراهقين الأصحاء فعلاً تلاقي هجوماً شديداً من الكبار والصغار على اعتبارهم (FREAKS) على الطريقة الأمريكية؛ وهي لمظة تعني لغوياً غريب الأطوار وتعني فعلياً الأشخاص المثقفين ذوي النظارات الطبية والمهتمين بالعلم أو الدين. كما تعني أيضاً الفتيات اللقيات العذراوات، وكل ما هو مستقيم في الدنيا فهو - من وجهة نظرهم - غريباً شاداً مرفوضاً!

أدرك الآن - فحاة - الجحيم الذي كنت ألحّ كي أجلبك إليه، أدعو الله أن يساعدني كي أريك غريب الأطوار، على أن تصبح دمية أخرى في يد أي شخص حتى إن كنت أنا شخصياً..

لاحظت الآن وأنا أكسب إليك أن هؤلاء الفتية والفتيات الذين امتلأت بهم الشوارع اليوم أشبه بأولئك الأطفال الذين رأيتهم في حديقة الحيوان. إلا أنني أفقد موهبتي السوداء مع من هم في سن المراهقة ومن هم أكبر فلا أعرف حقاً ماذا أصاب أولئك الشباب.. من يحركهم؟ أم هم استحالوا دمي بإرادتهم الخاصة الآن ولا يحرك لهم إلا عقولهم الخاوية؟

تلك الموهبة أصبحت نصيبي بوبات اكتاب عنيفة أرى من خلالها حقائق أنني ألا أراها ومستقبلاً عاماً على ضوئها أكره أن أتركك فيه يا بني..

لقد كنت دوماً واحدة من غربيي الأطوار رغم كوني لا أنتهي إليهم فعلياً، لم أكن يوماً مثقفة بشكل لاقت أو ذات مواقف تتم عن شخصية قوية، لكنني كنت أعرف الخطأ حين أراه وأحاول جاهدة ألا أتبعه، كانت معظم محاولاتي هاشلة إلا أنني ما زلت أحاول، مارلت أحاول حتى في تربتك. لم أكن مميزة لكنني لم أكن خاوية مثلهم، وقد تمنيت أن أصبح مثلهم.. خاوية الفكر، إذ ربما أرتاح من هدير عقلي المستمر وتحليلاته التي لا تنتهي لكل كبيرة وصغيرة

تقع عليها عيناى.

اعترف بفشلى كزوجة، ربما لكونى فاشلة حقًا، ربما لكون أبىك واحدًا آخر من الدس، ربما لأن الرواح الآن لا يحض لمقاييس المصى التى ربانى عليها أبى.

فرايت رآيا راقى لكاتب شهير يقول فيه إن الرجل يحب أن تكون زوجته حليطًا من الروجة والصديقة ومثلة السيما الحساء. أرى أن الوصع الآن عدا أكثر تعقيدًا فالروجة والصديقة والمثلة الحساء أمور يمكن تديرها، لكن أبى لأي روجة أن تكون كل هذا وتصد أيضًا عن زوجها سيل النساء الشقراء والسمراء والصمراء ومحترفات العلاقات الحسية والنساء للمصنوعات حسب الطلب.. وكل هذا عمى الطريقة الغربية؟ لقد أصبح كل هذا متاح للرجال عبر التلفاز والهاتف والبلوتوث والإنترنت وربما عبر الهواء أيضًا، فبأي معجزة تتججج في إمالة كفتها؟!

هاهاها.. أجدني بين الحين والآخر أبرد فشلى أمامك بطريقة مزرية!! أعلم أنني غير محقة في معظم تبريراتى لكى أعلم يا يحي أنه لن تتاح لي فرصة الحديث بهذه الحرية والدفاع عن نفسي أمامك إلا من خلال هذه السطور.. أنا مهكة تمامًا اليوم، سأتصل بأبىك غدًا لأرى ما آل إليه مرضه.. أحبك يا صغيرى..

\*\*\*\*\*

١٦ فبراير ٢٠١٠

تقد دخل أبوك في دوامة الشك في قواه العقلية إلا أن طبيبًا ما حاول طمأنته بأن ما يمر به هو مجرد أعراض لورم خبيث في المخ!!

هكذا أظنه سيحتاج عدة أشهر من الفحوص داخل مصر وخارجها كي يتأكد من أنه لا شيء به، وأن عليه المتابعة مع طبيب نفسي.. لا أدري إن كان علي إخباره بكون هذا الطفل الغامض هو سب معاناته، لا أحد الجرأة لهذا في الواقع.. سأدعه يكشف ذلك بالطريقة الصعبة، وبذلك يشعل عك قلباً، إلا أنني كنت أريد مالأً كي أجري تلك التحاليل لك. ربما اقترضه من السيدة سكينة عسى أن تخصصه من راتبها على دفعات.. دعني الآن أحكي لك قصة من قصص القرآن قبل يومك...

\*\*\*\*\*

## ٢٠١٠ هـ

الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساءً وقد عدت، أنا وأنت، من منزل السيدة سكينة وقد تحول عقلي إلى قطعة من الليف. لم أعد أدري ماذا يحدث ولأي غرض.

ولأوضح لك، بعد انتهاء فترة عملي اليوم توجهت إلى دار منال وتناولت معها غداء خفيفاً، وحكيت لها أحداث الفترة الماضية، لكنني لم أخبرها بحاجتي للمال؛ إذ إنني أعلم أنها قد تقطع من قوت أولادها من أحلي، وأعلم ضيق ذات يدها، فأبليت حواراً معها بأنني في انتظار شفاء أبيك كي نبدأ فحوصاتك.

بعد أن غادرت منزل منال توجهت إلى منزل السيدة سكينة مرة أخرى؛ إذ إنني كنت بحاجة إلى الحديث و(الفصصة) قليلاً قبل أن أصارحها بطلبي. لا أريد البكاء أمامها أو إهداء الصحف لأي شخص قد يرفض إقراضني.

دقت بابها وأنا أسمع ضوضاء من الداخل. إنها المرة الأولى التي أرورها فيها

في منزلها. انتظرت دقائق ثم فتح لي شاب لا بد أنه ابنها الأصغر. كان يرتدي قميصًا بيًا أبيض كوعه وأسورته اليمنى، فتر لي ذلك البياض أصبح الطيشور الذي كان يقبض عليه بين أنامله.

— مدام سكية موجودة؟

— نعم، أنت مدام رنا التي تعمل معها في المكتبة؟ تفصلي!

وابتسم وأفسح لي قدحلت وصوت ضوضاء أطفال تعالي.. أشار لي أن أجلس في الصالون، واستأذن أن يكمل الدرس الخاص الذي يعطيه لبعض الطلبة في حجرة السفارة..

كنت أختلس النظر إلى ما تبدى لي من حجرة السفارة. كنت أرى الآن جزءًا من ظهره وأرى الطلبة الذين هم في سة ما من المرحلة الابتدائية.

كانوا مصدر الصخب والمزاح، وقد بدت على وجوههم راحة ما احتقت ما إن دخل رمزي - ابن السيدة سكية - وبدأ على كل منهم ذلك الخيال الضبابي الأرق الذي يعي لي أن موهتي السوداء قيد التفعيل.

كنت أرى ذلك التعبير على وجوههم الزرقاء، النظرة الخاوية والوجه الجامد الخشبي إلى حد كبير، ومن أطراف كل منهم تصاعد خيط دخاني أبيض مدّ رمزي يده في الهواء لالتقاطه..

كان يشرح بالإنجليزية بأسلوب غير مفهوم يتخلله العجلة والنظر إلى ساعته كل دقيقتين.

وضعتك على الكرسي وتسللت على أطراف أصابعي لألقي نظرة أفصل على مجموعة الطلبة. بطرف عيني أرى خيال السيدة سكية في غرفة نومها المضاءة تروح وتعدو.. بدا لي مع اقتراحي أكثر مجموعة أخرى من الطلبة من خلف

الجدار، زادت دهشتي عندما رأيت فتاة سمراء ضئيلة الحجم تشبه الوبين  
يظنها ذلك الصباب الأزرق، لكنني أرى حيالها الضبابي الأزرق بتوهم  
ويطلقني في تذبذب مرعع، وعلى وجهها الأصلي أرى دكاء لا شك فيه يجعل  
خلفها الصبابي مجرد نسخة أخرى باهتة لها، لكنه لا يملك ذلك الشكل الخشبي  
أو النظرة الخاوية.

أسمع رمري يشرح - أو لا يشرح للدقة - في عجلة، بينما تمسك الفتاة  
بالخيوط التي تمسكها إليه فتسرقها برقة فتتلاشى الخيوط كالدهان، إلا أنها  
تعاود التجمع ببطء مرة أخرى.

رفعت الفتاة يدها طالية الحديث، وهي زجاج الشرفة خلفها أرى انعكاس  
رمزي بشكل غمر واضح..

- أستاذ رمري.. تقول إن الكواكب في المجموعة الشمسية تسعة بينما أذكر  
في حصة الدين أن بي الله يوسف قال إنه رأى أحد عشر كوكبًا.. فايهم  
الأصح؟

سؤال بسيط طفولي، إذ من الواضح أن من يدرس لهم التربية الدينية لم يفر  
لهم معنى الآية، وأن الأحد عشر كوكبًا يمررون إلى أحوة يوسف عليه السلام  
وليس إلى الحقيقة الكونية. هذا بالإضافة إلى أن العلماء اكتشفوا مؤخرًا  
كوكبين إضافيين بعد سبعة كوكب بلوتو من قائمة الكواكب. إذن فلا  
شيء مؤكد حتى الآن! فلأطرح سبب رمزي..

أرى انعكاس رمري يرفع يده بحركة غير معهومة، لكن لم يملك موهبتي أرى  
أن الخيط في يده يلتف حول عنق الفتاة.. يجذب الخيط بقوة فأرى الصباب  
المحيط بالفتاة يكف عن التذبذب ويتخذ شكل الدمية الخشبية بشكل عيف.  
يجاهد صباب الفتاة كي يتحرر لكن قبضة رمري كانت قوية بحق..

- رشا.. حذرتك من قبل من استخدام اللغة العربية أثناء الدرس، ثم لم لا تكفي عن الأسئلة العبية وتركزي فيما يقال؟ لن تستفيدي شيئاً من سؤالك هذا، كما أنك تضيعين وقت زملائك الذين يريدون الاستفادة الحقة. احفظي ما أمليه عليك فهذا هو المسبح، ومنه سيأتي الامتحان

كان شديد اللهجة وكأنها سبته مثلاً.. ومع حذبه لخيوط الطلبة أخذوا في الهزيمة وإعلان امتعاضهم من غباء سؤالها!

- رنا! أهلاً يا أيتي!

يتأبى الارتباك وأنا واقفة على باب الصالون في وضع المنتصت بلا تفسير.. أيتسم في ارتباك وأحاول تبرير موقعي..

- أهلاً يا سيدتي.. آ.. خيل لي أن أحدهم ينادي علي.. هل كنت ناديتني؟!!!

- لا يا حبيتي.. ربما هي ضوضاء الأطفال في الدرس.. الطلبة يأتون لمرري من كافة المدارس كي يعطيهم دروساً خاصة، سمعته جيدة في هذا الصدد. تفضلتي..

أجلس وأنا أنفـس الصعداء وأحاول ألا أختلس الطر أكثر إلى الطلبة.. جلوسنا نثر في انفعال لدقائق، ثم وجدت أنني لا بد أن أطلب مطلبي الآن.. حكيت لها كل شيء، وطلبت منها مبلغ خمسمائة جنيه للتحاليل والأشعة..

بدا عليها الترحاب بالفكرة، وهمت أن تردّ لولا أنني رأيت الطفل الغامض إياه يتجسد من الكرسي الذي تجلس عليه ويسد رأسه على رأسها من الخلف.. في ثوانٍ تبدل وجهها وقطبت..

-.. رنا. من الصعب إقراصك كل هذا المبلغ، واعتذريني! فإن راتبك كله

أربعمئة جنيه تكفيك بالكاد، وإذا حصلت منها مبلغ ٥٠ جنيها شهريا  
فتضطرين إلى الاقتراض من مرة أخرى لسد مصاريفك، أما لو حصلت  
مبلغا أقل فمعناه أنني لن أسترده نقودي وأنا حبة! ثم إن مرض ابك غير خطير  
ويمكن تأجيله ريثما تدبرين المبلغ من أبيه..

ثم صحت معلية انتهاء اللقاء. أرى الطفل اللعين يتركها ويتسم بهتامة صفراء  
يحتمي بعدها. أشكرها وأقوم مرتجفة من الإحراج والخيرة. ألقى نظرة أخيرة  
على حجرة السفرة التي تبث لي كنها من مكاني على الباب فأرى صباب  
الطفلة رشاشا يده إلى مستعيث ثم فجأة تظهر رأس رمزي من الباب تنظر لي  
في حدة كأنه رأى استغاثة الطفلة بي.. أصنع الباب خلعي وأهرول بك حتى  
باب شقتنا..

لا أعلم بما بني كيف مرت علينا ربع ساعة من الهرولة تسابقت فيها في ذاكرتي  
لقطات مما رأيته عند السيدة سكية.. رشاش الخيط الملتف حول عنقها، الطفل  
الغامض اللعين الذي جعل السيدة الطيبة ترفض طلبي، وأحمر رمزي الذي  
بدأ وكأنه يعلم سرّي الصغير..

الآن فقط وأنا نائمة على سريرنا القيصاني يتراقص في ذهني هاجس ما.. ترى  
هل أشارت الطفلة لي أم لك!!!

\*\*\*\*\*

٢٠١٠ مارس

أول عيد للأم لي وأما أم فعلاً أحبك تعطيني اليوم كرة من كراتك الملونة وأما  
بعد نائمة، فأستيقظ على وجهك الصالح!

توجه معاً إلى المكتبة وأرى ما يحدث في عيد الحب يتكرر مجدداً.. كتاب من الأطفال يأتون حاملين مصروفهم الصغير لشراء هدايا بلا معنى لأمهاتهم.. مجرد عادة أحد حير منها أن يكتب كل طفل خطاب لوالدته بخطه المروح الحبيب بدلاً من شراء تلك الخطابات أو شهادات التقدير الجاهزة الباردة.. إلا أنني تذكرت إحدى صديقتي عندما صنعت لها ابتها الصغيرة بطاقة معايدة بأوراق مقصوصة من عيوات البطاطس المقلية المدونة البراقة، هدية غير مثقبة لكنها تحمل الحب ذاته بين أوراقها الملتصقة ببعضها نظرت إليها صديقتي ثم ألقت البطاقة حائلاً بلا تكرار وغمضت بشيء يشبه (هذا هو ما أفلحت فيه؟ إذا ادخرتني ثمن تلك الأكياس من البطاطس واشتريت لي شيئاً محترماً، إلى يكون ذلك أفضل لي ولك بدلاً من "بهذلة" الماصد باللاصق والأرضيات بالورق؟)، من يومها ولم تمسك الطمعة بورقة أو بقلم تلوين، وهجرت كل أنواع الفنون لتصير واحدة أخرى ممن يشترون طاقم الأكواب الزجاجية الفصحى إياه أو البطاقات الجاهزة العجبة..

لشد ما تؤثر الكلمة أو تعبير الوجه في الأطفال.. مجرد كلمة قد تغير مسار حياتهم للأبد..

ما زال أبوك مريضاً لا أعلم متى ستحسن صحته، أشعر بالشفقة عليه.. هل تعتقد فعلاً أن النساء أكثر قدرة على التعايش مع الهلوس؟ أم أنني مررت بمرحلة الدعر ذاتها حتى تأقلمت مع الوضع؟

كنت مشغولة بين بيع بطاقات عيد الأم ودمى الدببة الصغيرة حين دخل رمزي ابن السيدة سكينة من الباب..

كانت الساعة الثالثة تقريباً ويبدو من ملامحه أنه خرج من المدرسة حيث يعمل لتوّه. لا أعلم في أي مدرسة يعمل، ولم أره من يوم أن ذهبت إلى منزل والدته



إلا لما، لكسي لاحظت أنه يتسكع حول المكتبة كثيرًا، وكما حكيت لك  
فقد قابلناه - أنا وأنت - ((صدفة؟)) في السوق مرة، وعند السوبر ماركت  
الكبير الذي أنزهك فيه مرة أخرى. لقد أبدى يومها اهتمامًا خاصًا بك وأنت  
تركب عربة انتقاء البضائع الشكية هناك وتصفق وتصحك كلما دفعت بها.  
أعرب عن دهشته لكائك، لكك كنت محاذًا تمامًا تجاهه. لم يعب عن عباي  
لحظة يا بني ما فعله مع تلك الفتاة رشا ولا أعلم إلا م بشير..

اليوم دخل المكتبة وفي يده كيس بلاستيكي تنصاعد منه رائحة شهية. ابتسم  
وألقي السلام.. كن يبدو لطيفًا بريئًا عاديًا وليس من النوع الذي يلف الخيوط  
الدخانية حول أعناق الأطفال..

- ك ك ك كيف حالك يا م م مدام رشا؟ لقد شعرت بجوع ش ش ش شديد في  
طريقي إلى المنزل، وكنت أعلم أنه لا غداء لي اليوم..

لم أكن أعلم أن به عيب في نطق الحروف إلا حين قابلته أول مرة خارج منزله  
في السوق.. لعنة واضحة برعم أنه كان يتكلم بطلاقة مع الطلبة، ربما هو  
الارتباك؟ بدأ في فك كيس الشطائر وأدناه محمرتان. كنت ضحكة داخلي  
تلح على كعما رأيت شأها مازال يملك حمرة الخجل.. ليست سخرية يا بني  
وإنما نفس الضحكة التي أطلقها كلما رأيت في التلفاز كائنًا منقرضًا

- ا ا ا في المقابر اليوم ترور في قبر والدتها.. عادة سخرية تحرص عليها  
في عيد الأم لا يصيب م م م منها إلا الجوع

ومد يده لي بشطيرة دجاج مقلي. تناولها منه شاكرة وأنا بعد مشعولة باحمرار  
أذنيه والعرق المتصيب منه..

- هاهاها.. أحيانًا أتصور ا ا ا أن أمي هي بداية الجنس الأشياء ولا أتخيل لها  
ا ا ا أبدًا.. هاهاها..

ارتباك واضح في كلامه قرر بعدها ان يملأ فمه من شطيرته كي يكف عن الهراء. تذكر انني لا آكل فشجمني..

- بِسْمِ اللَّهِ هَاكَ الْمَرْبِدُ! لَقَدْ اِشْتَعْتُ لَكَ شَيْءَ شَطَاطِيرٍ، وَلَنْ تَأْكُلَنِي بِحَبِيبِي إِذَا أَكَلْتَهَا!

بدأت في الأكل فقد كنت جائعة ومضطر الطعام ورائحته شهية جداً.. خلال خمس دقائق ابتلع ثلاث شطائر على عجل وتجشأت في كفه ثم جلس ينظر إلي من طرف عبه.. أحياناً كان يمد يداً مداعبة لك لكي أشعر أن الهدف هو رؤيتي أنا.. ماذا يريد؟ هل لذلك علاقة بما حدث في مرثه؟ لكنه يبدو لي مختلفاً جداً عن ذلك الشاب المحيف الذي رمقي من باب حجرة السفارة يومها.. شاب عادي أميل إلى البراءة..

أحد يبحث في جواره في توتر للحظات ثم تارل حقيقته وأحد يبحث فيها .  
بدا عليه القلق .

— هل تبحث عن شيء يا أستاذ رمزي؟

-ها ها هاتني المحمول.. هل سيته في المدرسة أم سقط؟ لقد أجريت معه  
مكالمة عند محل الشطائر.. من س سرق؟ أأا.. هل يوجد هاتف هنا؟

أعلم أنه يعلم أنه لا يوجد لها هاتف مباشر. مجرد مساعدة أتحدث بها مع السيدة  
سكية إذا أرادت شيئاً وهي في شقتها.. بحث بعينه قليلاً ثم أشار إلى هاتفى  
المحمول..

- هل.. احم.. هل به رارا رعيد؟ هل أستطيع أن أتصل برقمي منه؟

كذبت أرفض لك شيئاً دفع رأسي لهنزها موافقة.. مد يده وضغط الأزرار في سرعة.. ثوان وكان هائجه يرن في حبيب مسترته الخفيفة..

أعطاني هاتفي وأخرج هاتفه من جيبه في ارتباك ولم يعلق . لست أمة البارحة  
يا بني ، وأسرة هي الثاية والثلاثين لن تتبع حيلة مراهقة كنتك .. حيلة لمعركة  
رقم هاتفي وأعطاني رقمه . لكن لأي عرص؟  
أحدث أبحث حولي عن الطفل العامض؛ فوجوده يعني خطراً عليك، لكني  
لم أجده .. هل الخطر عليّ أنا إذن أم أنه لا خطر هناك؟ مجرد معجب؟!  
قام ولملم أشبه واستودعي الله وأخرج في سرعة حصص الرأس ..  
هل تعلم يا بني ما معنى هذا؟!

\*\*\*\*\*

٢٧ مارس ٢٠١٠

..... لا أعلم حتى إلى أين ستتهي تلك التهرات من رمزي في  
المكتبة وأما لا أعرف ماذا يريد من أحاديثه المبعثرة، أو متى سيبدأ في استعمال  
رقمي الذي أحذه بالخدعة .. يا ليتة يفعل فأجد ذريعة لهرة أو سؤاله بشكل  
واضح عما يريد مباشرة ..

تعلم يا بني أن المطلقة هي أنثى من الدرجة الثاية يفترض فيها الناس البعي  
قبل أن يفترضوا الشرف .. هو لن يحبني بالتأكيد؛ فالعالم مليء بالعدراوات  
اللاتي يفترض فيهن الناس الشرف قبل أن يفترضوا البغي .. وإن أحبني، هل  
سيزوجني؟ من رابع المستحيالات أن توافق أمه أو أي من حوله أن يتزوج  
مصلحة معها طفل، بل وأكبر منه بعدة أعوام، هذا بالإضافة إلى أنني لست  
مطلقة فعلياً!

تري يا بني أن حياة المرأة مخوفة بالشراك على كل حاسب، وأفضل وضع  
للمرأة هو أن تظل عذراء بين السادسة عشرة والعشرين، وهو وضع لا يمر

بالمرأة إلا مرة واحدة كما تعلم ومن المستحيل الاحتفاظ به..

إن تروحت المرأة وطُففت فهي آثمّة، أو صبطها زوجها مع عشيقها ثلاث مرات على الأقل حتى طلقها، فلا يبقى لأحد أن يتزوجها مرة أخرى، حتى ذلك الرجل الذي صطته زوجته مع عشيقاته الثلاث عشرة مرة..

وإن تروحت المرأة ومات عنها زوجها فلن يتزوجها أحد أيضًا؛ لأنها ربما قتلت زوجها، أو نسبت له في جديّة، أو على أقل تقدير فإنها محس (قصفت) عمره مبكرًا عن عمر لم يتعدّ السبعين، وبذلك فإن الرجل اللطيف الأرملة الذي ماتت عنه زوجته عن عمر لم يتعدّ العشرين لا بد لنا من الوقوف بحاميه في فاجعته وتزويجه فتاة عذراء أصغر منها (هتقى إحداهن الرمن عليه؟!) حسًا بما حبي ليس الوضع بهذا السوء فلا تبش، لكنه قريب جدًا من ذلك.. فقط حاول أن تكون محتلمًا ولا تحمل أحكامًا مسبقة ضد الآخرين.. لقد بدأت في أن أضعلك اليوم بعضًا من ال.....

\*\*\*\*\*

١ أبريل ٢٠١٠

أنا مريضة جدًا... لا أستطيع الحركة ولا التنفس...

\*\*\*\*\*

٢ أبريل ٢٠١٠

أكاد لا أرى الصفحة أمامي لكنني أود أن أكتب لك أني أعتذر إن توقفت الآن عن إطعامك والد... تسبب في أي... مثال.... كارت شحن....

\*\*\*\*\*

١٠ أبريل ٢٠١٠

اليوم أكاد أنعم بطريقة طبيعية. أجلس على فراشي في مستشفى الحميات وقد أخذتك مال عندها بعد إصابتي بفيروس أنفلونزا شديداً.. لا ليس أفلورا طيور أو حازير لكه شيء، ما بما يحمله طلبة المدارس يومياً إلى المكتبة الصغيرة السيئة الشهيرة..

في اليوم التالي لإصابتي بالفيروس اللعين حاولت التحامل على نفسي والذهاب لجارتي بنية لكسي سقطت بعد أن حاولت الاتصال بمال فلم أجد لدي رصيد..

كنت أعلم أنك تكاد تهلك خوفاً لكنت كنت حالساً بجوارى واصفاً حدك الصغير فوق حدي وتداعب رأسي بكفك.. عندما سقطت كدت أموت حشية عليك! بدري تحاول الروول من سريرك العالي لتلحق بي.. لكن كل ما فعلته أنت هو الانطاح على بطنك والتلويح لي من حلف سور سفينة القراصنة فشعرت - مع حرارة الحمى - أنني أعرق تاركة إياك على متن سفينة قراصنة.. كنت أحقق من العدوى الشديدة، لكسي كنت أشعر أنني أغرق من مياه البحر.. أرى البحر يهتز ويترجف، وأتحيل أشرعته تنطير ويعلو الموح.. الموج المعطى بالسراويل!

أرى طعلاً ما يهتز توأحده في عيني فلا أدري إن كان موحوداً أم لا، لكنه كان معي في البحر الهائج.. وبعيداً عن دراعي الممدودة أرى هاتفي المحمول يبر ثم قائمة الأسماء تظهر تجرى الأسماء إلى الأعلى والأسفل ثم تثبت ويحرق الاتصال بأحدهم.. ثم أعيب عن الوعي احتشاقاً..

أنتع عياني لأجد منال ورمري والسيدة سكية يحيطونني في المستشفى وهم يرتدون الكمادات.. الآن أنا أواصل لكسي عرفت أن مال تلقت مكالمته لم

نرد عليها لأنها كانت رائعة ورأتها صباحاً ((مكالمة من هاتف بلا رصيد هـ ١٩))،  
ثم جاءت مكالمة أخرى علي رقم رمزي ((لماذا رقم رمزي وليست والدته ١٩))  
فسمع ذلك الأخير صوت بكائك، وعندما عاود الاتصال لم يرد أحد.. يوم  
كامل لم يرد أحد عليه ولم آتِ أنا إلى العمل ولم أعتذر.. توجه هو ووالدته إلى  
منزلي وكسروا الباب فوجدوني ملقاة على وجهي زرقاء اللون، والباقى أنت  
تعرفه..

اشتقت لك يا بني. لكسي لى أحاطر بقل العدوى لك خصوصاً أنك لم  
تلتقطها برغم ملاصقتك لي يومين كاملين..

\*\*\*\*\*

٢٢ أبريل ٢٠١٠

يا إلهي.. لا أعلم إلا م سيمضي بنا ما يحدث.. يزداد الوضع سوءاً وعدائية،  
وأمرت أنا قلماً عليك.. ماذا يريد هذا الطفل اللعين منك؟ لماذا لا يريد شفائك؟  
ماذا يستفيد من الإبقاء عليك مزدوح الجس هكذا؟ من هو أصلاً؟ ولم رهني  
هذه الموهبة التي أحالت حياتي وحياة كل من حولنا جحيماً؟

بعد عودتي من العمل اتصل بي والدك وأخبرني أنه في الإسكندرية وقد  
استقرت حالته.. هياتك لقدومه، وضفت البيت على عجل، وفي الساعة  
تماماً وجدته بطرق الباب..

لم أعرفه لأول وهلة، كان نحيلاً حتى اتسعت ملامحه التي أعرفها عليه، وهذا  
ذراعاه يطل من الكم القصر المتسع كالخرس.. يداري عينيه بالبطارة السوداء  
المعتادة.. خلعهما فرحلت عينيه عائرتين يحيطهما السواد والتجاعيد.. أدخلته  
في ترحاب، وحاولت أنت الوقوف على السرير متمسكا بالأشعة وأنت

تصحك وتشير له .. تسقط، فيهرول إليك ويحملك بجهد أظنه واضحاً ..  
خلع والدك حذاءيه وتربع إلى جوارك على السرير ناسياً كل شيء .. دخلت  
لصع الشاي مستمتعة بصحكاتك والأصوات الهزلية التي يصنعها  
زين لإضحائك .. لقد أصبح والدك أطيب بشكل ما بعد تلك الفترة من  
الغياب ..

أحدث أقلب السكر في الأكواب حين انقطعت ضحكات أيبك فجأة إلا  
أبك كنت تواصل حثه على المرید من اللعب ..

تركت الصينية حيث هي وخرجت لأجد زين يحتضنك ويخبي وجهك في  
صدره وهو ينظر إلى ركن الحجرة في ذعر وغضب .. نعم .. في الركن كان  
الطفل الأزرق اللعين وقد اكتسى باليون الأحمر، وأخذ يطرق مؤخرة رأسه  
مراراً في الجدار خيفه ويبحث الشرر تجاهك أنت وأيبك ..

تأكدت الآن من صحة ظني؛ فزين يراه، وهو من سبب له المرض كل تلك  
الفترة ..

هل أصرحه أنني أيضاً أرى الطفل العريب؟ وهل سيلحق الضرر بك إذا  
أعلنت ذلك لزين؟ حسبها في سرعة وقررت أن احتفظ بمعلوماتي لنفسى  
الآن وأتظاهر أنني لا أنظر إلى ذلك الركن .. عدت وأحضرت الصينية بما  
عليها، وباعدت بين الأكواب حتى لا تصطدم ببعضها فتكشف ارتجافي  
وتوترى ..

جلست على السرير أمامه حاجبة عنه رؤية الطفل الغامض فنظر أرضاً في  
ارتباك ووضعك بجانبه فوق ما لا يقل عن عشرة ألعاب وعشرات من قطع  
الملايس الخارجية منها والداخلية، وكلها من ماركات معروفة كدت أنني  
مرآها ..

كيف حالك يا رنا؟.. تعلمين.. أفتقدك أحياناً .. وأفتقد ابناً.. لقد كبر الآن! انظري إليه!؟

- هاهها نعم.. لقد كبر.. مرت فترة طويلة منذ أن رأيته في الحديثه . لكنها ليست بالطول الذي يجعلك تفقد كل هذا الورن.. ماذا حدث لك؟

شرح يحكي لي لكه لم يذكر عم كانت هلاوسه بالتحديد لقد وجدوا ورماً في عمه لكن ما كان يحير الأطباء هو عدم ثبات حجمه ومكانه، فضلاً عن أنهم أحياناً لا يجدون شيئاً في الأشعة على الإطلاق! قلة اليوم والأدوية العشوائية والاكثاب هو ما حوَّله إلى ذلك الشيء..

أكد أرى يا هي ذلك الطفل العامض يتشكل على صورة الأشعة دافعاً الأطباء إلى الجحون بالشكل المتغير للورم. حيلة سحيقة لا أدري معزاهاء، وكنت أتمنى أن أخبره بأن يترك كل هذا وراءه ولا يكثر لشيء..

- زين.. اترك كل هذا وراءك ولا تكثر لشيء، إن كان ورماً لثبت في مكانه على الأقل.. وإن كان شيئاً آخر مما يعرفه الأطباء لعرقوا أما إن كان شيئاً (ما) وتتركه حيث هو فلربما يتأثر سبباً بالفحص أو الأدوية الخاطئة..

- تعلمين يا رنا.. أفتقد ثقلك البسيط للكوارث ولأي شيء غامض.. أحياناً يصبح من المفيد أن يتعلم المرء أسلوب دهن الرأس في الرمال.. لا أقصد الإهانة ويعلم الله! فقط أنا أعجب لطريقة تفكيرك المسالمة..

تكمنا قليلاً وأعطيني بعض المال لشراء أي شيء ينقصنا.. أعلم أن ذلك المال لي أبا، فقد كان ينظر بالحاح إلى حالة ثيابي المزرية واتساعها علي.. أخذت المال وهو يكاد يحرقني في كفي إلا أنني أحتاجه فعلاً.. أحتاجه كي أعالجك أولاً، إلا أنه قاطع أفكاري..



- اما بالسمة لفحوص أسر فقد أتيت خصيصاً لهذا.. لصحة إلى المستشفى  
غداً ونجري له كل ما يحتاج..

كاد قلبي يشب سعادة لكنه وثب لشيء آخر، ترى هل يترك الطفل العامض  
لعالج اسأ؟ ماذا سيفعل بنا؟

اختسيت نظرة إلى الجدار خلفي فلم أجد الطفل.. مارلت عبر مطمئنة..  
دق الباب فارتدبت حجبي - لا تس أسى مارلت متزوجة من أبيك وبمكسي  
عك شعري طيباً (للطراوة) في تلك الشقة الحارقة - وذهبت لأفتح الباب..  
كان هذا هو أسوأ توقيت لأن يأتي رمزي حاملاً كيساً من الموز! همت له  
إنه من غير اللائق أن يأتي إلى بيتي وحده.. كنت أحمس فصاع الحرم من  
صوتي.. رمق رمزي حذاء رين وابتسم ابتسامة صفراء، ونظر إلي متعجفاً  
ملايسي ورحل دون تعليق!

أترأه يظن أن هناك رجلاً غريباً في بيتي؟! همسي وحذاء رين وعلمه أنني  
مطلقة.. ربما يجتمع كل هذا لإثبات التهمة الجاهرة لمطلقات..

أعلقت الباب وتنفست عمقاً ولم أحلع حجبي ليداري احمرار أدني..

- من؟

- جامع القمامة.. أتى لأخذ شهرته..

- أعطيتيه؟

- قلت له إننا مازلنا لم تبلغ أول الشهر..

لم يعنى رين، ولعب معك قليلاً، ثم قام مرتدياً نظارته وحذاءه.. مدّ يده إلى  
مقبض الباب ثم ترقف والتفت إلي وأنا أحملك..

- ربا.. أما رلت مصممة على الحياة هنا؟ يمكنك العودة والبقاء في القاهرة  
وأعدك أنني لن أقرب منك إلا إذا طلبت أنت ذلك..

- لا يا زين.. لقد انتهى كل شيء وأنا سعيدة ها.. آسرايك وبمحكك رؤيته  
منى شئت..

رحل رين فمددت ذراعك الصغيرة ناحية الشرفة.. أخذتك هناك فصحت  
أنت بصوت عال "أييس" تعي رين! التفت إليك مبتسما وملوئا بذراعه حين  
لاحظت أما عدة أمور في أقل من خمس ثوان.

١- أنت تناديه ولا تبسم بل تاديه كي يحسن شيئا..

٢- زين يروح لك وهو مستمر في عبور الشارع الضيق الهادئ ليركب  
سيارته..

٣- صوت محرك سيارة مسرع جدا يأتي من ناحية المدرسة..

٤- الطفل اللعين يركب على بطه فوق سقف السيارة المسرعة ويمد ذراعيه  
عبر سقفها ليغطي عيني السائق وهو يضحك في جوار..

٥- رمزي يقف تحت المنزل..

وفي أقل من ثوان اصطدمت السيارة بزين فطار خلفها مصطدئا بسيارته،  
ثم سقط أرضا بلا حراك، بينما تحطمت مقدمة السيارة التي صدمته حين  
انحرفت مختصة شجرة سمكة هناك..

نزلت مهرولة وأنا أصرخ ولا أجروا على لمس زين، عمر رمزي الشارع إلى في  
هدوء والمارة يتزاحمون.. وقف بحائي وهمس..

- أتركي كل شيء، كما هو.. لا تتدخل..

لمزيد من الكتب انقر هنا

جروب مصر الكتب

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

ورحل، يما اجتمع الناس محقلين. وفي شرفتي أرى الطفل العامص ممسكا  
بالأوراق المالية التي أعطائها ربي.. يشعلها بين كفيه وتشاقت رمادًا يحمله  
الهواء فوق الرؤوس..

~~~~~

لمزيد من الكتب انضمت

جروب **عصير الكتب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

من مجموعة صور

للطفل أسر

ملتقطة بهاتف رنا المحمول المتوسط الجودة

في أعوام متفرقة..

- صورة للطفل آسر في مستشفى فاجر يجلس بجانب والده المزمع بمقاتلات الشاش ودعمات الكسور.

يبدو في جانب الصورة طهر إياس زكريا تفعل شيئاً ما كي لا تظهر هي الصورة.

٢٠١٠-٥-١٠

\*\*\*\*\*

- آسر مع زين بمسك بعكاز الأخير في فضول أمام بوابة المستشفى الفاجر. زين يخفي وجهه عن الكاميرا ويصيحك..

٢٠١٠-٨-١٢

\*\*\*\*\*

- آسر يحتفل بعيد مولده الأول مع زين وربما في أحد مطاعم الوجبات السريعة.. آسر يرتدي زياً تنكرياً ما غير واضح، ويبدو زين هزئاً شاحباً..

٢٠١٠-٨-٣٠

\*\*\*\*\*

- آسر يلعب مع بعض الشخصيات التنكرية التي يوفرها المطعم الشهير في أعياد الميلاد..

٢٠١٠-٨-٣٠

\*\*\*\*\*

- المهرج العملاق شعار المطعم الشهير يحمل آسر ملوحاً للكاميرا، وآسر يحاول الإمساك بالأنف الأحمر للمهرج في فضول..

٢٠١٠-٨-٣٠

\*\*\*\*\*

- آسر يلتقط الصور مع دبابات الجيش يحمله جندي مبتسماً ويرفعه عاليًا ..

٢٠١١-٢-٢٠

\*\*\*\*\*

- آسر يرفع أصبعه الملون بأحمر الشفافة بجوار أصبع رنا الملون بحبر الاستفتاء

الوردي ويتسман ..

٢٠١١-٣-١٩

\*\*\*\*\*

- آسر مغطى بدهان برتقالي وهو ممسك بيكرة دهان إسفنجية وحلقه حائط

برتقالي في شارع ما ..

٢٠١١-٥-٢٢

\*\*\*\*\*

- آسر يحمله مجموعة شباب يظفون الشوارع ويقومون بدهان الحوائط

والأسوار في منطقة سيدي بشر بالإسكندرية ..

٢٠١١-٦-٨

\*\*\*\*\*

- صورة نهائية باستخدام خاصية التصوير الليلي لآسر مع بعض أطفال

الجيران . بعضهم في المرحلة الابتدائية ويبدو عليهم الوحوم .. إشارة بقلم

أحمر حول رأس أحدهم يبدو حلقه ما يشبه خيط دخاني ملتف حول عنقه

لكنه غير مرتقي ..

٢٠١١-٩-١٢

\*\*\*\*\*

- صور لمجموعة طلبة مع رمزي في المدرسة بعن التقية السابقة.. إشارات بالقلم الأحمر حول رؤوسهم ودائرة كبيرة حول كفي رمزي حيث يلتف حولها خيوط دحانية.. يبدو أسر في مقدمة الصورة عن طريق الخطأ..

٢٠١١-١٠-٢٠

\*\*\*\*\*

- مجموعة من رسومات لآسر ويبدو فيها أطفال ملونون بالدونين الأزرق والأحمر في أوضاع ثابتة وملامح جامدة.. رسم لطفل أحمر اللون يقف داخل أسوار مدرسة..

لمزيد من الكتب انضمت

جروب **عصر الكتب**

[FB.com/groups/Book.julce](https://www.facebook.com/groups/Book.julce)

من مجموعة صور لهم تالقطها رنا مهني..



- رسم لأطفال يخرج من رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم خطوط متعرجة طفولية تتجمع خارج الكادر.

\*\*\*\*\*

- صورة أشعة يذو فيها رأس مفصل المجد مهشم تمامًا . الأشعة مطبوع عليها اسم Zain Al-abedeen Roushdy Al-Gammal  
٢٠١٢-٢-٢٢

\*\*\*\*\*

- صور لأطفال في مدارس مختلفة التقطتها بعض أولياء الأمور.. حفل تخرج للصف الخامس الابتدائي في حديقة ليلاً. الأطفال ينظرون للكاسيرا في جمود بينما تتصاعد من رؤوسهم خطوط دخانية غير مرئية إلا لمن يعرف وجودها، تتجمع الخطوط في يد مديرة المدرسة رمادية الشعر..  
٢٠١٢-٢-٢٢

\*\*\*\*\*

- صور لاحتفال بعيد المعلم.. المدرسون المكرمون يقفون في صف يتسلمون شهادات تقدير، ويتصاعد من أيديهم وأرجلهم ورؤوسهم خطوط دخانية تتجمع خارج الكادر..  
٢٠١٣-٧-٢٧

\*\*\*\*\*

- بعض الصور لأحداث ومظاهرات بعد ثورة يناير يذو فيها مجموعات من الشباب تتصاعد منهم الخطوط الدخانية ذاتها ويذو عليهم الوجوم..  
٢٠١٤-٩-٢٥

\*\*\*\*\*

المزيد من الكتب الحصرية

جروب **مصر الكتب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

- صور لجثة قديمة لطفل محاط الفم معدود الأذنين بما يبدو أنه قطعتي  
صلصال.

٢٣-١٢-٢٠١٥

\*\*\*\*\*

- صور لحشمان الطفل أسر زين العابدين..

٢٣-١٢-٢٠١٥

\*\*\*\*\*

لمزيد من الكتب انظر به

جروب **بصر الكتب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

لمزيد من الكتب انضمت الي

جروب **عصر الكتب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

من يوميات منفردة كتبها لنا مهلى الى ابنها أسير في  
الفترة من يناير ٢٠١١ الى فبراير ٢٠١١

## التيار ٢٠١١

لم أذهب للعمل اليوم.. لم أذهب حتى لغسل وجهي.. حتى إنطارك لم أعد؛  
إذ لم أتركك من بين ذراعي من ساعة عودتنا من الخارج لبارحة.

يدي ترتعش وأنا أكتب.. أريد أن أحكي.. أريد أن أخرج ذلك الشيء من  
داخلي.. تلك اللمعة التي أصابتك فيما يبدو كما أصابتني..

لوقت قريب حسبت أنني سوف أعيش حياة طبيعية معك.. بضعة أشهر بعد  
حادث والدك لم يحدث فيها شيء ما ورأني..

أعتقد أنني إذا نعت ما قاله رمزي يوم الحادث وتركت كل شيء لشأه، نلت  
الراحة وارتاح خاطري.. لكن هيهات!

أراك قادمًا من المطبخ الآن مترنحًا حاملًا علبة ألجين والخبر.. منبتك مضحكة  
لكي لست في مزاج لأي تعبير نفسي، حتى الضحك لم أعد قادرة عليه..  
تلقي أنت الطعام على السرير ثم تسلق صاعدًا..

هل تنتظر يا بني دقائق ريشما أنهي مما أكتبه..

البارحة نزلت أنا وأنت كمعادتنا كل رأس سة.. تمشيًا على البحر وأكلنا  
الشطائر التي أعددتها منزليًا لنا.. كنت تضحك وتصفق كلما رأيت زينة  
رأس السنة والأنوار المتراقصة..

اتصل بي زهن وطلب أن يكلمك.. هياك بالعام الجديد واعتذر لي عن عدم  
قدومه بسبب حفلة السنوي الذي يقامه في شركته..

ذكرى تلك الحفلات تبت لي من مؤخرة ذاكرتي، وشعرت أنها ذكريات  
امرأة أخرى.. أرى الماضي بعيدًا وكأنه لم يحدث..

أصاحك أن تلك الذكرى قد عكّرت صفو يومي إلى حد ما مع إلحاح عقلي على تصور إناس في ذلك اليوم. هل ستلاحظ عينه المتعلقة بالسواء لأخريات؟ أم أنه قد أطلع عن هذه العادة؟ إن أطلع عنها، فهل ذلك بسبب كروبها وروحة أفصل مني أم بسبب ما حدث له مؤخرًا من حوادث وأمور ضُت أنها ستؤثر على سلامة عقله إلى الأبد...؟

شعر أنه زين آخر الآن. زين لمت نفسي مرارًا على قراري الانفصال عنه.. ربما إن كنت قد صبرت فترة أطول لكان قد تغير إلى ما هو عليه الآن.. ربما كنا نشارك موهبتنا السوداء سويًا فلا يتهم أحدهما الآخر بالجنون..

في الساعة الثامنة أمسكت بكفك الصغيرة وأخبرت أن علينا العودة إلى المنزل لكنك رفضت.. حذبتك برفق لكسي شعرت بأنك مثبت إلى المقعد بشكل ما..

طلبت أنت مني أن أجلس قليلًا وأن تلعب بالمكعبات التي اشتريتها لك اليوم هنا..

لم أستطع الرفض أمام براءة لعنتك الوليدة وابتسامتك الآسرة..

جلسنا على المقعد الخشبي مرة أخرى وتركتك تلعب وسرحت أنا.....

هاهاها! أنت الآن تمد يدك نحوي بشظيرة صنعتها لي! كماك محتفنان وراء طبقة من الجبن والشظيرة ممثلة عن آخرها برقع كيلو الجبن كاملاً كما وضعت فيها!

لطالما شعرت يا بني أنك أنت من يعطي الحنان ولست أنا، لطالما شعرت أن ما بداخلك أكبر من أن يسعه جسدك الصغير..

أبتسم وأصلح الشظيرة وأعطيتها لك.. تأكلها وأنت تلعب على السرير

بكراتك الملونة.. ليس لي أي شهية للطعام بعد كمية الدماء والأوصال المتناثرة  
التي رأيتها أمس..

ظلمت أنت تلعب بالأمس وتصنع أشكالاً لا أعلم كيف تخيلتها.. كنت بارعاً  
حقاً وشديد السرعة..

أخرجت هاتفي وعدلته إلى خاصية التصوير الليلي والنقطت لك بعض الصور  
وأنت تصنع أشكالك.. في إحدى الصور ظهرت في خلفية صورتك ساق  
فتاة شابة عابرة خلفك.. من مقدمة حداثها أرى ظلاً دحانياً أبيض اللون يمتد  
إلى أعلى..

ظلت أنه عيب في الكاميرا أو هي الصورة، لكن الأمر معي يختلف.. لا بد  
أنني أرى ما أراه فعلاً..

وجهت كاميرا هاتفي إلى ذات الفتاة مرة أخرى وحاولت أن تظهر في الصورة  
كاملة.. التقطتها بعد أن ضبطت زر التصوير اليدوي مرة أخرى..

أرى الخيوط الدحانية اللينة في الصورة تمتد من أيديها وأرجلها ورأسها إلى  
الفراغ خلفها ثم يحتفي طرفها تدريجياً في الهواء..

إذن فالكاميرا ترى من المروعة السوداء ما لا أراه أنا بعيني.. لا أرى سوى  
الأطوال بينما تستطيع الكاميرا أن ترى خيوط الكار أيضاً..

شرعت أصوب كاميرتي كالمجونة نحو المازين فكانت الصور مهتزة قليلاً بفعل  
خاصية التصوير الليلي لكن بعض الناس كانوا يلاحظون خيوط على الإطلاق..

إذن فما أراه صحيحاً إذ ليس كل البشر يلاحظون دحانية..

صوبت الكاميرا نحو وجهي وأنا أرتجف.. ضغطت على الزر وانتظرت ثواني  
مئبة الكاميرا بحوي حتى أحصل على أفضل صورة..

بطرت فوجدتني بلا خيوط .. تفست الصعداء وأمرتك أن تجمع حاجياتك .  
رحوتني أن تمكث أكثر فجمعت أنا لعبك وحملتك حملاً وأنت تحرك ساقيك  
رافضاً في الهواء ..

توجهت رأساً إلى معمل تخميض وبرعت شريحة الذاكرة من هاتمي وطلبت  
تخميض تلك الصور .. الآن ..

طلب مني الموظف أن أنتظر ساعتين على الأقل ..

عدت بث إلى مكانا على الشاطئ ولا أعلم كيف نمت أنت على ساقي وأنا  
بعد شاردة لا أذكر مما شردت فيه شيئاً ..

في الساعة الحادية عشرة عدت إلى معمل التصوير فحاولني الموظف ظرفاً  
به الصور واعتذر لي عن عدم جودتها إذ يبدو أن الكاميرا ضعيفة بعض  
الشيء ..

فتحت الظرف بيد واحدة وأنا أحملك بالأخرى فوجدت الصور كما التقطها  
الهاتف تماماً ..

ناديت على الموظف مبتسمة وأنا أشعر بجاني في يهتران ..

- آ.. لو سمحت .. هل ترى تلك الخيوط البيضاء؟

وأشرت له إلى الخيوط الدخابة كما أراها ..

- لا أدري بالضبط إلا تم تشيرين .. لا أراها بوضوح .. ربما كانت موجودة لأن  
التصوير الليلي يقلل من جودة الصور ..

فردت الصور أمامه على الكاونتر في عصبية وأخذت أعدد له مواضعها في  
الصور ..



حك عنقه وابتسم في حرج..

- عموا سيدتي.. لا أرى شيئاً واضحاً..

وهز رأسه وانصرف إلى زهون آخر..

حملتك نانماً وممرت في بطن متجهين إلى المنزل.

استيقظت فجأة وأنت تلتفت حولك في قلق.. كما بالقرب من شارع حويل حمادة.. فظلت تشير إلى ذلك الشارع وتكرر "ها يا ماما.. من هنا..".  
ابتسمت وممرت بك فيه؛ فلم تكن المرة الأولى التي نسير فيها في ذلك الشارع معاً، إضافة إلى أنه يؤدي بنا إلى شارعاً أيضاً..

من بعيد سمعت صوت صواريخ احتفالاً برأس السنة.. نظرت إليها أنت واجمأ ثم أمسكت رأسي بكلتا كفيك وقتت..

- ماما.. كيلة!

- كيلة؟ هاهاها.. ليست قبلة يا حبيبي، هذه صواريخ ملونة وجميلة انظر..

- ماما.. لا.. كيلة.. كيلة!

مشيت أنا عدة خطوات ثم ثيت أنت جسدك فدفعتني ونزلت إلى الأرض حاملاً كيس المكعبات.. أخذت تلتفت حولك وتمسك رأسك من حين إلى آخر ثم مشيت في الشارع وحدك دون أن تنظر إلي.. هرولت خلفك فعدت لي جرياً واحتضنت ساقي..

شعرت ببرودة غريبة فيهما، وحين تركتهما وجريت لم أستطع أن أبقلهما من الأرض!

طللت أبادي عليك .. سبتك .. لكك ظلت تجري كما لم تحر من قبل ..  
طلت أشير إلى الناس من حولي وأبشدهم أن يحسك بك أحدهم لكهم طلوا  
يرمقوني في فصول ولم يتوقف أحد ..

طلت أصرخ وتعالى أصوات الصواريخ وهرح الناس .. فجأة لم أعد أسمع  
شيئا .. لم أعد أر شيئا إلاك .. تقف في منتصف الشارع بين المسجد والكنيسة ..  
تلقت حولك وتقطب جييك ..

أسمع صوتي بطينا وأنا يادي عليك .. أسمع صوتك بعيدا في ذهني وأرى  
شريك تحركان ببطء وكأنك تهمس ..

— ماما .. لا تخافي !

أرى هالة بيضاء تتكون حولك .. تنمو منها ما يشبه الأشعة البيضاء .. ترحه  
الأشعة إلى جميع المارين من حولك .. أرى أجسادا تلعظها بعيدا دون أن  
تدرك وجودها .. أراها تلنف حول الأطفال .. يتجمدون لحظات وينظرون  
نحورك ..

أشاهد سيارة تفجر هاك ..

موجة نضاغطية عارمة أسقطني أرضا وأنا أبعد عن مكانها أكثر من ثلاثين  
مترا .. تتوهج هالتك وتلعظ بعيدا مئات الشطايا المعدنية عمين هم يداحلها ..  
أرى أشلاء تتطاير .. أبوابا تفلع .. رجائجا يتهشم .. صراخا يتر ..  
ثوان معدودة كانت كميلة بسف كل من كان بالمسجد والكنيسة وما بينهما ..  
الصراخ يعلو وما زالت قدمي منتصفان بالأسفلت ..

أرى هالتك تضعف وتتذبذب .. يقوم الأطفال الذي حمتهم هالتك وينظرون  
حولهم في ذعر ..

أراك تسقط.. تمسك رأسك.. تحاول صنع هالة أخرى.. لم أدر وقتها أن الانفجارات لم تنته بعد.. سقط قبي في قلبي حين وجدت الطفل الأرق يتجسد بجانبك.. يتكون من رمال تبت من الأرض ثم تساقط عنه تدريجاً إلى أن ينضج لي بالكامل.. يجثم فوقك وأنت متكور حول نفسك على الأرض.. يسحب الهالات البيض المحيطة بالأطفال الآخرين والتي صنعتها أنت لهم.. تتوهج الهالة حولكما ثم يدوي الانفجار الثاني..

يارب.. ساعدني كي أسي ما رأيت.. لقد نسف الانفجار الأعمال الباقية.. أعطني وجهي بكفي وأصرح.. أبكي..

تمت عقدة ساقني فأمرول على أربع إليك.. أتخشى أن يدوسني الناس.. أحبك مارلت في وضع يشبه السجود وقد انصق شعرك على جيبك وعبيك.. أحمل وجهك الصغير وأضمه لي، وأرى السماء تسيل من أنفك وتغطي فمك..

مكباتك متائرة في كل صوب..



بأقبي ما كتبته لنا مهلى إلى ابنها أسير في يناير ٢٠١١

أحملك وأجري...

يستوقفني البعض لكنني لن أقف..

من بين دراعي أجلك تنف ذراعيك حول رقبتى ونهمس..

- لم أتي؟.. الأطفال ماتوا.. كلهم..

كنت أبكي وقد ضاعت الاتجاهات مني.. لا أدري أين أذهب بك..

جلست على الرصيف واحتصتتك.. لم يولني أحد أي اهتمام؛ فقد كانت الانفجارات هي شغل الناس الشاغل.. الكل يهرع للمساعدة..

خاطر سحيق يحظر لي.. لم تحدث لي الكوارث في رأس السنة..! أضحت وأبكي.. تقوم أنت ماسحاً الدماء في كعك ثم تقبلي.. تهمس لي أنك بحير وأنت تريد العودة للمنزل..

لا أدري أأحزن على من استحالوا أشلاء أمام عيني؟ أم أحزن على ما اكتشفت من مواهب سوداء دفينه فيك..؟

كيف عرفت أنه سيكون هناك انفجار؟ وما تلك الهالة التي حميت بها البعض ورفضها البعض الآخر؟ لم يحمك الطفل العامض منذ البداية؟ هل عرف أن هالك لم تصمد للانفجار التالي؟ لم يحم الأطفال الآخرين وقرر سحب حمايتك لهم لتحجم نفسك بها؟!

لماذا يحافظ هذا الطفل على حياتك أنت تحديدًا؟! ماذا يخبئه لنا العدد 11؟

\*\*\*\*\*

٥ يناير ٢٠١١

أبي الحبيب.. لقد أصاب الجميع الجنون مؤخرًا بعد حادث تفجير الكنيسة.. الكل يتحدث ويستعج دون أي دلائل، ثم يأمر الجميع بالحياة وفقًا لاستنتاجاته..

لم أصادف أحدًا من موات بسمعي كلمة "لا أدري" أو "لا أعلم".. صرنا جميعًا خيلاء في كل شيء والحمد لله.. هكذا ركزت بحيرة المعرفة؛ إذ لم يعد أحد راغبًا في الارتشاف منها.. من لا يعلم صار مصدر معلوماته هم "الفتاين" العظام.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٢٠ يناير ٢٠١١

الوضع مقلق ويتندر بعض الشباب في موقع العيس بوك بقيام ثورة في مصر أسوة بما حدث في تونس، ويحطط البعض الآخر لقيامها فعلاً يوم ٢٥ يناير ١١

يقول الفتاؤون في التلفاز إن مصر ليست تونس ولن يحدث شيء، إن هي إلا مظاهرات سويصات قليلة وتفرقهم عصي الأس المركري إن تفاقم الأمر..

لا أعلم إن كان من يرغبون في الثورة قد نظموا الأمر جيداً أم هو الارتجال؟.. الأوضاع لا تحتل ارتجالاً لكن من يسمع كلام أم شحطاء مثلي؟!! دع الفتيا للفتاتين، والثورة للشوريين، وآسر لأمه الحبيبة كي تلهم خديه الباضجين!!

\*\*\*\*\*

٢١ يناير ٢٠١١

مرت أسابيع ثلاثة على اليوم المشؤوم.. لم يتت الحديث عنه إلا أن الأنظر الآن قد أهملته وتوجهت إلى الاضطرابات السياسية الشيككة..

لا أفقه شيئاً في السياسة لذا لن أكتب إليك ما من شأنه تشويش رؤيتك المستقبلية للأحداث عند قراءة هذه السطور إن شاء الله، ولكنني أكتفي بالاحتفاظ بما أراه مهماً من الأخبار في الخرائد وأضعها لك في ملف تقروه أنت عندما يشاء الله..

لكنني أرى تيدلاً واضحاً في شخصيتك من يوم الحادث.. قلّ كلامك وإن كنت مارلت بشوشاً عندما أنظر إليك فقط.. وعندما أراقبك من بعيد أحذك منهمكاً في الرسم..

ترسم ما يبدو أنهم أطفال ذوي أجحة.. ترسم مربعات فوقه مستطيل عمودي

عليه وآخر مثله عليه علامة رائد صغيرة.. تقول لي إن هذا جامع وذاك  
كنيسة!

أتمنى أن أحد من يصنع لك اختباراً علمياً في الذكاء، فأنا لم أر قط أو أسمع  
عن طفل في ذكائك وقوة ملاحظتك بل وقدراتك اللغوية.. أنت لم تكمل  
العامين بعد!!

كيف تمشي هكذا وتفهم وتحدث.. أي قدرات ستملك حين تصبح  
شأياً!!

كم أود لو أشارك أي شخص حيرتي، لكن اتهمني بالجنون والتروير في مسك  
الحقيقي هو أقرب رد فعل لما سأقول...

أشعر بتحسن الآن.. أريد أن أضحك إليّ وأمام مرة أخرى...

\*\*\*\*\*

٢٦ يناير ٢٠١١

الأوضاع مقلقة فعلاً.. يبدو أنها ثورة فعلاً وليست مظاهرات!

\*\*\*\*\*

١١ فبراير ٢٠١١

مازلت أرتجف كلما سمعت عن بلطجية يقتحمون المباني المجاورة.. يقف معاً  
في الشرفة نرمتي اللجان الشعبية والشباب المسلحين كيفما اتفق هنا وهناك..  
يقف أهالي الشارع معاً، وانعجب من الطرف الذي جمع بين أولئك جميعاً..  
أناس لم يكونوا يلتقوا السلام على بعضهم إذا تقابلوا..

سكان الأبراج وسكان المنازل وسكان المساكن البسيطة المتهدمة.. طلبة  
وعمال وأطباء.. دايت بينهم الطلقات، فجلس الجميع يتسامرون مستعينين  
على طول الليل وبرودته بالشاي والحديث عن السياسة..

يدورون الليل متوترين كدهول القطط.. يهرعون من أول الشارع إلى آخره إذا  
سمعوا أي صوت.. تحصى ساعة نلوا الأحرى، وتناقل الخطي فيجلس البعض  
ويتمشي البعض الآخر رائحة غاديا على طول الشارع..

يداعب العباس جفوني فاعذ كوتا من القهوة وأجلس في الشرفة.. أخاف أن  
يسلّل أحدهم إلّا في غفلة من الرجال في الشارع..

أعود فأجد أن البعض قد نام فعلاً والبعض قد اتخذ من مداخل البيوت  
حصونا دافئة.. يدور صاحب المقهى الصغير عليهم بأكواب الشاي الساحنة  
ثم يجلس معهم رائحة صوته بالغاء..

صوت خشن متآكل لكن صدهاء في الشارع الخالي والبرد ملأني شجنا..  
أدندن بصوت هاس وأنا أداعب شعرك إذ عفوت على صدري متدثرا  
بطانية صغيرة..

-...- له تسكني للزمن.. اتكلمي.. له تدفعني وحدك الثمن.. اتكلمي..  
يمر عزت زوج أخت جارتني بثينة من تحت الشرفة فيلمحنني.. يخفض وجهه  
إلى الأرض صانحا..

- السلام عليكم يا أسر.. ادخلوا لتساموا.. لا تخشوا شيئا..

لم يتظر الرد وانعطف يمينا بحانب المدرسة هو والشابان المرافقان وهو ما زال  
يخبط بعصاه الغليظة الأرض..

-...- أنا ابن كل اللي صابك.. رمسيس وأحمس وميا.. كل اللي زرعوا في

واديثا.. حكمة تضلل علينا..

تطل بثية من شرفتها المجاورة وتسألني..

- لماذا لم تنامي يا אחتي؟ الجو بارد على الولد.. أكن هذا عرت؟

- نعم... سأدخل الآن..

وأقوم حاملة إياك.. الجو بارد بالداخل كما هو بالخارج.. لا شيء، معج الدفء،  
قدر الصعبة البشرية..

أصعك على السرير وأمسك هاتفك المحمول.. أتصل بزين ثم أقطع المكالمات قل  
أن يرن الجرس.. الساعة الآن الثانية صباحا.. لا يصح أن أتصل به الآن..  
مسال مائنة بالطبع.. أقب أمام رقم رمزي لوهلة..

قابلته اليوم صباحا في المكتبة.. لا توجد دراسة الآن وأنا أذهب إلى المكتبة  
وأعود قبل ميعاد حطر النجوال يوقت كاف..

كان لا يذكر شيئا عن يوم حادث أبيك، ولا يذكر إلا أنه ذهب إلى داري وأسي  
طرده لك لم يعصب؟ لأنه كان تصرفا غير لائق منه من البداية، ولا يعلم حتى  
كيف واثته الجراءة للقيام به..

تبادلا بضع كلمات عن الأحوال الجارية ثم رحل..

أصارحك أنني استعيد أحيانا طريقة كلامه المتلذذة وأتسى سماعها مرة  
أخرى.. لكنني أعلم أنني بحاجة لأي بشري.. لأي رجل.. هناك عدة أنواع  
من الحسان، منها حسان وحدهم الرجال قادرين على إعطائه للمرأة.. حسان  
يشعرها أنها بأمان ولن تحمل هم شيء بعد اليوم..

صوت القرآن من المسجد يشعري بالاطمئنان.. يمكنك أن أمال تسطا من  
الراحة الآن..





١٥ فبراير ٢٠١٥

الصعظ العصي بمرقي.. ما عدت أستطيع النوم أو التركيز في عملي.. لم أعد أستطيع اللعب معك وأنت أيضاً فقدت مرححك القديم، وصرت أكبر من عمرك بثلاثين عاماً على الأقل..

لا أستطيع إلا التفكير في الحادث والصور والوحدة.. والخطر المحدق بما من كل الجواب.. سواء الصيرقي منه أو الميتافيزيقي..

أشعر بضعف شديد.. منذ ساعات أنت سال لرؤيتي في المكينة، وقد لاحظت بحولي حتى كدت اختفي فلا يثبقي مي إلا رأس يتدلى منه ملابس

في شروء أخرجت مظروف الصور من حقبتني وناولتها ياه طالبة منها أن ترى إن كان هناك شيء غير طبيعي .

كما كتبت لك أمس إنني أصبحت مهووسة بالتصوير.. أفت في الشرفة وأصور أي شخص يمر حتى ليحسني الناس جاسوسة إسرائيلية ممن امتلأت بهم البلاد كما يزعمون في الجرائد..

لاحظت أن خاصية التصوير الليلي فقط هي التي تستطيع التقاط تلك الخيوط الدخانية، لاحظت أيضاً أن الأطفال فقط دون سن المدرسة أو أكبر قليلاً هم من يتمكنون هالات مبررة تبين انفعالاتهم.. عزوت ذلك إلى كونهم أطفالاً لم يسيطر أحد على مشاعرهم بشكل كامل بعد، بل وأغلب البالغين مربوطون إلى شيء حمي بتلك الخيوط، وأنهم بالفعل استحالوا دمي في.. في يد من؟

لاحظت كذلك أن كبار السن لا تربطهم أي خيوط.. أذن هي لعبة جيل معين؟ أم أن كبار السن يعحرر المرء من تلك الخيوط؟ ترى كبار السن لم يعد لهم دوراً في المجتمع ويود الجميع الخلاص منهم، وتنتفك فكرة ترد مؤخراً بشكل مكثف على ألسنة بعض "الثورية" ومن يركزون المواجهة من صحفيين

وإعلاميين، متأسين أنهم هم شخصيًا فوق الس الذي يادون بحوره من على وجه البسيطة..

هل هو عحطت بقع جذور تة حافة المروع من الأصل؟! جيل لا جذر له ولا فرع هو جيل تذروه هبة هواء واحدة..

أحدث مال تبحث في الصور عن شيء غريب لكنها لم تجد..

- ربما.. لا أجد شيئًا.. لماذا تستخدمين خاصية التصوير الليلي بهار؟! هل ستوجهين إلى التصوير التأثيري؟!

كانت مريم ابتها تحول بين معروضات المكبة في غير فضول وترمق أمها من حين لآخر بنظرة لا أفهمها..

خطر لي أن أصور منال نفسها..

- لا أعلم يا منال.. فقط أجد الصور أجمل وأعرب بهذا الشكل.. ربما.. ربما تريني ما لا تظهره الصور العادية.. أعني من ألوان وظلال وما إلى ذلك.. ربما أتجه للتصوير كما قلت.. لم لا؟!

صحكت مال وشرعت تحكي لي عن البات وعن رشدي و..

- منال.. أريد أن ألقط لك صورة "تأثيرية" لير كيف متبدلين

وصويت هاتمي نحوها دون أن انتظر ردًا وأنا أحاول الضحك كي لا تشك في شيء.. ظهرت الصورة وكانت تغطي وجهها بكفيها، لكن ما يهمني في وجهها؟!

في الصورة تظهر مال تتصاعد منها ذات الخيوط الدعيرة، لكن.....

الخيوط تنجه في يد مريم التي ترمقها في نظرة شيطانية، يسما يلتف أحد تلك

الخياط حول عيني مثال من تحت كفيها!

- هل جئت يا ربنا؟! أريني الصورة! يا ساتر.. أ

وتحتطف الهاتف من يدي وهي تضحك وتقوم بمحو الصورة ثم تعده لي..

- حسناً.. أخبريني الآن ما بك؟! أنت لست طبيعية بالمرّة وموضوع التصوير هذا..

نظرت إلى ساعتني فوجدتها الواحدة.. اعتذرت لها لأنني لا بد من أن أغلق

المكتبة الآن لأعود للمنزل قبل حظر التجوال بوقت كاف فلا أريد أن أعود

لأجد أنني قد نسيت شيئاً وأصطر إلى الرجول لشرائه في وقت الحظر..

كلام لا معنى له تقريباً لكنها وجدتي أهم بخلق بوابة المكتبة وهي مازالت هي

الداخل..

أظنها غضبت مني أو ظلت بعقلي الطون.. سحبت ابتها وأشارت لي أن "إلى

اللقاء"، وسارت متجهة إلى الشارع الرئيسي لتركب إلى منزلها..

ظللت واقفة أحملك حتى غابت عن باطري.. تذكرت أنني تركت الصور

متناثرة بالداخل فعدت لأخذها واستدرت لأجد رمزي الذي أصابه الذعر

من دُعري عندما فوجئت بوحوده.. سقطت الصور من يدي وتناثرت على

الأرض..

- ر.. ر.. ربما! آ.. آ.. آسف إن كنت قد فاجأتك!

- لا.. لا شيء..

وانحني يجمع الصور فوضعتك أرضاً لأجمعها معه.. لمعت أنت يديك

حوله كي تحتصه فابتسم ولف ذراعه حولك وكادت يده إحدى الصور.

وقع نظره عليها فتغيرت ملامحه..

\*\*\*\*\*

بأقبي ما كتبتة ربا مهلى إلى إنها أسير في ١٥ فبراير ٢٠١١

أطلق رمري سراحك وركع على الأرض يقارن صورة بأخرى.

- ما هذا؟ م. م. ما هذه الصور؟ هذه.. هذه الخطوط البيضاء.. هل هو عيب في الكاميرا؟

طفت قلبي يذق كإفخاع موسيقى أفريقية وتصاعد الدم إلى رأسي..

- هل.. هل تراها؟

- نعم لكن ما هي؟ لا.. ليس عيب كاميرا.. لديك صور هنا بلا خطوط  
ب. ب.. بل. انظري. إنها ليست عشوائية. يبدو أنها تمر من....

- من رؤوس وأيدي وأرجل الناس..

- نعم بالضغط! كأنها حيوط دمي ماريونيت!

جمعت الصور ووقفا أمام الكاونتر سطر إلى بعضنا لدقائق..

لم أكن أريد الوقوف أمامه أكثر. أحتاجه بشدة وخصوصاً أنه رأى ما أراه..  
هل لهذا علاقة بعائتك له حاصة وأنت لم تفعلها من قبل؟

جمعت صورتي ودون حرف واحد حملتك وانطلقت حرياً إلى المنزل..

أتذكر الآن ما حدث ولا أدري حقيقة ما أشعر به تجاه أي شيء.. هل تعرف  
أنت؟

\*\*\*\*\*

## ١٦ فبراير ٢٠١١ (الأوراق مقلعة من المفكرة ومطوية بداخلها)

أسي الحبيب.. لا أدري كيف سمحت لنفسي أن يحدث ما حدث.. توقفت كثيراً قبل أن أكتب إليك.. ربما أفرق تلك الصفحة لاحقاً إذا ندمت على إخبارك بما حدث..

لقد أصبحت الكتابة عادة لدي لأحفظ من عبء وحدثني، وأشعر كثيراً بالراحة بعد سكب ما في رأسي على الورق. شعور قديم كنت أشعر به بعد انتهاء أدائي لامتحان مادة أسقتها. بعد انتهاء الامتحان كنت أشعر بحفة غير عادية وكأنني نخلصت من عبء المادة على الورق وصار الآن من حقني أن أنسى كل شيء عنها.. كل شيء..

بالأمس في حوالي الساعة الرابعة وبعد عودتي من المكتبة وحدث من يفرع الباب.. نظرت من العين السحرية فوجدته رمزي وقد صارت جبهته مواجهة للعدسة فعدت كصحراء صفراء ممتدة..

ارتديت إسداً على عجل وفتحت الباب قبل أن أفكر..

وحدثه واقفاً هناك ينسم في حرج وفي يده كيس به شطائر لا أعلم ما سبب ولع هذا الرجل بحمل الطعام إلي كلما رأي! هل ليحولي سبب في هذا، أم أنه يذفر نوتره عدد ملاقاتي في الطعام..؟

- كيف أتيت؟ حظراً..

- أ.. أ.. أسير في ش.. ش.. شوارع جانبية فلا يجدني أحد.. أ.. ك.. ك.. كل يفعل ذلك.. من الصعب تواجد الأمن في الأزقة..

ثم مد يده لي بالصورة التي كان يمسكها عندما كنا في المكتبة..

- نه.. نه.. نسيت هذه في فرارك..

تاولت منه الصورة شاكرة وأفسحت له الطريق كي يدخل..

دخل بصع خطوات وبظرة مصوب إلى الأرض.. أتيت له بالكروسي الوحيد  
يجلس حيث يقف بعيداً عن السرير لف الكروسي ووجهه إلى الباب ثم  
جلس مخرجاً.. مدّ إلي كيس الشطائر وهمس..

— لقمة خفيفة..!

أحدث الشطائر ووضعها في طبق كبير وأنزلت من على السرير لتأكل  
معا.. حملك رمري وأجلسك على فخذه وأعطاك قطعة من الشطيرة، بينما  
ارتكبت أنا على منصدة الكمبيوتر نصف جالسة مارلت عجلات المضدة  
لأسقط أرضاً في وضع محزناً!

هرع رمري ماداً يده إلي فأمسكتها للحظة دون تفكير، ثم قدّرت أنني أستطيع  
الهرض دون مساعدة..

— ارتاحي أنت هنا ولا حصر جريدة تقترشها ونجلس جميعاً على الأرض.  
لا مشاكل..

وفتح حقيبته وأخرج جريدة اليوم.. تفحص ورقة منها ثم قطع منها جزءاً  
صغيراً ووضعها في جيبه..

— لقط الجلالة.. أبحث عنه قبل افتراش أي جريدة.. هاهاها.. عادة ورثتها  
عن أمي..

ابتسمت لتصرفه المهدب المتدين وجلستنا نأكل في صمت..

إن شاء تاولنا الشاي أخذ رمري ينظر في شروء إلى الصورة التي أخذتها منه حين  
أنني ووضعتها على منصدة الكمبيوتر خلفي فأنزلت أرضاً حين سقطت..  
سمحت لنفسي أن أتأمل ملامحه في الضوء الخافت القادم من خصائص المائدة

المعلق ..

كان شعره مجعدًا لکه ليس حشًا وقد تراجع للحلف من جانبي رأسه قبلاً  
رغم سنه الصغيرة .. عيناه ضيقتان كثيفتا الرموش تجعلهما النظارة الطيبة  
تدوأل أصغر من حجمهما مع إحصاء لونهما الحقيقي الذي لا أدري ما هو .  
أنه عظمية طويلة تدكرني بأف مثال الإسكندر في مدخل مكتبة  
الإسكندرية ..

شعناه ممتلئان في توارن، وذقه النصف نامة ترسل أشواكها في كل اتجاه ..  
ملاحه تعطيني انطباعًا بأنني أعرفه منذ زمن .. ملامح مألوفة عند أعب  
المصريين، إلا أنني لا أجد من ملامح أمه في وجهه شيئاً ..

نظر بحري ثم قطب، فأدركت أنه شعر بتحديثي في وجهه فاطرقت  
أرضاً ..

- هـ .. هـ .. هل من الممكن أن أرى باقي الصور .. ا .. ا .. إن لم يكن فيها  
صور لشيء خاص ..

بهضت وجبت باقي الصور من حقيتي وجلست أتأمه وهو يتمحصها  
وبقاربها ببعضها البعض .. فمت لأضيء المصباح علّه يرى بشكل أفضل  
فطلب مني أن أجلس ..

- لا أحب الورد .. أعني .. أعني أنني أستطيع الكلام بحرية أكبر عندما لا  
يحدق أحد في وجهي .. اعذرني .. لكسي بحاجة للكلام معك .. يمكنك  
إضاءة نور الحمام أو المطبخ لكن لا إضاءة مباشرة أرجوك ..

فتحت نور الحمام المواجه له وواريته، فطلب مني أن أعلن بابه تمامًا ..

أعقبته وابتسمت في تفهم وإن لم أفهم رغبته تلك كلية، وأضأت الحجر

المقابلة فأنى صورها من حلمه محفياً عني ملاحظه كلها..

كنت أنت تغفر عني سريرك فأحكمت حولك الغطاء، وجلست إلى جوارك  
طالبه العون من وجودك.. والقوة..

-.. رنا هل من الممكن أن تلتقطي لي صورة بهاتفك. أريد أن أرى  
نفسي..

لم يتحرك من مكانه أو يطر إلي وأنا أصوب كاميرتي نحوه وأضبط الرر..  
-.. ماذا تري في الصورة؟ لا أريد أن أراها.. صفها لي..

كانت الصورة جيدة إذ ساعد الظلام على وضوح التصوير الليلي.. إلا أن ما  
رأته لم يكن مثل ما رأيت على أحد من قبل..

- أراك.. أراك حالسًا.. يتصاعد من أطرافك الدخان الأبيض داته، وتحتمي  
أطرافه حلمك في الهواء، إلا أن أطرافه مشدودة وليست مرتحية كباقي أس  
في الصور..

و... أرى.. عددًا لا نهائيًا من الخيوط تقبض عليها يدك اليسرى وأطرافها  
تحتمي أيضًا في الهواء إلا أنها مرتحية نوحًا..

صمت قليلًا وهز رأسه.. وجهه وجهه لي في بطاء فكشف الصوء بصف وجهه  
وغرق الآخر في الظلام..

-... لم تفارق الصور التي رأيتهامعك محبتي . لم أر شيئًا مثلها من قبل، إلا  
أنني أشعر بها منذ طفولتي..

كنت أنا الابن الأصغر كما تعلمين، وتوفي والدي وأنا بعد لم أكمل عامي  
الأول.. أحوتني الكبار متفاربون في السن نوعًا، وقد أتيت إلى الدنيا وأصغرهم  
في العاشرة من عمره..



أمسك رمزي الشاي بكلتا كفيه ورشف رشفة منه وصمت حتى ظنه لن يكمل أبدًا..

– كنت "خطئًا" كما اعتادت أمي أن تذكر لي.. أتيت وقد تعدت الأربعين من العمر وصار الحمل خطرًا بالنسبة لها.. حاولت الخلاص مني.. لكسي أتيت رغماً عنها.. توفي والدي فالتصقت بي تهمة الشؤم وأنا بعد لا أعرف معناها..

صارت أمي عصبية لا تكف عن الصراخ في وفي إخوتي، لكن إحترقي كانوا عصاة وكانوا يستعيرون بعضهم على تحمل عصبيتها وأوامرها التي لا يهذون منها شيئاً فترداد هي عصبية.. وتفرغ عصبيتها في.. في لومي على أسي جئت إلى الدنيا وركلت بقلمى روحها بها..

لم يكن من المسموح لي أن أصرخ أو أبكي إذا استشعرت ألماً أو رغبة لم تنبها لي.. لم يكن هناك إلا جملة واحدة منها.. "ولد.. أصمت"..

احتضنك يا بني إذ أتخيل رمزي صغيراً لا يجد من يحتضنه.. لا يجد من يملك بجانبه حتى ينام.. لا يجد من يصحح على رلته الصغيرة ويعلمه الصواب من الخطأ.. احتضنك فأشعر أسي احتضن رمزي الصغير..

– كنت أخاف أن أنام معها في سريرها الواسع بعكس كل الأطفال.. لم يكن لي مكان في حجرات إخوتي، وما كانوا يطبقوا طفلاً يستكشف أدرجهم وكنوزهم المحببة..

كنت أنام على طرف السرير بعيداً عنها حتى لا أوقظها إن تقببت أصحو كل خمس دقائق مدعوراً من أن أبول على سريرها، كما كنت أفعل في الليالي الماضية.. أحبس البول حتى لا أوقظها لتصي، لي الممر إلى الحمام..

من فرجة باب الغرفة كنت أرى طرف باب الحمام الموارب .. يا ليتهم يغلّقونه  
أو يفتحونه على مصراعها أرى في ظلامه يد يضاء تمتد من جانب الحمام إلى  
الجانب الآخر .. تمتد وكأن طولها يتعدى المترين .. يتبع اليد جسداً أبيض محبباً  
عارياً .. أرى منه ثدياً متدلياً بجعداً يتبعه آخر أطول منه .. ثم أرى الرأس ..  
الرأس مشعّة الشعر لامرأة أعرفها جيداً ... ((أمي!)) ... تنظر لي للحظة ثم  
تتابع مرورها إلى جانب الحمام الآخر .. عيناها فجوتان وعفها مفتوح أحمر  
كصف ثمره طماطم مجوفة قالفة ..

أرتعد يا بني من كلماته .. تتجدد الأحرف على لساني فلا أستطيع إلا أن  
أصدر صوتاً مرتجفاً متاوهاً .. أصم رأسك إلى جسدي وأسد أدنك وكأنهما  
أذناي ..

— أغمض عيائي وألف جسدي بسرعة .. تستيقظ أمي وثقل على ظهرها  
وهي تصدر صوتاً مزجراً ملولاً .. أرى نصف وجهها الأبيض وفجوة عيناها ..  
تواجهني فأرى نصف ثمره الطماطم .. و.... يثل الفراش من تحتي!

لا أحدي قدراً على تمييز الهلاوس من الحقيقة إلا عندما تفتح أمي النور  
وتسحب العطاء عني كاشفة البقعة عامقة اللون من تحتي ..

لن أحكي لك عن اللوم .. لن أحكي عن الإهانة .. فقط أريدك أن تعرفني  
شعوراً آخر لظلم بذل جهده كي لا يتبول في فراشه .. شعوراً بأنني لست  
رجلاً .. الرجل الذي لا يستطيع التحكم في جهازه البولي لن يستطيع التحكم  
في حياته مطلقاً ..

أصبحت رحلاتي للحمام قبل النوم وفي الساعة الرابعة فجراً من مهام أمي  
التي تقوم بها مصحوبة بالسباب .. تحكمت في بلل الفراش، وامتد تحكماً إلى  
ما هو أبعد في حياتي .. مواعيد استيقاظي ونومي .. استذكاري .. هواياتي ..

رعباتي.. وتركت أنا نفسي لها لتفردني وقد ظلت عبارة "الرجل الذي لا يستطيع التحكم في جهازه البولي لن يستطيع التحكم في حياته مطلقاً.. " هي مبرري لذلك الامتسلا..

أحياناً كنت أشعر شعور الدمية المفقادة بلا إرادة منها، لكنها تعلم أنه إذا انقطعت حيرتها فسيحكم عليها بالشلل .

مد رمري قدميه أمامه وفركتهما.. خلع نظارته ومسح عينيه . يداه مثلتان.. سأظهار أنني لم أر دموعه..

- تولد بيني وبين أمي حب غير معتاد.. حب الدمية لمحركها الذي يهبها الحياة.. وحب صانع الدمية لصنيعة يديه.. كانت دائماً تعجز باني أكثر إحوتي هدوءاً وطاعة لها.. وهل لدمية من اختيار؟

عندما رأيت صورك عادت لي كل تلك الذكريات فجأة.. أدركت أن الوضع يختلف كثيراً عن مجرد جعل فلسفة نصف بها أنفسنا بالـ "دمي" في يد آخرين.. إما نستحيل دمي بالفعل يا ربا ولا يرى أحداً حيوته ولا خيوط الآخرين! هل تدركين أن ما نظنه حرية هو مجرد انتقال الخيوط من يد إلى يد أخرى؟! هل يوجد مفر من عبوديتنا تلك؟!

كان صوته يعلو وقد خفت أن يسمعه أحد الجيران.. قمت من جانيك وجلست على ركبتك على الأرض أمامه وأحدثت من يده الصور وفردتها أماما..

- رمري.. ليس الوضع كما تظن.. دعني أخبرك شيئين: الشيء الأول هو أن هناك من يتحكم في قنات معينة من الشباب.. ومن الأطفال أيضاً، بمكسي أن أرى من خلال موهب.. ا.. أقصد الصور.. إن الأطفال يبدأ التحكم في أكثرهم في سن المدرسة، وإن الشباب بعد سن الدراسة يكونون تحت التحكم

أيضاً بشكل ما.. هنا انتقل إلى الشيء الثاني.. أريد أن أخبرك سرّاً وأرجو أن تتعممه.. أظن أنك ستنعمه بعد ما رأيت الصور..

وشرعت أحكي له عن موهبتي السوداء منذ أن حملت بك حتى يوم أن اكتشفت الصور، لكسي ادحرت يوم أن رأته يتحكم في الطفلة أثناء الدرس في منزله إلى النهاية..

كان يصت إليّ وعياه تسعان.. لم يقاطعني قط إلا حين ذكرت له ما كان منه مع الطفلة..

- أنا؟! أنا فعلت ذلك؟! أنا فعلاً لا أذكر تفاصيل دروسي في المدرسة أو خارجها، لكنني كنت أعزو ذلك إلى كوني محملاً أكثر مما يجب بالهموم والمشاكل..

- لاحظت أيضاً أنك تتحدث بطلاقة أثناء الدروس و.. وتصبح شخصيتك مختلفة قليلاً.. أشعر ثوراً..

قطب جيبه ولم يدر ماذا يقول.. أنا أيضاً كنت مشوشة، وتتراحم الكلمات والتفسير على لساني فيدوس بعضها بعضاً..

- حسناً.. نستطيع أن نرتب أفكارنا بشكل عملي.. بالنسبة للأطفال.. إلى جانب مشاعرهم التي تربيها موهبتك، ينقسم الأطفال إلى ثلاثة أقسام: أطفال يتحكم فيهم مدرسوهم فقط، وأطفال يتحكم فيهم أولياء أمورهم ومدرسوهم، وأطفال يتحكمون في أولياء أمورهم ويتحكم مدرسوهم فيهم.. ربما كانت سلطة المدرسة تمتد عبر الأطفال إلى أولياء الأمور..

أومات براسي موافقة وأنا أبحث عن ثغرات في كلامه فلم أجده إلا..

- هناك قسم رابع.. أطفال لا يتحكم فيهم أحد.. مثل أسر..

- ربما هو في سن أصغر من أن يقوده أحد فيها؟

- ربما....

- بالنسبة للشباب.. قسم يتحكم فيه سلطة عا. ربما كانت الحكومة أو الآباء أو أي سلطة دنيوية عليا. وقسم لا يتحكم فيه أحد وهم نادرون.. مثلك..

- إذن هناك فئة لا يتحكم فيها أحدا أعني ربما يكون أسر منهم

- ربما.. وربما أنهم قد تخلصوا ممن يتحكم فيهم..

- لكن.. أترى أن هناك عدة سلطات تتحكم في البشر وليست سلطة واحدة؟

- شيء بديهي.. لكنني لست أؤمن من يتحكم. اللوم على من تركهم يتحكمون فيه.. نوع مما كان يحدث لي وأنا صغير.. أعترف بضعفي رغم كل شيء..

- وهل كنت أنت المخطئ الوحيد؟ من تسبب أولاً في ضعف قدرتك على المقاومة..؟ أليست والدتك؟

- أتعلمين.. ربما يتسبب آباؤنا دون أن يدروا في تسهيل مهمة الفئة المسيطرة..

- لن نعرف أبداً من هي تلك الفئة.. الأمر أشبه بأخطوط له مائة يد..

- لكن له رأس واحدة.. هدف واحد..

صمتاً قليلاً وكل منا يلوك كلمات الآخر في عقله.. لكنني لم أعرف بعد..  
ماذا علي أن أفعل؟!

نظرت إلى رمزي ووجدته ينظر لي..

- ربا. لم أكن أعلم أنك تحبين كل تلك ال... ماذا أسميها؟! هموم؟! كيف استطعت الحياة وسط كل تلك الضغوط؟! أنت قوية حقًا. وأنا الذي كنت أعتبر نفسي بائنًا!

- يعطيا الله القوة قدر ما يعطيا من ابتلاء.. أنت أيضًا لست بالضعف الذي تحسب نفسك به.. أب تروح بتمك الذكريات هو أمر جيد في سبيل الخلاص من وطأتها..

- لكنني أعتبر الروح تصرف غير رحولي.. نوع من الضعف أن أترك باب عقلي الباطن مواربًا في وحود من يطل برأسه داخله.

- هاها. اعتبرني إذن لم أسمع شيئًا.. فعلاً. يمكنني أن أنسى كل ما قلته.. لا تقلق..

-.. لا. بست يادما على إخبارك.. أعتبرك.. أعتبرك أحكم من أن تعتبري اعترافي ضعفاً..

كنت أريد أن أمتل وحوده وأتحدث أكثر عن مخاوفي. عن همومي الخاصة.. عن أسر والطفل الغامض..

- هل المدرسة المجاورة للمزول تعمل؟

- لا أدري.. بوايتها مهدمة..

- أسمع فيها صوصاء كلما مررت بها..

- ربي كانت تعمل أو لها باب آخر. لم تسألين؟

- أرى ذلك الطفل الغامض يخرج منها في أحيان كثيرة. كما أن أسر لا يتقل يصره عنها كلما مررنا أمامها..

- يمكنك أن أسأل إن شئت..... ربي..

- نعم؟

- هل تريد حقًا الطلاق من زوجك؟ أعني.. رصعك معلق وأرى أنه من الحكمة أن تفكري في الطلاق مرة أخرى.. أو ربي العودة..

- ماذا أفعل بالطلاق وقد بذرت نفسي لأبي ولا أحفظ لزوج مرة أخرى؟  
ثم إن العودة مستحيلة مع وجود زوجه أخرى.. وعودي على دمه يعطيه  
حرية أكبر في رؤية أسر على كل حال..

- أنتجيب أحيانًا من حب المرأة لأولادها. أمر معقد فعلاً..

- مشاعر المرأة معقدة.. حتى إنها هي نفسها لا تفهمها في كثير من الأحيان..

- كنت لأتمنى أمًا مثلك..

- أم مجونة مثلي أليس أمًا مثالية على أية حال. ربما كنت محطبة في قراراتي  
من الأساس..

لا أذكر عم تحدثنا طيلة الساعات التالية.. أذكر أنه مد ساقه وتحدث.. ثم قام  
معانًا من إحساس تنميل ألم بقدميه فأخذ في الذهاب والإياب أمامي وهو  
يصت.. أذكر أبي صمت كروي شاي وأنا أستمع إلى ضحكاته وحديثه  
معك إذ أيقظك حديثًا.. ثم عدت فوجدته جالسًا على السرير يلعبك  
وأنت تصحك وتصفق.. تصحك بذلك الطريقة الهستيرية التي تسبق موعد  
نومك..

جلست على طرف الفراش الآخر وصمتك إلي لسان وأنت تعاني من الفراق  
من أثر ضحكاته..

طمعنا نتحدث في الصوء الخافت وأنت نائم بنا حتى انتصف الليل.. أشعر بحقيقة باهتة من الشعور بالذنب والشعور بالمراقبة إزاء سماحي لرمزي بالكنوت كل تلك الفترة، بل والتغاضي عن جلوسه بجاني على الفراش بهذا الشكل.. مجرد إحساس حامت اعترف بواده كلما لاحت عليه مظاهر الحياة.. تصرف عريب مي، لكسي وسط تلك الإضاءة وذلك الشعور بوحود آدمي واضح بجاني قادر على حمايتي، أشعر أنني مسلوكة الإرادة بشكل ما . هشة وبحاجة للكلام والاحتواء أحشى من أن أترك نفسي لأستيقظ من تلك العيوبة فلا أحد رمزي بجاني حقاً..

لا أدري ما هي تلك الترهات التي أتقوه بها. للظلام والوحدة مفعول الخمر في رأسي.. لكن.. متى سיתי معولها.. وكيف؟

نظر رمزي إلى ساعته ثم نظر لي.. لم تكن لي حاجة بأن أعرف الوقت تحديداً.. لقد نأحر الوقت وكفى.. ما حدث قد حدث ولا يمكن محوه.. لا ضرر من الاستمرار فيه إذن... ((تأثير الخمر ١٩))..

نظر لي ثم همس..

— لا أريد أن أرحل...

ثم مد يده لهاتفه المحمول وأغلقه.. لم يتوقف الهاتف عن الرنين صد أن تعدت الساعة الرابعة ولا أحتاج لذكاء كي أعرف من المتصل..

((.. ما حدث قد حدث ولا يمكن محوه لا ضرر من الاستمرار فيه إذن . (تأثير

الخمر ١٩))!!!

همست وأنا أتخاشي النظر إلى عيني..

— لا تفعل إذن..



صاحب كلمتي تلك شعور جسدي لم أشعر به منذ.. منذ ليلة ذهبي جدك!؟  
شعور لم أشعر به إلا مرات معدودة رغم كوني كنت متروجة لمدة ستة  
أعوام..

ذاك شعور يا بني يستشعره الرجال بلا توقف لدى أي إثارة حسية أو معنوية.  
ربما يستشعرونه بلا أي سبب أيضًا، لكنه شعور نادر عند المرأة شعور ملخصه  
أن من يستطيع سحبي الحماية والأمان لهر رجل قادر على منحني كل شيء...  
رغم هشاشة شخصية رمزي وشككي في كونه قادرًا على منحني أي شيء...  
((الرجل الذي لا يستطيع التحكم في جهازه البولي لن يستطيع التحكم في حياته  
مطلقًا..)).

إلا أن شعوري بأنه يحتاجني قدر ما احتاجه هو ما دفع عرائزي في هذا  
الاتجاه..

يحتاج مني ما حرمته أمه منه.. وأحتاج منه ما تعجزت عن إعطائه لي  
يا بني.. أحتاج أن.. أن أعطيه..! شعورًا أمرميًا انشوريًا لا أستطيع فهمه أو  
تبريره.. ألم أقل لك إساءة بحس النساء - لا يفهم أنفسها في كثير من الأحيان!  
طلبنا صامتين لوهلة.. ننتظر أن نستفيق من "النميل" الذي أصاب ذهني..  
لكننا لم نفق..

خلع حذاءيه وتكور حرقًا في وضع الجين على طرف الفراش حتى كاد  
يسقط.. ضم ذراعيه حول ركبتيه وأغمض عينيه..

— أشعر بالبرد..

تمتم بها وأكاد أقسم أنني أسمع من فمه صوت طفل لم يكمل عامه السادس..  
تغير بسيط في طبقة صوته لكنني استشعرت به بوضوح..

فردت الغطاء الذي كنت أعطيك به وأكرمت طرفه بحانتيك على رمزي فلم

يتحرك رعم أن العطاء قد غطي وجهه.. أرلت الغطاء من على وجهه ودوته  
بين كتفه ودقه كما أعل معك دوماً.. لمست ذراعي شفتاه وقبلها قلبه سريعة  
أرسلت القشعريرة في جسدي..

سحبت يدي وأما أنظر إليه منسعة العيى.. لم يفتح عينيه ولم يتحرك.. دقائق  
وانتظمت تنفسه.. لقد نام إذن..

ظل ذلك الشعور الجسدي يؤلمني.. ماذا أريد حقاً؟! ظلمت أحدي في وجهه  
الهادئ والبطارة قد مالت على قصة أفع فصارت إحدى عدساتها مفروسة  
في خده والأخرى تغطي حاجبه..

لم أجرو على أن أمد يدي وأرعبها عنه.. كلما أغصت عيني وأنا جالسة،  
أشعر بيده تلمس جسدي ها وهناك.. أفتح عيني فرعة فأجده نائماً وإن كان  
قد انقلب على جانبه الآخر مولياً يباي ظهره..

أغوص في نومي وأصحو مذعورة كل خمس دقائق وما زال الشعور يزداد  
سحونة ولزوجة..

أقوم مترنحة إلى الحمام، وأغلق المزالح من الداخل.. أخلع ملابسني وأقف  
تحت الماء الساخن وصوت هدير سحان العار يهذي من ارتجافي..

تنهمر المياه على جسدي وتلمس كل موضع اثناق للمس.. أتذكر الآن  
أسي امرأة.. أتذكر تحرري من قيد زوجي وقيد أبويتي.. إلا أن موضع القيود  
قد حُمر للأبد وحار ملتهباً.. حساساً للمس.. صار عدم التقيد هو القيد  
بعينه..

إلى متى سأستمر بالتظاهر بأنني لم أفقد أي شيء؟ إلى متى يستطيع الأعمى  
إنكار الظلمات من حوله إلى متى؟؟

بأني ما كتبه رنا مهني في ١٦ فبراير ٢٠١١

تمت على الكرسي في الحجرة الخالية حتى الصباح.. نوم ساعتين متواصلتين  
جعلني استيقظ بعقل جديد لا يدري عن أحداث الأمس شيئاً..

بشكل ما تفاجأت برمزي في سريرتي واحتاج الأمر إلى بصع دقائق لتذكر ما  
حدث، فالثورة علي وعسى عصي وجوبي..

نصيح الأني أنه لم يحدث شيء، وبصبح عقلي بأن "الموت للعاهرة!"  
وقفت بجانب السرير ألثت وأنا أنظر لرمزي في غضب وحقد.. أمسك  
زجاجة المياه في يدي وأحز بها جانبه ليستيقظ..

- أنت.. أنت... ليس هذا فداً.. قم.. ا

يستيقظ الرجل ويعدل من وضع نظارته على أنفه..

- ماما!.. رنا.. رنا ٢٢٢١١ م... م . مادات.. ت.. تعطين ١١١٩

أرى في عينيه نظرة طفل مذعور قد اكتشف لثوره أنه بلل فراشه رغم محاولاته  
المستمية كي لا يفعل..

- أنت.. ماذا تغلن نفسك؟ هه؟ كيف.. كيف تسمح لنفسك بالنوم هنا؟ بل

كيف تسمح لنفسك بأن تدخل مرلي ١١٩

- ا.. ا.. أنت.. أنت.. سمحت لي.. لم يحدث شيء، ا

- و.. وكيف سمحت أنت لنفسك؟

أجذبه من ملامسه فيقوم وهو يلقي نظرة على السرير من خلفه.. ((يتأكد من أنه  
لم يفعلها في سنة هذه ١١٩))..

- انظر.. ما هذا على رأسي ١١٩

٣٠٠. ا.. ا.. حجاب؟

- نعم.. حجاب. لا ترتدي المرأة حجاباً في الغالب إلا لمسيين: إما أن تكون صليعاً، وإما أن تكون متديعة..

((وإما أن تكون دمية دفعتها لتبدر صليعاً أو متديعة؟))

- وأنت لن تحب أن تعبت مع امرأة صليعاً أو متديعة.. في كل الحالات..  
اخرج من بيتي.. اخرج!

للم ثيابه وهو ينظر إليّ في عدم فهم. أن يطرد المرأة "على الرهق" هكذا فهو أمر عسير الابتلاع على معدة حاربة..!!

ادفعه دفعةً وأصنع حلفه الباب وهو لم يزل حافياً وقد أمسك إحدى فرديتي الخشاء في يده ودس مقلعة قدمه في الأخرى..

أقف خلف الباب وأهكي.. لا أعلم ماذا دهاني.. لقد تذكرت أنني أشي فجأة، وقد سعلتني نسيت..

صوته خلف الباب يترحاني كي أهدأ لكن صوتي يعلو وأجهش بالبكاء..

- رمزي.. بكمي هذا.. ارحل.. ارحل قبل أن يراك أحد..

ويرحل رمزي....

\*\*\*\*\*

تعزید من الکتاب المشرقة

جروب تعزید من الکتاب

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

امريد من الكتب المحررة

جروب **مصر انكسب**

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

## صندوق الدمى

لترید من الكتب المحررة

جروب **يخسر الكتب**

[FB.com/groups/Book.julce](https://www.facebook.com/groups/Book.julce)

.. نوح راح لحاله والطفوفان استمر  
.. مركبنا قايمة لسه مش لاقيالها بر  
.. آه من الطوفان وآهين يا بر الأمان  
.. إزاي تيان والدنيا غرقانة شر

صلاح جاهين



لجريدہ جي انڪتبہ انحصار ۾

جروپ **حصصہ الڪتب**

[FB.com/groups/Bookjuice](https://www.facebook.com/groups/Bookjuice)

تريد من الكتب العربية

جروب مصر الكتب

[FB.com/groups/BookJuice](https://www.facebook.com/groups/BookJuice)

ما يلي هو ملخص لما حدث  
من فبراير ٢٠١١ إلى أواخر عام ٢٠١٥،  
وهو وجهة نظر الراوي الخاصة  
ولا دخل لنا مهلى بها.

## ما حدث ..

رغم عدم وجود طريقة للتأكد من كوي أحد تلكم الدمى التي ذكرتها ربا في مذكراتها إلا أسي متأكد من كرسا جميعًا دمي بشكل أو بآخر، شئنا أم أبينا..

فكر وأحبرني.. كم بامانة من تصرفاتك بابعة منك وحدك؟ بلا تأثير من أي نوع؟ تكذب إن تعدت السعة المحسنة بالمائة، وكلها بالمائة قرارات غير مصيرية!

إن لم يقيدك طيبك بعداء معين أو يقيدك مرتبك الهربل فانت تاكل ما تشاء.. قرار غير مصري..

يمكنك قضاء حاجتك وقتما تشاء إن وجدت مكانًا لذلك.. قرار غير مصري..

محم. ماذا أيضًا؟ لا شيء! أحيانًا نطن أسا مختار في حين أنه لا يوجد إلا خيار واحد من الأساس.. عندما تركن سيارتك فانت نطن أنك وجدت لها مكانًا مناسبًا؟ في حين أنك لم تجد إلا هذا المكان.. حظه أو اتركه.. فتقنع بمسك إنه المكان المناسب للرجل المناسب..

نختار روجنك وتعدد محاسنها فقط كي لا نتذكر أنها هي الوحيدة التي صادف

أن قبل بها أهلك وقبلت هي بك، فلا أنت احترت ولا هي احتارت.. فقط  
كأت موجودة وأنت كنت مستعداً لأحدها..

تعمل لأنه لا وظيفة إلا تلك.. تسكن لأنه لا بديل إلا ذلك .  
لكنتي لا أعتقد أن ربا كانت ترى ذلك الجانب من الاقياد من خلال موهبتها  
السوداء كما كانت تسميها . أظنها كانت تقصد تلك القوى البشرية التي  
تتحكم في طريقة تفكيرنا لتقودنا إلى هوة لا نراها..

أظن أيضاً أن الأحداث التي شهدتها هي خير دليل على أن ما رآته رنا لم يكن  
هلاوس، وبالتأكيد كانت بعيدة كل البعد عن التفسيرات الفلسفية الملتفة التي  
تنطق على أي شيء..

لقد عاشت رنا مع ابها آسر فترة قصيرة ظلت من خلالها أبها عرفت ما يجب  
عليها أن تقوم به وقامت به فعلاً.. اثابتها بوبات من الدم من وقت لآخر  
وحصوصاً بعد تلك الليلة التي ألقت فيها نظرة على العقل الباطن لرجل ظته  
لفترة ممن يتحكمون في الآخرين..

لم تخل لياليها بعدها من زلزل في نفسها تبعها "تسونامي" من الغرائر التي  
ظنت أنها قد ألقتها ورايها مع زين وشقتها في القاهرة وماصيها بأكمله..  
غرائر أشه بالفحم المنطفي الذي حركه - فقط حركه - زين مرة أو مرتين ثم  
تركه يلتهم نفسه تحت مظهره الهادي حتى أتى من كشمه للهواه مرة أخرى  
فغدا من المستحيل تجاهله..

ظلت رنا أن أمومتها قد منعت الهواء تماماً عن الفحم فحمد، لكن اكتشافها  
الصغير الأخير قد أضرم النار في ثقتها بنفسها.. في ثقتها بأنها تحولت إلى مثال  
أخيراً..

أعلم كما تعلم هي أن رمزي ليس الرجل الذي يستطيع إعطاءها - نفسها

وجسدياً - ما تريد.. ليس من تسعى من أجله إلى الطلاق، أو من تهلم معبد  
تديها على رأسها من أجل ليلة أو ليالٍ بين ذراعيه..

لم يكن رمزي رجلاً فعلاً.. كان طفلاً تعجلوا ووضعوه في وعاء كبير دي  
شارب ولحية وأعضاء تاسية باصحة.. كان بهرول في جسده الكبير ها  
وهناك، يحاول التحكم في عقله فتفت قدماء.. عشت في هاتين فلا تصل  
يداه إلى لسانه.. فيتلعثم ويتعثر ويتخط.. ويزداد الطفل تصاولاً فيه.. وتزداد  
قيوده..

دوماً ما يعتبر الشرقيون أن أي رجل أو امرأة مكتملين جسدياً هم رجل وامرأة  
قادرين على بناء علاقة ناجحة..

هكذا اعتبرت رما رمزي رجلاً، وتحيلها هو بديلاً عاقلاً لأمه.. توجهه لكن  
لا تفرض توجيهاتها عليه.. هو من يفرصها على نفسه!!

كيف عادت تكلمه بعد أن طردته؟! لقد توقفت رما عن الكتابة لأسر في ذلك  
اليوم وقد شعرت أن الأمر قد بدأ يفلت منها، وأن المذكرات لم تعد صالحة كي  
يطلع عليها طفل أو مراهق أو شاب هو في النهاية ابنها! إلا أنها واصلت كتابة  
مذكراتها لابنها بطريقة أكثر جفافاً عن ذي قبل من حين إلى آخر.. لم تعد  
قادرة على تدوين تخطيطاتها أو حتى الكذب.. كانت تتحدث عن كوابنها  
وابهارها بقدراته.. تكذب عن تلك المدرسة الغريبة التي قادتها الأقدار كي  
تلحق ابنها بها.. تكذب في آخر صفحاتها عن اتوائها اقشام تلك المدرسة  
واستعادة ابنها معها كان الثمن..

أما بالنسبة لموضوع عودة رنا للحديث مع رمزي، فإن رنا قد اتصلت برمزي  
مرة أخرى واعتذرت له بعد أن باءت محاولاتها - المحزنة من وجهة نظري -  
لاستماله زين مرة أخرى بالفشل..

لقد زهدا زين كروحة بعد أن أحببت له إياس بنتاً . كان يزور أسر ويحدث معها لكنه لم يعد أبداً راعياً فيها كأمراة . وإن سألته الطلاق جدياً مرة أخرى لكان قد طلقها . لم يكرهها بعد لكنها لم تعد مصدر قلق بالنسبة له .. لم تحتطف أبه ولم تخرمه زوجته .. هكذا تلاشت ذكراها كأمراة من عقده، وصارت محاولاتها معه مشيرة للشعقة ..

بعض من ربما أراد الانتقام من زين .. أراد الانتقام من الأشياء الثائرة بداخلها أراد الانتقام من تدينها والسحرية منه .. لذا . لم تجد إلا رمزي لتعاقب نفسها به وهي تظن أنها تحررت أخيراً من زين وصار من حقها الاختيار . ((الاختار بين رمزي ومن لا؟))

أذكر أيضاً أن رمزي قد شعر أحياناً بعدم حدود علاقته برما . فمع إحكام أمه المراقبة عليه لشكها في علاقته برما، صار من الصعب الاستمرار في الحديث معها ومداعبة أبها .. و . فقط! كان يتظر أولى تحاربته الجنسية التي تصور أنها ستكون أسهل مع امرأة لها تجربة في هذا الصدد . امرأة تقوده إلى ما يحب أن يفعل، وفي الوقت نفسه امرأة لن تسخر منه .. امرأة تشبه أمه إلى حد كبير .. لكن تلك التجربة المثيرة لم تحدث قط! سئم رمزي رما بعد عدة أشهر كما سئم حديثها عن الموهبة السوداء، إلا أن انخدايه لأموئها كان يدفعه لمعاودة الاتصال بها من وقت لآخر ..

انشغال رنا بحياتها الخاصة جعل من ريارات الطفل العاص لها حدثاً نادراً، إلا أن ذعرها من عودة تدخلاته السافرة جعلها تتحاشى حتى التفكير في موضوع إحراء عطية أبها ..

كذبت على زين يومها في الهاتف وأخبرته أنها أجرت التحاليل اللازمة للصبي واتضح خطأ الطبيب .. ابنيها ذكر ولا يحتاج إلى أي شيء ..

هكذا استمرت حياة ربا . هادئة .. عملة .. لا يملؤها شيء إلا حب أسر وعوه  
أمامها الذي أعطاها في كثير من الأحيان القوة للاستمرار ، والأمل في عدد أكثر  
حياة وحياة ..

## قيود قديمة ..

امتدت سطوة السيدة سكينة على رمزي منذ صباه لا أرى ما سيمع السيدة عن سطوتها إلا موت رمزي ذاته. فحتى في موتها هي، لم تترك ذكرها خيوط دميها أبدًا..

هي من اختارت التدريس مهة لرمزي ولم يمنع.. لا توجد مهة أخرى يثبت بها على أية حال..

في صباح اليوم الثاني عشر من يوم تخرجه، اصطحبت السيدة سكينة ابنها دي الواحد والعشرين عامًا إلى فرع مجاور لمزلهم لإحدى المدارس الشهيرة.

سلسلة مدارس بدأت في الانتشار في منتصف السبعينات وتزعم تميزها وتفردا في التربية قبل التعليم..

الطاعة من أهم السمات المميزة لخريجها المتفوقين.. الطاعة وتسطح الشخصية.. تستطيع تميزهم صباحًا من الوجه الخالي من التعبير في انتظار المواصلات لتقلهم إلى أعمالهم.. يسرون كمستطيل بشري واحد.. نفس الخطورة.. نفس الرجوة.. ولكنني لا أزعم أن لهم نفس العقول؛ إذ لا عقول أصلاً في جماجم لا تحوي إلا علمًا سطحيًا وإرادة مدثرة..

انتشرت تلك المدارس التي تحذو حذو المدرسة الأصلية في كل أنحاء مصر



باسماء مختلفة.. تعددت الأسماء والأصل واحد..

ربما كنت أنت نفسك خريج إحدى تلك المدارس، لكنك لن تذكر مهما فعلت المقابلة الأولى لك مع والديك وإدارة المدرسة.. لن تذكر - ولن يتذكر أباك أيضاً - عبة الدم التي أحذوها منك ومن أحد والديك حسب نوعك إن كنت ذكراً أم أنثى..

لن تذكر مهما حاولت فترات معينة في حياتك الدراسية.. مواقف قرر عقلك تعطيتها فصارت كآثار قديم معطى بملاءة تحفي ماهيته.

هجرات في ذاكرتك هـ وهناك يقسم آباءك وأجدادك على عدم وجودها في ذاكرتهم.. يعرفون ذلك إلى صعب ذاكرة هذا الجيل شحيح التعدية.. وأعروها أنا إلى شيء مختلف تماماً اتضع لي بعدما حدث مع رنا وغيرها في تلك المدارس..

عندما دخل رمزي مع والدته لمقابلة المدير، كانت السيدة جالسة خلف مكتبها ممسكة بجريدة.. تبدى من خلف الجريدة شعرها الرمادي الناعم، المعقوص خلف رأسها.. لم ير رمزي من خلف الجريدة تجاعيد وجهها المفرودة رعمًا عنها بحشرات البوتوكس والكولاجين و"الفيلرز"..

لم ير تلك الأهداب الرمادية التي تنمو من مقالي عينيها وتراقص في بطنها في حركة شبيهة بحركة بعض أنواع الشباب المرجانية. يستطيل بعضها عن الآخر ويتلمس سطور الجريدة وكأنها تقرأ بطريقة "برايل" خاصة بها.. تنبه السيدة لصحبة رمزي فتعلق عينيها لشوان وتنزل الجريدة.. تفتح عينيها كاشعة عن قرحتين زرقاوين أعطتا لوجهها مظهرًا أرستقراطيًا وجاذبية لا يمكن تجاهدها..

لم تسأل السيدة "حوشيار" عن مؤهلات رمزي قدر أسناتها الشخصية عنه

والتي أجات عنها كلها أمه بزهو وفخر ..

كانت خوشيار تهز رأسها استحيانا بعد كل كلمة من السيدة سكينة عن طاعة وهدوء رمزي، خاصة حين حتمت السيدة سكينة أقوالها بأن رمزي "من إيدك دي لايدك دي" ..

طلبت السيدة خوشيار من رمزي عينة من دمه أخذتها بنفسها بطريقة غريبة بعض الشيء .. أخرجت من درج مكشها سكينا رفيعا فصيّا مزدوج الطرف وغرسته برفق في بصر رمزي وأحدث قطرة واحدة على طرف السكين، ثم استدارت ومسحتها في لفافة من خيط الكتان فتلّوت الأخيرة كحزمة ديدان ثم سكنت ..

لن يذكر رمزي أو والدته أيّا من تلك التفاصيل بمجرد خروجهم من مكتب المدير .. وإن كنت مدرّسا عزيزي القارئ فأنا أرجح مرورك بشعربة مشابهة لن تذكر منها شيئا . هذا طعنا إن لم تكن من الفئة السادة التي رحمها الله ..  
مد ذلك اليوم وحتى بداية الدراسة، لم يسم رمزي .. كان يصاب بنوبات هياج وارتفاع درجة الحرارة .. للحظات كان يكره أمه وفكر مرة أو اثنتين في شح رأسها أو استبدال دوائها بسم ما .. لكن قبل دخول محطّاته حيز التمدد، يجد نفسه يكي ويهار ويقصي ما تبقى من اليوم في الاستعاذة بالله من الشيطان وهزّه ونفثه ..

كان يستيق ليلاً من نومه على شعور حارق حول معصيه وكاحليه ولم يمتد من داخل جمجمته إلى سقف غرفته ..

كانت الأعراض تقلّ تدريجياً وإن لم يجد طيبه سبباً لها أو سبباً لزوالها .. لقد زالت من تلقاء نفسها تماماً في أول يوم له في التدريس ..

ارتعدت معاصله حين دخل الصف لأول مرة وامتلأت رثاء بعين الأحذية الجديدة ورائحة الأوراق وبلاستيك الحقائق الملونة..

ظل يرمق الأرضية وأحذية الطلبة.. يستطيع أن يعرف حقائق الفتية من حقائق الفتيات بسهولة.. فحقائق الفتية ررقاء يعلوها صور لسيبدر مان، أما حقائق الفتيات فوردية مزودة بصور الدمية باري أو بسحتها (المتألمة) "قلة"..

يستطيع أن يعدّ من الطلبة أثنان لا تحمل حقائقهما صوراً مماثلة رفع عبيه إلى وجهيهما. يحدق الطلبة فيه بوجوه حاملة إلا هذين الطالبين. تسمع أعيهما في ذكاء وتحدّ.. يتوقعان منه شيئاً لا يملكه..

تصدر معدته صوتاً مشوئماً ويشعر برغبة عارمة في إخراج أمعائه.. يعلم أنه سيتلعثم وينتهيته مع أول محاولة له لإلقاء تحية الصباح..

يفتح نعه مع انفتاح باب الفصل ودخول السيدة خوشيار.. تلت تحية الصباح ورد عيها التلاميذ بطريقتهم المخطوطة المقطوعة الأنفاس.. يلقي الطالبان المختلطان التحية بطريقتهم العادية فيتهيمان من الكلام قبل الحشد بثوانٍ ثم مقهم خوشيار بطريقة طويلة، لمسحهم مسحاً كالأشعة المقطعية..

تسم لرزمي عصا.. عصا كالتني يحملها كل المدرسين، لكنها مدفوعة بشريط بلاستيكي أسود شعر رزمي بعد استلامها بشيء يسري إليه.. ويسري منه.. ومن يومها تحلص رزمي من لثغته ومن خوفه، وصار يعلم من تلقاء نفسه طريقة التعامل مع الطلبة المختلفين.. ذلك ما رأيته ربا منه مع الطفلة رشا في الدرس..

إلا أن رزمي لم يكذب عليها حين أخبرها أنه لا يذكر شيئاً من دروسه.. لا يذكر معامته للطفة.. فقط عندما يعادر رزمي رواية المدرسة.. تعود له لعنثته

واضطراب أعصابه..

وإذا نظرتا بعين المؤهبة السوداء، نرى حيوطاً دحانية تمتد من التلاميذ إليه في المدرسة، وأخرى تمتد منه إلى مكان غامض.. فقط عندما يغادر رمري بوابة المدرسة.. تعود له لعنته واضطراب أعصابه.. وتعود خيوطه إلى أمه مرة أخرى..

## وقيود جديدة..

تقول رنا مهنى في مذكراتها الخاصة التي راظبت على كتابتها على جهاز الكمبيوتر الخاص بها منذ أواخر عام ٢٠١١ :

"أعلم أسي أعبت في مصدر رزقي من أجل شيء، لا يستحق تلك التضحية..  
يقول المثل الأمريكي الرقيق بعض الشيء، don't shit where you eat!  
وإنني لأفعل ذلك بجدارة تلك الأيام! أعرف أن السيدة سكينة تعلم بعلاقتي  
"العائمة" بابنها، وهي تحاول الآن إبعادني عنه بكل الطرق.. لقد باتت تقيم  
في المكتبة ولا تتركها إلا في موعد انتهاء اليوم الدراسي، فتهرول بخطوة البطة  
المميزة لها لتصحب رمزي إلى المنزل.. رمزي لا يعطي دروسًا خارج المنزل  
أبدًا، وبهذا فإنه سيعطل حبيبتنا حتى إشعار آخر.. تحشى المرأة طردي من المكتبة  
حتى لا أبتعد عن ناظريها، وإنني لأشعر أحيانًا برغبة تظل من عينيها لقتلي..  
لست متمسكة برمزي إلى هذا الحد، وهي لن تعطي نفسها فرصة كي تراني  
أبتعد عنه..

رمزي نفسه أصبح محيرًا. أحيانًا أحده مستسلمًا لأمه وكأنه لا يعرفني حتى  
وإن تلاقى عيانيا.. وأحيانًا أخرى - وهي أحيان نادرة - أحده يتحداهما  
علاية ويأتي لرويتي رغمًا عنها. لا أعلم ما هي نهاية هذا الموقف، وإنني  
لأثوق لإنهائه..

أعلم أنه لا فرصة لي في التعرف إلى أي رجل آخر.. رجل كامل، خاصة وأن مشكلتي لم تعد فقط كوني متروحة أو أما.. مشكلتي الأكبر هي كاميرا الموبايل التي صارت تعطيني نسبًا لا تصدق عن أعداد الرجال الدمي من حولي.. مع مرور الأيام ورويتي لآسر يكبر أمامي، أرى مستقبلتي البارد الخالي.. أراي سكية أخرى تحكم قيودها على ابنها مستعيضة عنه بالروح والحبيب.. هل أطلب من زين أن أعود له صراحة؟!.....

رنا لا تختلف كثيرًا عن أغلب النساء.. رغم كونها كانت تعتبر نفسها من "غربي الأطوار" كما ذكرت من قبل، إلا أنها امرأة شرقية لم تتعلم أصول الحياة بلا رجل، ولم تتعلم أيضًا أصول الحياة مع رجل.. امرأة ترى نفسها ضحية في كل الأوقات، وبالتالي فلن تسعى أبدًا للتغير.

ليس الحل في العودة لأقرب رجل ممكن، ولا الإجماع في أي علاقة مع أي رجل آخر.. السؤال هو: لم أريد هذا الرجل؟ ولم هذا الرجل دون سواه؟؟ ماذا أستطيع أن أقدم له قبل أن أتساءل ماذا يستطيع أن يقدم لي..؟؟

للأسف فإن رنا دمية من نوع خاص، دمية بلا قيود.. يحركها - أو لا يحركها - عدم التقيد.. عدم وصوح الرؤية وعدم تحديد الهدف..

كل الطرق تؤدي إلى مكان ما.. المهم، أين تريد أن تنهب أنت؟!

## خطط مزدوجة..

لم يستطع زين قط أن يسي تأيب صميره كلما ضم ابنته الصغيرة "لي لي" أو أسدل عليها العطاء عند تعط في النوم..

كان يشعر أن جرءاً منه في الإسكندرية دون أن يبدل قصارى جهده في استرداده..

بالفعل لم يفعل زين أكثر من الاطمئنان عني أسر، ولم يسخ قط إلى أحد الولد.. هو يعلم أن إنسان لن تقبل بتربية طفل ليس طفلها، وعودة رنا له صارت شبه مستحيلة.. أصبحت لا تمثل له الآن إلا أم ابنة.. لا يستطيع تذكر كيف كان ينام إلى جوارها ويلمسها حتى.. يشعر بشعقة عليها، لكنه أعطاها من الفرص ما يكفي، وقد احتارت هي طريقها..

لكن زين لم ترل تراوده الشكوك حول حياتها وحيدة.. شكوك تدور حول أي مطلقة عربية لكنها أولاً ليست مطلقة، هي زوجته، والأهم.. أمر مارال معها..

\*\*\*\*\*

لم ير زين الطفل الأرق من يوم حادث السيارة وحتى أر حر عام ٢٠١٣ .  
كان يعلم أن منال قد تم إبعادها من حياة رنا بإرادة رنا شخصياً.. تحدث منال

أولاً عن عراية أطوار ربا، ثم بعدها التدريجي عنها.. لم تعد تتصل بها بشكل مستمر رغم محاولات مال التحدث إليها أو حتى إرغامها على الحكيم.. ريس لم يكن ابن الراحه، وكان متأكداً من شيء واحد.. لا تكف المرأة عن الحكيم لصديقاتها ما لم يكن في حياتها رجل تحكي له . ولا تتعد المرأة عن صديقتها الوحيدة بلا مبرر ما لم تكن ثمة علاقة غير شرعية بهذا الرجل..

إن مشاطرة المرأة لمرأة همومها هو من باب القصف، فلا تملك المرأة لثيلتها إلا الدعم المعنوي.. أما ما يُعني المرأة حقاً عن الحكيم لصديقاتها فهو رجل يستمع ويمطي حلولاً، ثم يحتوي جسدياً ومعنوياً، وهي أشياء - كما يراها ريس - عبر منصفة مقارنة بما تمنحه المرأة لأخرى.

جلس يدخن في شرفة حجرة نومه وهو يرمق إيساس العافية في هدوء..

يفكر بشكل ضبابي في علاقاته المتعددة السابقة.. مهما احتلت النساء، هل تستطيع إحدهن مهما حاولت أن تسي جسدها الأثوي الكثير التفاصيل والعميق الرعبات.. يقولون إن النساء في الأمازون قد أصبحن أنصاف رجال.. يقطع أنداءهن كي لا تعيقهن عن الرمي بالقوس، ولا تتعامل مع الرجال إلا للتكاثر فقط..

حتى وإن كان موضوع قطع الثدي هذا غير منطقي، فهو يراه رمزاً قوياً للمرأة (المسترجلة).. يراهن منكوشات الشعر يدخن التبغ والارجية ويتحدثن في السياسة بصوت أجش مرتفع . يراهن أمازونيات تحلصن من رمز أنوثتهن الظاهر ويغطين ما تبقى بدخان التبغ.. ولكن.. من يستطيع تحديد ما تشعر به الأمازونية حقاً دون مكابرة؟ وهل علاقتها المؤقتة بأي ذكر لهدف التكاثر هي حقاً علاقة عملية لا شهوة فيها أم هو نوع من الدعارة المبررة؟

لن تصبغ رنا أمازونية أبداً مهما حاولت، كذلك لن تصبح أي امرأة.. دعهن



يسترحن ويدحن. دعهن يصبحن أمارونيات أو راهبات أو سحاقيات .  
لكهن لن يحدثه أبدا.. ولن تخدعه رنا..

تقلت إيباس في فراشها رفعت غطاءها بعاليًا وتركة يزلق فوقها كي يغطي  
م تكشف منها أثناء تقلبها.. يهبط العطاء الناعم الخفيف هي بطة.. يبطء  
حولها محددًا مسحات حسدها، لكة لم يهبط بالكامل ليلامس السرير الحالي  
بجانبها. هبط فوق ما يشبه الكرة الصغيرة بالقرب من أسفل قدميها..

ترتفع الكرة من تحت العطاء وكان هناك ما "يت" من الخشية الإنفحية  
للسرير.. يزلق العطاء تدريجيًا ليكشف طفلًا أرق اللون يحاط الفم مسدود  
الأذنين. يتسم في خبث ويحلق في زين بعينه البيضاءوين.

يهبط من على السرير ويسير بتؤده نحو زين في الشرفة..

لاول مرة يدحط زين ما يرتديه الطفل وقد بدا منسحقًا كأنما غمر في رمال  
مثلة.. يبدو مثل... مثل ري ما لا يستطيع تجميع تفاصيله..

يحرق رماد السجارة أمامه فيلقبها على الأرض.. يسمع صوت نفس الطفل  
العالي كأنما من أبف مسدود يجاهد كي يتنفس..

يراجع زين بظهره إلى سور الشرفة بينما يتقدم الطفل أكثر نحوه في ثقة.. بعدم  
أن الخيارين المتاحين لزين في صالحه..

إما أن يقفز من الشرفة ويصبح الخلاص من رمزي مهمته هو شخصيًا، وإما أن  
يقف زين مكانه وبذلك يصرب عصفورين بحجر.....

\*\*\*\*\*

طلت رما من رمري أن يسأل عن مدرسة قريبة بها حصاة كي تلحق بها  
آسر سأله تحديداً عن المدرسة المجاورة لمزلها بعد إلحاح آسر بأنه يريد  
الذهاب إليها بالذات لم تكن تعلم لها مدحلاً إلا ذلك المهدم، لكنها كانت  
تسمع صوصاء أطفال مبعثة منها أثناء اليوم الدراسي وإن لم تر أحدهم في  
انقضاء الخلفي..

رحب رمري بالفكرة وحاجة أن فكرة تسلط المدرسة على الطية استادا  
إلى صور رما لم تقارق دمه طوال الفترة المقصية.. سمح لونا بالنقاط بعض  
الصور له مع الطلة، وأكثر من مرة صبط بصفه يصور أناسا عشوائيين مكوناً  
سبة تقريبية لعدد "المصابين" فكانت السبة مخيفة فعلاً..

تطوع رمزي بالسير محاذياً السور القديم والفاء المعثر فيه عدة لعب قديمة  
ودمي بلاستيكية ودفاتر تلوين محتها الشمس وجعدتها الأمطار فصارت  
أقرب إلى رؤوس الكرنب المتربة..

((لم يظف أحدهم الفاء الخلفي حتى أو يخليه من القمامة . بل السؤال الأوقع لم لا  
يلقي فيه الأهالي قمامتهم من فوق السور كسلوك مصري معتاد<sup>(١٤)</sup>))

مر بعدة مبان لا تحتلف في شيء عن مثيلاتها.. لكنه مازال يسمع صوت  
صوصاء الأطفال إلا أنه قد خفت قليلاً .

مر بشارعين جانيين ألقى في أولهما نظرة خاطفة، ثم مشى في الثالث لدقائق  
فاحتفى عنه تدريجياً صوت الأطفال..

سأل عن مدرسة في هذا الشارع أو الذي يليه فلم يجد.

صار في طريقه المعتاد عارماً على الانحراف يمينا ثم العودة إلى البوابة القديمة  
ليسأل أحد الأهالي عنها..

امام عينيه رأى بوابة مدرسة مطابقة لبوابه القديمة إلا أنها نظيفة أبيقة تشبه  
بوابات القصور القديمة، يعبرها في المنتصف حفر دقيق يارح لرمز يعرفه جيداً  
ويراه فوق معظم بوابات المدارس وإن اختلف اسم المدرسة..

الشعار هو مثلث يخرج من منتصفه حيوط كالأشعة محتمة الطول والسماك  
يتصل الأطول منها إلى أجنحة حصان مجح من منظور أمامي، أما الأشعة  
الاقصر فتبدو وكأنها في طريقها إلى الاتصال.. الحصان معصوب العينين  
وقدماه الأماميتان مربوطتان بقيد يكاد يتمزق.. محفور بحروف شديدة  
الزخرفة بلغة لا يعرفها..

((Truces in solis ardentis eius anima scientia))

شعار مألوف وهو شعار المدرسة التي يعمل فيها أيضاً.. يحمله الطلبة مقبوساً  
على جيوب قمصانهم المدرسية في بعض المدارس..

كانت الساعة الرابعة تقريباً والأبواب معلقة.. يسمع صوت صرضاء طلبة  
خافت جداً كأنه يأتي من عالم آخر..

يدور حول المدرسة محاولاً رؤية المصول من الداخل بعد أن فشل في العثور  
على بواب أو مشرف هنا أو هناك..

رأى على مدخل المدرسة سيدة مهندمة ذات شعر فضي تخرج من الضلام في  
الداخل إلى نور الفناء.. تتحدث السيدة إلى أخرى أصغر منها تبدو وكأنها  
مدرسة..

تخرج السيدة إلى النور فتراها رمزي جيداً.. يعلم من هي.. يمد يده إلى جيب  
مرواله بلا وعي تقريباً.. يخرج هاتفه المحمول.. يرفعه إلى مستوى عييه  
وقبل أن ينظر في شاشته، يضغط زر التصوير..

\*\*\*\*\*

يقترّب الطفل الأزرق من زين فيظن الأخير أن الطفل سيدفعه من الشرفة . إلا أن الطفل يقترّب ثم يحترق بجسد زين ويظل هالك ..

يشعر زين كأنما اخترقته المئات من بلورات الرمال المبتة . يتعير لونه إلى الأزرق الوهاج للحظات ..

يرى زين رمزي ممسكاً بمسطرة مثثة يخرج منها أشعة تلوّى وتتجدد مستحيلة إلى لون بني مماثل للون شعر رنا ..

بمسك رمزي بشعر رنا ويقلها . قبله وحشية يستحيل فيها رمزي حصاناً أبيض يحنّحاً عطبه رنا ..

شيء في ما مضى يذكره بشيء آخر يتعلق بشباب الطفل إلا أن هذا لا يهم . لقد علم زين ما تفعله رنا .. ومع من ..

وحين ترنح زين عائداً إلى فراشه، لم يغمض له جفن حتى الصباح .. ولم يغمض جفناه طيلة رحلته إلى الإسكندرية ..



رأى رمزي في الصورة السيدة حوشيار .. تنظر إليه، لكنه لم يستطع التدقيق في الصورة أكثر من ثاتية واحدة وألقى الهاتف بعدها في دعر ..

يعلم أن هذا الأزيز المتصل في عقله يعني النهاية .. يهرول بلا هدى متحهاً إلى منزل رنا ..

يريد أن يخبرها بما رأى وليكن ما يكون ..

لا تلقى بابك يا رنا في ذلك الحميم .. لقد أحبط بنا ولا قرار .. اقتليه يا رنا

وسيجدوه ما دام كان عني قيد الحياة..

يلهث ونكاد يذاه تَحترقان حول المعصمين.. يعلم أنه قد عرف أكثر من اللازم.  
أكثر بكثير مما رأيته رنا.. وقد علموا أنه يعلم..

((من يُطل النظر لشمس المعرفة تَحترق روحه))

كلمات منقوشة باللاتينية حول مثلث لم يفكر قط في البحث عن معانيها.. لقد  
عرفه الآن بلا مترجم وقد احترقت روحه.. من يُطل النظر إلى شمس المعرفة  
دون أن تَحترق روحه.. لا روح له..

\*\*\*\*\*

نزل زين من سيارته أمام المكتبة التي تعمل فيها رنا.. متخشب الحركة، لا  
تطرف عيناه من خلف نظارته السوداء..

يدفع الباب ويواجه السيدة سكينة التي جلست ملصقة الجريدة بوجهها  
تصفحها بلا اهتمام..

- أين رنا..

- رحلت.. من انت؟!

انتظرت السيدة سكينة أن يكون هذا هو الرجل الذي تخون ابنها معه.. أو هو  
أحد الرجال الذين تجمعهم كطوايع البريد لتصلقهم على جسدتها.. العاهرة!

- أنا زوجها..

- زوجها؟! ا طليقها تعني؟

— هل قالت لك إنها مطلقة إذن؟! —

هكذا ارداد بيقيناً على يقينه من سلوكها المعرج.... العاهرة قايلا!

لم تكذب السيدة سكية خيراً وشرعت تحكي له عن سوء سلوك زوجته وكيف  
أنها التفت حول ابها العر البريء.. كلما زهدا الولد، أشعلت حبه بالاعيبها  
النجسة حتى صار كـ "اليويو" في يدها.. صار لا يعرف أمه التي كسرت شبها  
عليه..

ثم صممت.... شعرت ابها تكلمت أكثر من اللازم، وأن ملامح وجه زين لا  
تعني العقاب أبداً.. تعني فقط القتل..

لكنها لن تستطيع أبداً سحب ما قالت أو التظاهر ابها لا تعيه.. لن تستطيع  
إحارها أن زوجته عاهرة لكن ليس بالشكل الذي يتصورها خائنة وكاذبة لكن  
ليس بالدرجة العظيمة! الأعيها النجسة يمكن أن تطف بقليل من الغسيل  
والكلور إذا لزم الأمر!

خرج زين مدفعا من المكتبة ولم يلق بالاً إلى نداء السيدة.. رحلت ابه متوجه  
إلى منزل زوجته فأجدت السير حلمه دقائق ثم توقفت ممسكة بقلبيها.. لن  
تستطيع اللحاق به سيراً وهو يهرول — رغم وجود عرج بسيط في مشيته —  
بهذه الطريقة المحتزنة..

ظلت تسب لسانها السليط وهي تبحث بعينها عن سيارة أجرة عليها تدق  
به أو تسبقه..

لم تتوقف أي سيارة أشارت لها لسبب بسيط هو أن معظمها كان محملاً  
بالركاب.. انتظرت عشر دقائق كي تجد سيارة خالية وعشر دقائق أخرى كي  
تصل إلى منزل رنا..

عشرون دقيقة كانت أكثر من كافية كي تصل بعد هرات الأوان.. إلا أن الأوان قد فات من قبل ذلك بكثير..

\*\*\*\*\*

لم يشعر زين بخطواته إذ هرول إلى منزل رنا دون تفكير..

لقد خدمت الصدفة أغراض الطفل الغامض بشكل كبير.. كان يريد أن يتخلص زين من رمزي قبل تنفيذ رمزي طلب رنا بالبحث حول تلك المدرسة..

لو لم تكن رنا أشركت رمزي في أفكارها وصورها وموهبتها لكان من الآمن أن يسأل رمزي عن المدرسة، بل ويجدها ممتازة أيضًا وينصح رنا بضرورة إلحاق أسر بها. أما وقد ألقى رمزي نظرة أعمق على ما لا يسمح له برويته، فلم تصبح عملية البحث وراء المدرسة مأسوية تمامًا..

إلا أن ما رآه رمزي من خلال هاتفه زاد من خطورته، وصار من الأفضل أن يتم التخلص من رمزي بأسرع وقت ممكن.. وكان هذا هو الوقت الذي هرول فيه زين إلى منزل رنا بينما يصعد رمزي درجاته - لاهثًا زانح البصر - وقد صار محمومًا مكنه اللون..

إن الخلاص من زين لم يكن في مخططات الطفل الأزرق، على الأقل الآن.. إلا أن شكه في علاقة رنا برمزي سيجعله يتخلص من رمزي، وهو شيء محمود.. لكن سيجعله في الوقت نفسه يقتل رنا وهذا شيء مرفوض الآن، أو يضيق الحناق عليها ويعيدها إلى القاهرة معه وهو شيء يستوجب الخلاص من زين ولو لفترة.. مجرد عامين آخرين وبمكة العودة أو اللا عودة.. لن يهتم أحد بهذا الشأن وقتها..

أخذ رمزي بطرق الباب كالمطارد وهو لا يكف عن الهبات والتفت بحت  
الباب حتى لا يسقط..

فتح الباب مدعورة فكاد رمزي أن يسقط لولا أن تنقه بين ذراعها  
في دعر . سمعته لداخل الشقة وكادت أن تعيق الباب لولا أن تلاقى عيناها  
بعيني رين المحترقتين... ومسده الأسود البارد..

\*\*\*\*\*

من أكثر الصفات السيئة لشوارع مدينة الإسكندرية هو حط القطار الذي  
يفصل المنطقة البحرية عن المنطقة القبلية..

لا بد لك من عبور الشريط الحديدي الذي يؤدي إليه في معظم الأماكن عدة  
سلام متأكدة تشي بسقوطك من فوقها في أي لحظة.. هذا إن كنت راجلاً .  
أما إن كنت راكباً فالمشكلة تصبح أكثر عسراً. إذ لا بد لك من الانتظار  
حول نفسك في الشوارع الحاصية حتى تجد مزلقاً تستطيع العبور منه من  
بحري المدينة إلى قلبها أو بالعكس. وككل المزلقات في مصر، يختلط القادم  
بالآتي، وتقف السيارات في مواجعة بعضها، يتصارع سائقوها بأيهم يضر  
بالعبور قبل الآخر بضع ثوان..

لكن من أين للسيدة سكية أن تعلم أن انقباص قلبها وهي تقف عند إشارة  
القطار ليس مصدره الخوف على ربا، أو حتى وجود المفسد الذي لم تره مع  
زين؟ من أين لها أن تعلم أن ابها الحبيب المطيع قد أطلال النظر إلى الشمس  
و احترقت حلاليها و لن تعود أبداً كما كانت..

إب الموت بصير أمية عالية أحياناً إذا ما قورن بالجنون..

\*\*\*\*\*



سقط رمزي أرضاً بعد أن أفلتت من بين ذراعي رنا حيث تسمرت مكانها،  
وشعرت بذلك السائل الدافئ ينساب ليبلل مخذيها ويتساقط بين ساقبيها على  
الأرض..

كان رمزي يرفف بكلام لا رأس لا ولا ديل.. بينما يحطو زين إلى داخل  
المنزل وناظراه مثبتان إلى عيني رنا المتسعتين كطريقي فتجان..

من أعلى السرير القرصاني قفز آسر الذي يحطو في بداية عمده الخامس وجرى  
نحو والده وهو يتسم، ثم تغير وجهه وأسدل ذراعيه جانبيه إذ نقل بصره إلى  
المسدس المصوب إلى رمزي..

التفت آسر خلفه فجأة ليجد الطفل الغامض يقف مستنداً إلى السرير وهو  
يحرك رأسه بعمه ويسرة بيظه وكأنه يقول "لا" لآسر.. يعرف آسر أن الطفل  
يظر إليه حتى وإن كان الأخير بلا حذقة عين على الإطلاق..

يصبح آسر

.. ارحل.. ارحل..

لا يبدو أن الطفل الغامض مستجيب، لكن صبيحة آسر شئت تركيز زين  
الذي التفت إلى حيث يوجه آسر كلامه ليبصر الطفل الغامض..

— آسر! أنت تراه!! أنت تراه!!

يجري آسر نحو ساقبي والده الطويلتين ويصطدم بهما بعنف فيسقط أرضاً  
ومن المسدس تنطلق طلقة مكتومة بفعل كاتم صوت..

يقوم زين من سقطته سريعاً ليجد رنا وقد أمسكت ذراعها المثبته بالمسدس،  
تنطلق طلقة أخرى وتصيب قدم رنا فتصرخ وتسقط أرضاً..

بصرح آسر مباديًا أمه ثم ينشيث بكف زين المسكة بالمسدس.. القروحة الطويلة  
مفروسة في صدر الطفل الصغير وهو يبكي ويعمض عينيه.

لا يرى زين آسر فقط، وإنما يرى من حلقه رمزي الخالس أرحًا وقد سقطت  
نظارته وتهشمت.. غياه ذاهلتان لا تثبتان على شيء.

تدخل السيدة سكة لاهئة ل ترى زين جاثيًا على ركبيه موجهًا مسدسه  
المشؤوم نحو رمزي..

تلقى السيدة بجسدها فوق امها بينما يضبط زين الزناد وعينه لا تطرفان.  
بظرة شيطانية قد تلمسهما وتأبى أن تفارقهما حتى تترنوا بالدعاء..

وتنطق الرصاصة.. مباشرة بحر صدر آسر.. لا تفصلها عنه إلا مسيح  
ملايمه...

## رماعات صائبة..

«Truces in solis ardentis eius anima scientia»

عبارة حفروها على شعارهم منذ قرون.. مثلث هو كمال الهندسة  
الكوية بالنسبة لهم.. على قمة الهرم الديوي صبوا أنفسهم له مهندسين  
وعمركين..

تساب من بين أيديهم خيوط ههناة رقرقة لا يشعر بها أحد، بل ويتنذرها كل من علوه بقيدها، ويأبى تركها.. فهي الحرية ذاتها في عبيده..

قد وهبت البشرية نقاء أبيض وقوة هرس بيل وجناحي حالم طموح..

تطلعت البشرية إلى كسر قيودها والتحليق إلى أعلى.. نحو شمس المعرفة، كما لا بد أن يكون مكان البشرية الذي خلقت من أجله..

إلا أنهم لم يروا في الجنس البشري الأهلية لتلك المعرفة برغم كونهم بشرًا في الأساس.. أو الأدق أن نقول إنهم لم يريدوا لهذا الجنس أن يكتمل وأن يستقل وأن يصبح حرًا كامل المعرفة..

هالك تربعوا وأرثقوا قيودهم تدريجيًا.. قيدوا البشرية بعضها بعض، ثم قيدوا الجميع إلى مصالحهم وإلى المعرفة الدنيا التي مسحوا للبشرية بها يقدر ما يخدم ميادتهم عليها..

بخداع ودهاء، ظن البشر أنهم أحرار وأبهم أصحاب انقار . ساروا دروبا  
في طريق حرية زائفة انتطرتهم في آخرها المرید من الشراك ..

مرت القرون وسي من تم تقييدهم قيودهم، بل وجاهدوا من أجل الاحتياط  
بها.. يتحررون من قيد إلى قيد أكبر ..

وازداد ماسكي القيود سطوة ..

تسطحت المعرفة، وتشابه البشر، وهذا أن بشر الجهل - التي حفروها بعناية عبر  
مئات السنين - لا قاع لها ..

برشف منها مالتين منها العقول، فقط كي "لا تحترق أرواحنا بشمس  
المعرفة" !!

هراء؟ ومن قال إنه ليس كذلك؟

خدعة الشيطان الكبرى هي أن يجعل البشر يظنون أنه لا وجود له ..

وخدعة المحركين الكبرى هي أن يظن الناس أنهم يسرون بإرادتهم بينما هم  
لا إرادة لهم!

خدعتهم أن ترى الحقيقة هراء ولا تكترث له .. هكذا يستمرون ..

... وهكذا نتحرر من قيد إلى قيد أكبر ..

\*\*\*\*\*

انطلقت الرصاصة وارتطمت بصدر أسر ثم ارتدت عنه وسقطت أرضاً!  
فتحت رنا عينيها لترى الطفل العامض يمتص الحماية البيضاء التي بثها أسر

حول رمزي وأمه وبجملتها إلى حالة حامية حول أسر نفسه

سقط أسر أرضاً لم يحسه سوء، بينما بدا أن الطفل العاصف يحترق غيظاً  
ويتذبذب بلون أحمر كريد، وصوت نفسه يدعو في أدنى رن وزين كما أنه  
يسمعه من قبل..

جرت رنا نحو أسر راسمة اثرًا سميكَ من الدماء ورائها، واحتضنته محمية  
وجهه في صدرها، فدفعها أسر برفق وأطلق جاريًا إلى الحجرة الخالية وحسن  
هناك في الركن.. يبكي، موليًا ظهره للجميع..

كانت السيدة سكية تبكي هي الأخرى وتساءل عما حدث لابنها..

كان رمزي صامتًا لا تتحرك عيانه ولا يعي شيئًا مما حدث حوله.. بينما رن  
تحمش وجهها في حزن وقد فقدت السيطرة على ما تبقى لها من عقل وهي  
تصرخ في الطفل العاصف وتحاول إمساكه بلا فائدة..

- أنت أيها الحقير الصغير، ماذا تريد سي.. لم تظهر؟ لم تحب؟ ماذا تريد ما؟  
هه؟ تريدنا جميعًا صرعي؟ لأي سبب.. تعال هنا.. دعني أهرس وجهك  
بقدمي.. د.. د..

ما زال زين على الأرض ينظر إلى رنا في ذهول.. ينظر إلى المسدس بين يديه  
وينظر إلى رمزي وأمه..

- رنا.. أنت تريهه؟

- أراه.. أراه.. وأعلم أنك تراه.. دعني أفقأ عيني حتى لا أراه ثانية.. دعني  
أقتل نفسي فلا أرى أحدًا ثانية..

يحتملي الطفل العاصف تاركًا حلقه دحبابا أسود سرعان ما تلاشى هو الآخر..  
يقوم زين مترنحا ويحمل أسر الذي لم يكف عن البكاء ولم تعد له إرادة في

قبول أو رفض أي شيء..

تجرّ رنا ساقها الدامية وهي تصرخ..

.. أسر أسر زين.. لا تأخذه!! زين!!

- اسمعي يا .. لقد كان كل هذا خاطئاً.. أسر ابني وسوف أخذه الآن، ولن تستطيعي رؤيته ثانية.. أستطيع إثبات سوء سمعتك بسهولة الآن، وقد أعمتي تصرفاتك غير المسؤولة وكذبت أزج بعسي في السجن. استمتعي بحياتك أنت طالق..

وحمل زين أسر الباكي وخرج من الباب دافعاً بنية الرقيقة هناك وقد بدا على وجهها نظرة غير مصدقة..

لقد سمعت ما قاله زين وما ترهف به السيدة سكيئة متصعبة على حال ولدها وما أصابه من جراء معرفته بشك العاهرة.. لقد كاد زوجها أن يقتله..

- رنا.. لا أصدق ما أراه وأسمعه.. أنت.. أنت كذلك!! كيف أثن بأي شخص بعد ذلك..!!

- بنية.. بنية.. يا حمقاء.. انهبي... زين!!!!!!

ولمدة ربع ساعة ظلت رنا تصرخ باسم ابها . سقطت في دمائها وهي تلطم وتخمش حديها.. تسب وتلعن الجميع، ثم نادى ابها حتى فقدت الوعي..

\*\*\*\*\*

لم تستطع منال تبين ما حدث تمامًا من خلال الحديث غير المفهوم في الهاتف..

كانت رنا تبكي وتصرخ في صوت بجنون واهل ثم سمعت منال صوت الهاتف يسقط، حين وصلت منال وقرعت الباب لعدة دقائق لم تجد أحدًا في المنزل.. طرقت باب الجارة الوحيدة التي ذكرتها لها رنا، فتحت بثبة الباب مبتسمة، ثم تعير وجهها وصمتت الباب في وجه منال عندما سألتها عن رنا..

اتصلت منال بزوجها مدعورة وطلبت منه المحي.. دقائق وكسر رشدي الباب ثم توارى عن الفتحة في أدب واقفًا في بحر السلم..

كانت رنا ساقطة والدماء المتجلطة تكسر قدمها والأرض من تحتها.. الهاتف ملقى أرضًا، وعلى بعد خطوات منه طليقة رصاص متدحرجة وأخرى معروسة في الأرضية، بينما الثقب في الجدار يشي بثالثة..

صرخت منال ونادت زوجها الذي حمل رنا ورفعها على السرير توطئة للاتصال بالإسعاف . أمسكت رنا كفه في وهن ورحته ألا ينصل بأحد فجلس في الشرفة، بينما حكّت رنا لمنال حقيقة ما حدث طيلة الأعوام الماضية - بلا ذكر للمواهب السوداء - وما كذبت عليها بشأنه..

كانت منال تفكر ولا تدري بم ترد . صديقة عمرها ممر بكل هذا ولا تحكي لها.. ثم كانت تحشى؟ اللوم؟ أم تحشى أن يصارحها أحد أنها محطنة فتصبح مضطرة إلى التوقف عما تفعله؟

كان رشدي أيضًا من المستمعين وإن تظاهر بأنه لا يسمع.. قرر في نفسه أن يمنع منال عن زيارة رنا مرة أخرى، ثم توقف لحظات.. توقف ليتذكر رنا التي ساعدها بنفسه في الفرار إلى الإسكندرية.. رنا الطيبة الساذجة التي ركت

كل شيء، بقدمها بعد أن ظمرت بطفل نمته طيلة حياتها..

شعر بشفقة نحوها، إلا أنه قد تفاحاً حقاً يكون رنا مارالت امرأة!

هناك أشخاص معينون يصعب أن تحيلهم بخطوون أو يتحلقون أو حتى يتخطون! وكانت رنا من هؤلاء الأشخاص بالنسبة لرشدي، إلا أن شعوره بإمكانية أن تلتقط روحه عدوى الخيانة أو مرافقة الرجال من رنا جعله يفصل أن تبعد المرأتان لفترة..

لم لا تريد رنا أن تذهب إلى المستشفى؟ إن قدمها مصابة بطلق ناري، ربما أخطأت الرصاصة قدمها بصعقة مليترات إلا أنها مصابة وقد نزلت الكثير. هل تخاف الفضائح؟! لقد صبطها زوجها بصحبة رجل غريب، فمن الوارد أن لا يعاقب زين وتصبح العضيحة كلها من نصيبها..

المشكلة الكبرى بالنسبة لرنا كانت اصطحاب زين لآسر معه.. كانت تريد إياها ولم تكن تستطيع الاحتفاظ بتماسك كلماتها كلما تطرق الكلام إليه.. دحنت مال الشرفة إلى زوجها وقد علمت أنه سمع من نظرات عينه الخيري..

— أريد أن اصطحب رنا معنا إلى المنزل..

— لا أدري.. أشعر أنها ليست رنا القديمة التي أعرفها.. من هذا الرجل؟ ولم تستقبله في منزلها؟.. مال.. لا يد أن علاقتها به تعدت ما روتة هي كي يعلم زين بشأنها ويقرر أن يأتي ل.. لقتلها! هل تفهمين؟! لا يقتل المرء زوجته لمجرد شك.. لقد تأكد الرجل واصطحب مسدسه معه من القاهرة لهذا الغرض..

رشدي ليست رنا بهذا السوء وأنت تعلم.. إن الناس يكرهون ال...



من تتعدي سمعتها المائتي كيلو متر وتعتبر محافظات هي باناكيد بهذا  
السوء. أنت نفسك قد شككت في الأمر بعد ما قطعت علاقتها بك بلا  
مبرر. مال.. لا أريدها في بيتي مع زوجتي وبناتي. ولا أريدك هنا معها  
أيضا.. سوي أمورك وساتترك في السيارة..

علمت رما قرار رشدي وحكمه النهائي عليها عندما عر إلى باب الشقة من  
أمامها ولم يلق عليها حتى السلام..

أجهشت بالبكاء وقد أيقنت أنها أصبحت وحيدة.. وحيدة بلا طفلها الأعر  
الذي... الذي تركه يترب من بين أناملها كالرمال بحماقتها واندفاعها..  
بكت حتى فقدت الوعي مرة أخرى..

\*\*\*

لطالما تسائل ذلك السائق عن حظه العجيب الذي يوقعه هو بالذات في مثل  
هؤلاء الزبائن..

أخذ يعري نفسه بأن طيبة قلبه هي ما تقوده لتلك المواقف التي يحسب  
أجرتها عند الله.

فمن يركبون معه الآن ليسوا بأغرب من السيدة المرشكة على الوضع والتي  
أبت أن تنقل ردفها من مقعد السيارة إلى المقعد المتحرك الخاص بالمستشفى  
أمام باب السيارة كي لا يسقط الطفل من أحشائها في الشارع ووضع  
مولودتها في المقعد الخلفي للسيارة وقد لوثت المقعد إلى الأبد. الأمر الذي  
اضطره لتغيير تنجيده بالكامل على يافته بعد أن وقف وحيداً أمام المستشفى  
ولم يعد إليه أحدهم كي يقدّمه ماله أو يعرض عليه العوص .

أما تلك السيدة وابها الشاب فتقتصر عرايتهما على مظهرهما فقط ولن نجد تلك الغرابة على الأرحح إلى السيارة نفسها.

كانت سيدة محوز ترتدي جدياً مطراً فوقه شال صوفي، وابها الشاب مكوش الشعر تدو على حابي قصبه ألفه علامتان حمراوان تشيان بأن نعة مظارة مفقودة..

كان الشاب يهذي بكلمات غير مفهومة إلا أن ملاحظه لا تدل على أنه مصاب بأي عته أو بله مرضي..

ربما أصابه "لطف" ما من جراء ما نسمع ونرى يومياً في الشوارع..

حد عندك مجموعات الشباب بالشعر المكوش والأعلام والرموز الوطنية مطبوعة على ملابسهم، يصرخون أغاني على موسيقى صعيقة مكسورة العماات يعزفها أحدهم على جيتار..

أعما ارادوا لها أن تكون وطنية منذ بصع سنرات لكها بدت بمسوحة خاوية غريبة الألحان..

ظهرت في الفترة الأخيرة فرق موسيقية كاملة تشبع الأسماء العربية لها ويكتبون أسماء فرقهم بذلك الطريقة التي هي خليط من العربية المرحرفة والإنجليزية حتى عدت تلك الطريقة هي طريقة الكتابة الوحيدة الراقية الآن.

ذكره مظهرهم بالهيبين وإن لم يعاصرهم لكنه يعرفهم من الأفلام، ويعرف أن هذه المجموعات من الشباب بلا أمل، بلا مراقب، يتخذون الوطنية ستاراً يحفرون وراءه خواتمهم..

ركبت معه إحدى تلك الفتيات الأسبوع الماضي وكانت ترتدي اسمالاً هي

في الواقع موضة الحجاب هذه الأيام..

سألها إن كان لها منزل تعود إليه أو عمل أو دراسة بدلاً من الوقوف في الشوارع والميادين بلا هدف.

أجابته بكبرياء الفيلسوف وحججه العالم إن ما تفعله هو روح لتغيير والثورة على المعتقدات والتألفات وعقول المتحجرين من الآباء..

أجابته إن العاء هو التعبير الأرقى عن الرأي، وإن الوقوف في الشوارع هو أفضل طريقة لتذكير الناس بالثورة التي رادوها في مهبها، والتي لم يصبروا حتى تكبر وتعلم المشي والكلام وإنما ضاقوا بكائها وصراحها وتحلصوا منها، وإن ما يحدث الآن هو عقاب لكل من اشترك في هذه الجريمة

سألها إن كانت تعمل أو تدرس فأجابته بشتم الحكماء وفجر الجيوش المنتصرة أيها هي وزملائها قد تركوا الدراسة والعمل وتفرغوا للوعظ العاصيين.. أحبرته أنه لا بد أن يصحى أحدهم بمسقبله من أجل مستقبل الآخرين، وقد قبلت هي وزملائها تلك النصيحة..

صمت السائق وصار ضغط دمه يحتاج إلى بارومتر لقياسه وليس جهازاً طبياً . إذن فهؤلاء الشباب مضحون؟ يبدو أن التضحية رائعة؛ لأن معظم الشباب مضحي الآن ولم يبق أحد ليضحوا من أجله!

لم يعلق أكثر حيث إن من يحدثها هي واحدة من آلاف المجموعات المنتشرة في العالم العربي كالأوراق الجافة في الخريف.. إن من يعت الثورات العربية في ٢٠١١ بالربيع العربي قد فاته وصف لخريفها الآن..

لم يتمحّب من هلاوس الراكب ذي النظارة المقنودة عن مشات وحيرط وقبور . لا بد أنه ترري أو شيء من هذا القبيل.. لن يسأل أو يدي تعحاً،

إد من الممكن أب يكون الشاب من سياسي هذا الزمن، ويهتم بحيله بالمثلث القومي والقيد العربي والخيوط السلمي بأنه سبب تأخر الجلد، وسبب وأد السوره في مهدها والتي لم يصبر حتى تكبر وتعلم المشي والكلام وإنما ضاق يكانها وصراخها وتحلص منها، وأن ما يحدث الآن هو عقاب لكل من اشترى في هذه الجريمة...!!!!

صار يسمع كل تلك الكلمات المكررة - وكأنهم بصقوها في أفواه بعضهم بعضاً - ولا يعلق؛ فهو يريد أجرته كي يأكل عيشاً.. وصل سعر الرعيف المدعم منه إلى ٣٠ قرشاً شاملة الدمغات والضرائب والحشرات المتحجرة. أيقظته السيدة العجوز من أفكاره وطلبت منه أن يقف. بقدرته ماله وبرلت وشرعت تحذب ابنها ثقيل الوزن مرخي العضلات.. أخذت تنهت وتعتصر صدرها..

اضطر السائق إلى النزول ومساعدتها. كان الشاب ثقيلاً حقاً لكن ارتخاء جسمه هو ما جعل إخراجَه من السيارة عسيراً..

وحين لف ذراع الشاب حول عنقه لينمكس من حمله إلى منزله، تثبت الشاب به بقوة وأصق وجهه في وجهه فماحت من فمه رائحة معدنية قوية..

- يا... احذر.. هه.. لا تشروح.. لا تجب.. إن كان لك أولاد فاقتلهم.. لا تكاثر بأي ثمن.. إن انقراض البشرية هو السيل الأوحَد لقطع خيوطهم.. إنهم.. إهم في كل مكان.. فيردهم حول كل رقة، وقد صرنا نسحاً يا صديقي.. إنهم هناك.. في الأعلى.

وأخذ يضحك ويضم أطراف أصابعه معاً صانعاً شكل المثلث..

كانت العجوز تبكي وهي تقدمهم صاعدة السلم إلى شقتها.. دخل السائق وأجلس الشاب على أقرب مقعد ونزل مهرولاً..

قد يكون كلام الشاب مجرد هلوسة لكنها أرسلت القشعريرة في عموده  
الفكري.. يشعر بشيء من.. من النبوءة في كلماته.. يشعر من تلك الهالوس  
إنها هي الكلمات الوحيدة المطلقة في هذا العالم..

## بين عالمين..

طوال الطريق إلى القاهرة، لم يطق أسر بحرف.. لم يعض عيبه.. لم يغير  
تعبير وجهه..

كان زين يحدجه ينظراته كل بضع دقائق وقد ملأه الدعر.. لم لا يبكي؟ لم  
لا يصرخ ويركل؟ بل والأغرب.. لم يبدو أكبر من عمره بعشرة أعوام على  
الأقل.. ١٢

وفي الثغرات بين النظرة والأخرى، كان يفكر.. ماذا سيفعل بأسر الآن؟ هل  
حرج صياحا وحده ليعرد مساء إلى زوجته يطمّل ويحبرها أن عليها أن تربيته..؟  
كان راثقا أنه قد فعل الشيء الصحيح بصدده من رما، لكنه لم يحسب  
حسبته بدقة بصدده من سيرعاه..

ربما استأجر له مربية متخصصة كي يخف عبؤه من على كاهل إبناس.. يكفيها  
أنه ليس أبها..

توقف عبد السوبر ماركت الشهير بعد بوابات القاهرة وحمل أسر معه إلى  
الداخل بعد ما فشل في جعله يسير على قدميه..

اشترى له ملابس وألعابا وحلوى ثم وقف في منتصف المتجر حائرا.. ماذا  
عسى طفل في عمره أن يحتاج أيضا؟

.. أسر .. هل تريد شيئاً من هنا؟ أي شيء..

لكن الطفل ظل يحمق في الفراغ أمامه كالأعمى ولم يعلق..

رفرف زيب ودفع ثمن ما اشتراه ثم عاد إلى منزله ركن السيارة في الموضع الخاص بها في الحراج أسفل البرج المصنم وجلس فيها يفكر في الضوء الخافت أمسك هاتفه المحمول وطلب إيباس وقبل أن ترد أعلق الخط..

ماذا سيقول لها. كان يودّ لو مهد لها مفاجأة الصغيرة المرعجة وأراح نفسه من عباء رؤيته رد فعلها وجهها لوجه.

أحد الهاتف المحمول بصي، وينطفئ وعلى الشاشة اسم إيباس.

– ألو.. لا شيء.. لقد قطع الخط.. أ.. إيباس لقد كنت في الإسكندرية اليوم وتشاحرت مع ربا وأخذت أسر.. لا.. سيعكث معاً للأبد.. إيباس، لا اسمعك، الشبكة سيئة.. سلام..

وأغلق الخط.. لم تكن الشبكة سيئة لكنه لم يكن على استعداد لسماع أي استفسارات منها..

برل من السيارة وحمل أسر الذي لم يُد رعية في السير ثم خرج من الحراج وأمر هرد الأس الخاص بالبرج بحمل مشترياته من السيارة وتوصيلها إلى شفته..

فتح باب الشقة ليجد إيباس مازالت واقعة أمام الشرفة والهاتف في يدها.. لم يُد أنها قد سمعت باب الشقة يفتح..

ناداها وأغلق الباب.. التفتت إيباس هي ذعر ثم ترقف بصرها على أسر..

– هذا ابن رنا؟ أعني ابنك؟

- نعم..

تقدمت في بطنه وكأنيها على وشك الدخول في جحر ثعابين.. ضمت طرف  
الروب على صدرها ثم مدت يدها نحو شعر أسر..

ابتسم أسر في براءة أسرة! مدت إيباس كلتا يديها وضمت.. مد يده ولعنها  
حول عنقها.. تركه زين وابتسم.. ثم قهقه عاليًا.. لقد انزاح العباء من على  
كاهله، ومرت أول مقابلة بسلام..

\*\*\*\*\*

لم تحرح رنا من منزلها طوال الأيام العشرة التالية.. طلت قابعة في سريرها تام  
ولا يقطع نومها إلا بذهابها مترنحة إلى الحمام ثم النظر إلى وجهها في المرآة  
المعلقة هناك.. شعرها مشوش منكوش وعيناها حمراوان غائرتان. تغترف  
الماء من الصنبور بيدها.. تشرب.. تعود مبتلة اليدين والصدر..

مع الأيام قلت رحلاتها إلى الحمام مع امتاعها عن المأكول والمشرب.. كانت  
تعلم أنها مقضي عليها.. لن تستطيع الخروج، فمن المؤكد أن ما رآته بشية قد  
صار في الشريط الإخباري للحيرة وحديثهم الوحيد..

لن تستطيع جني المال ولا شراء أي شيء.. ولم يكن لها رغبة في شراء أي شيء..  
نعد رصيدها تنفها وانقطعت عن العالم..

لم تستطع التفكير في شيء سوى أسر.. تبكي وتدفن وجهها في الوسادة..  
تام ثم تستيقظ على صبحكاته.. لا.. لم يكن هناك.. لم يكن في أي مكان  
تعرف عنوانه..

تفتح عيناها صباحا ولا تقدر على رفع ذراعها.. تدير عيناها بكرة إلى باب



الشفه.. ((أين المفتاح؟)).. تدير عينيها بجملة.. الهواء القادم من الباردة يداعب  
أشعة القراصنة على السرير..

خيط عكبرت مندب أمام عينيها من السقف.. تترجحه أنفاسها المتقطعة..  
تنفخ الهواء برفق بشفتها فيتأرجح العكبر بقرعة.. يسحب نفسه إلى الأعلى  
في سرعة.. كائن صغير كل همه هو التدلي والارتفاع كلما شعر بخطورة هذا  
التدلي..

لقد تدلت رنا لكنها لم تستطع الارتفاع في الوقت المناسب..  
يظلم العالم عن عينيها من جديد.. ومن بعيد.. تسمع صوت مفتاح يدور  
في الكالون..



ظل رمزي محبوساً طيلة عشرة أيام.. لا يفتح معه أي خافض حرارة ولم يفتح  
أي طبيب في معرفة ما أصابه..

رجع أحد الأطباء كونه مصاباً بأحد فيروسات المخ النادرة ((المقاتلة)) وطلب  
تحويله إلى الحجر في المستشفى لإجراء الفحوص اللازمة..

لم تكن حالته تتقدم أو تتأخر.. فقط كانت ثابتة.. وهلاومه ثابتة..

لم تكن مؤشرات عقله تدل على شيء إلا على رجل يحلم..

لكن الأغرب وما لم يجد له الأطباء ولا في الأشعة تفسيراً هو تلك المعجزة  
السوداء التي تظهر مكان مح في الأشعة.. إلا أن أحدهم أشار إلى موضع في  
منتصف المخ مما حاك ذهنه.. ابتسم لسحب الفكرة ثم تمتم:

- تبدو لي مثل.. مثل كرة عين هناك! ألا ترون هذا معي..!!  
ضحك الجميع في عصبية وأنزلوا الأشعة من على اللوحة الضوئية البيضاء  
ورحلوا..  
لم يعلموا كم كانوا محقين فيما رأوا..



بسام أسر في حجرة أخته لي لي ريشا ينتهي زين من إعداد حجرة له.. نضع  
إيناس لعبة في سلة كبيرة.. طائرات.. أوناش.. مسلمات.. سيارات..  
والكثير من دمي الكارتون الياباني والأمريكي..  
ينظر أسر لكل ذلك بلا اهتمام.. يتوجه إلى مضدة وردية وُضع عليها دمي  
باربي وعرائس مختلفة الحمامات والأشكال..  
يجذب دمية ويجلس أرضاً ويمشط شعرها بأصابعه..  
- أسر.. حبيبي.. هذه ألعاب لي لي.. ألعاب فتيات.. انظر.. هناك ألعاب  
الأولاد الأقرباء مثلك..  
وتقف هناك ممسكة بطائرة وتحركها صانعة أصواتاً طفولية كأنها صوت  
الطائرة..  
يضحك أسر ثم يحول نظره إلى دمية أخرى على مضدة لي لي..  
ترفع إيناس حاجبها في دهشة.. تجول بعينها على المضدة الوردية. تأخذ  
دمية خشبية ذات حيوط.. دمية ماريويت مثل بنوكيو..

تضعها على الأرض خلف أسر وتشد حيوطها.. تمشي الدمية التي تحركها  
إيناس ثم تجعل يد الدمية على كتف أسر.. تعبر إيناس صوتها كأنها صرخت  
بينوكيو الأخف..

- أسر.. أسر.. انظر.. أنا بينوكيو.. انظر..

يلتفت أسر حنفا وهو يصحك.. تتصلب الابتسامة على ملامحه تسع  
عيناها.. يقف ويتراجع بظهره مسرعا وهو يصرخ.. يبكي.. يرتطم بالمصيدة  
الوردية فيجذب المفرش لنقع الدمى فوقه..

- أسر!!

تركع إيناس وتخرج الطفل من تحت أكرام الدمى.. ما زال يبكي ويركل .  
تدخل لي لي في خطواتها المتعثرة.. ترى إيناس تحتض أسر الساكنة فنصرخ هي  
الأخرى!

تجري نحو إيناس وتحنسها من الخلف..

تهزول المربية صغيرة السن نهى نحو الباب وهي تحاول تفسير الموقف..

- مدام إيناس.. لا أعلم لم تجرت لي لي بهذا الشكل.. ربما لمت انتاهها بكاء  
أسر..

نهر إيناس رأسها أن لا عليك، ثم تهض وتحمل الطفلين، ولا يعرفها تلك  
الظفيرة المدعورة التي صوبها أسر نحاه دمية الماريويت على الأرض.

\*\*\*\*\*

كانت رنا تعلم وإن كانت بهصف وعي، أن هناك من يأتي ويصنع الطعام في  
مها قسرا.. تشعر بكيسولات لها رائحة تشبه رائحة الشيكولاتة تنزلق إلى

يلعومها مع ماء..

تشم رائحة عطر تعرفه جيدًا.. عطر كانت تستخدمه هي نفسها أيام.. أيام  
كانت الأربعمئة حنيه ثمن الزجاجة الصغيرة منه مجرد "فكة"..

تسمع أحيانًا صوت ضحكات أسر.. وصوت خطوات طفولية حولها عندما  
يطعمها من يدها..

بالأمس سمعت أسر يصرخ.. يصرخ ويكي بعد أن ضحك مرتين.. أيقظها  
هذا فجأة وصاحت باسم ابها ثم سقطت على الوسادة مرة أخرى..  
ليتها تستطيع التركيز.. ليتها..

\*\*\*\*\*

نعم.. كانت هناك عين داخل الفخوة التي كانت مع رمزي.. عين تتحرك في  
كل اتجاه، بل وتقبض على الأنسجة الداكنة حولها، وتبدو وكأنها.. وكأنها  
ترمش!

تراقب العين روحه المحترقة.. تراقب من حوله.. ترسل رسائلها الغامضة إلى  
الشكل الهرمي الأعظم.. ترسل رسائلها الغامضة إلى مرشد من الأعين الخفية  
في أعماق كل من حولها.. عين لا ترى إلا إذا تلف ما حولها.. وكان رمزي  
من القلائد المحظوظين بهذا التلف!

من حوله تخلق أخوته الأكبر.. تجلس أمه ممسكة رأسها طيلة اليوم.. تنظر إليه  
ثم تمسك برأسها مرة أخرى وتقرأ القرآن..

في أوقات صفوها تجتمع بأخوته وتطالبهم برأس المرأة المتسبية في كل هذا، ثم

تعدل عن ذلك.. تكفي برهابها وجعلها تقىء ما عندها من معلومات حول ما حدث لأبها.. تعلم في داخلها أن رنا لها علاقة بحالة ابنها العائض لكن كيف؟ كيف تصبه بعروس عائض كما يقولون؟

تستعيد بالله من الشيطان وتعرف الأمر كله إلى الصدف.. ربما هو عقاب الله لها على ظلمها لرناء..

وعندما يعود أخوته من رحلتهم إلى منزل رنا، يخبرونها أنهم لم يجدوا أحدا هناك مهما طرقتوا الباب أو عادوا في أوقات متفرقة..

تسكني عني كتب الأكبر منهم ثم تجلس جلسنها المعهودة. ويعود كل منهم إلى منزله وزوجته.. وتظل هي حيلة الليل تبكي وتقرأ القرآن..

\*\*\*\*\*

- إن أسر طفل انطوائي غريب..

- أعلم.. أمه كانت تضعه في "قمقم" ولا تجمع به يختلط بأحد.. أن الأوان لتغيره..

- زين.. أسر لطيف وأنا أحبه فعلاً.. لكن.. هو ليس أبي.. هل تفهم؟ لن يحبي كأمه مهما فعت.. هذا ما يجعلني لا أستطيع فعل شيء ذا فائدة له..

رفع زين عيه عن الجريدة ورشف آخر قطرات في فججان قهوته الصباحي وقام واقفاً..

- إياس.. أحليه يحبك ويسى أمه ثم عيريه.. هل ما أضله مستحيل؟

- حرام أن يحرمها منه بهذا الشكل.. حرام أن أحله يسها.. زين.. اسمعه يتحدث في نومه إليها.. إن هذا يمرقني..

- وما فعلته رنا ليس حراماً؟ هي من فرطت فيه..

- زين.. لقد اقتضى الأمر عامين كاملين حتى أتخلص من إحساسي بالذنب  
لأبي أخذتك منها.. كم سيقضي الأمر إذن كي أسي أني أخذت ولدها  
الوحيد أيضاً؟

- بالحماقة الساء.. انطري.. هي تركني وتركته ابناً بعائتها.. إن لم تأخذها  
أنت كانت غورك ستفعلها.. حان الوقت كي تكسبي ثواباً حقيقياً في تربية  
هذا الطفل..

ثم قبلها وفتح باب الشقة متوجهاً إلى عمله.. توقف لحظة ثم دس رأسه من  
فرجة الباب..

- ولا تنسي أن تجعل لي لي تشوق عن الصراح كلما رآته.. صوته مرعب  
جداً

\*\*\*\*\*

- آسر.. حبيبي.. أين أنت..؟

تسمع رنا صوته بعيداً جداً.. لكنها تعلم أن تلك الهمهمات صوته..

- آسر.. أسمعك بعيداً.. أين أنت؟ هل أنت بخير يا سي؟

- ماما..... ما.....

تقلب في الفراش غارقة في العرق.. تسمع طرقات عصبية على الباب لكنها  
لن تستيقظ.. تلك هي اللحظات الباردة التي تنتظرها كل يوم.. لحظات  
تسمع فيها صوت آسر وتعلم أنها لا تحلم.. إن كانت تحلم لكات رآته ولمسته

واحتصته.. ليست الأحلام بتلك القسوة..

— ما..... ما.....

\*\*\*\*\*

مارال هناك شيء كالعقل يعمل داخل كتلة الأنسجة التالفة في مخ رمزي..  
يعلم أنه لن يعود . يعلم أنه لم يمت.. بعد..

يراهم بوضوح.. يراهم هناك يضعون مخططاتهم لتحويل العالم إلى.. إلى  
عمال.. أحرار!

يعمل الناس طابرين منهم يعملون بإرادتهم.. منذ مئات السنين وخططتهم تسير  
ببطء.. لكن بحظوات وثقة ثابتة..

تسارع الآن العجلة ويكثر العيب.. تعبر خططتهم وتشير شوكتهم الشيطانية  
إلى بداية الجنس البشري.. إلى الأطفال..

من الأسهل، والأكثر تأثيراً.. أن يصبّ السموم من البداية.. أن يوثق القيود  
وتعصي العقول..

يرى آلاف المدارس تتحول تدريجياً إلى نظام تعليمي وتربوي عجيب.. لا  
يلحظ أحد التعبير، ومن يلحظ يجده يعقله المقاد، خطوة صالحة في طريق  
تحرير العقول!

يوهمون الناس أن ما يدرسونه الآن هو عين ما يدرسونه في أفخم مدارس  
الخارج..

يشترى الناس السموم ليدسوها في عقول أبنائهم .

لمزيد من أكتفد القصص

جروب **مسير الكتب**

[FB.com/groups/Book.julce](https://www.facebook.com/groups/Book.julce)

لقد صارت قاعدة الأتباع عريضة. وقرئاً.. سيصير الجميع تابعين.. ومن  
يتخلص من قيده.. يستحق مصيره..



## اتصال من نوع ما..

كانت لي لي تشاهد برامج الأطفال في إحدى قنوات الرسوم المتحركة المدبلجة إلى العربية..

فمها مفتوح وعيها واسع.. تدور في تلك المخطوقات القرية والديناصورات والبحر.. تعرض في محيط متغير من الفواصل الإعلانية.. ألعاب.. ألعاب.. ألعاب.. دمي تغير وأخرى تغير.. آلات تصنع مأكولات ملونة عذبة المذاق.. مجموعات لا نهائية من الألعاب والإكسسوارات الخاصة بها.. لا بد لك من مليون جنيه شهرياً كي تشتري لأهلك كل ذلك الماراثون اللاهث من وسائل الترفية..

تسير لي لي إلى الألعاب وتصبح أنها تريد هذا وهذا.. تنظر بصحة أيام ثم نصيبها بربة من التشجعات والصراخ إذا لم يحضروا إليها ما تريد..

تتريد الألعاب في حجرتها حتى لا تترك موضع أصبعي قدم لسائرين.. تنظر الطفلة إلى الألعاب في حواء ثم تجلس أمام التلفاز تطالب بالمزيد..

تستطيع أن تحيل ما ستحول إليه تلك الطفلة وشبهاتها بعد عشرة أعوام.. لا تحتاج إلى مواهب خاصة كي ترى تلك الطفلة في معظم البيوت الآن.. ربما تكون أهلك أيضاً..

أما أسر فقد عاد إلى لعبته العريضة.. المكعبات.. ليست كالتى تشتريها له أمه، إنما هي أكبر وأكثر عددًا وأعظم إمكائية..

يحدث أسر في لي لي وهي تشاهد التلفاز.. يلقي نظرة سريعة غير مهتمة إلى ما تشاهده، ثم يقف خلفها. تنظر إليه المربية بلا اكتراث ثم تكمل قراءتها لكاتالوج إحدى شركات منتجات التجميل العربية الشهيرة..

لقد أدمنت بهي شراء تلك المنتجات وخصوصًا أن مرتها يسمح بذلك، وبالرغم من أن كل تلك المنتجات غير مجدية إلا أنها لم تستطع الخلاص من سحر طريقتهم الدعائية وعروضهم الخاصة المغربية..

تساءلت مرة "من أين يأتون بمنتجات جديدة شهريًا؟! وأين تذهب القديمة؟!" سؤال لم يحكث في ذهنها أكثر من ثوانٍ ثم عادت تطالع كاتالوجها..

وقف أسر حلف لي لي ثم مد يده.. كان يريد الإمساك بالخيط الدخاية البيضاء التي تربط رأس لي لي بشاشة التلفاز.. لم يكن يجروء على لمس الخيط الخارجة من التلفاز وإلى الهواء فوقه كي لا تلاحظ لي لي وجوده..

ما إن لمس تلك الخيط، ولأول مرة في حياته، حتى شعر بها تقطع وتسري في ذراعه..

انفضت لي لي واقعة وهي تترك عينيها بينما سقط أسر على الأرض..

ثران قليلة ثم امتدت الخيط ثانية إلى رأس لي لي.. بكّت الطفلة وهي تشير لي أسر.. لم تر نهى ما حدث، ولم تستطع الربط بين سقوط أسر أرضًا وبين كونه المعتدي على لي لي..

— لماذا ضربتها يا أسر؟

— لم أضربها.. كت.. كت أريد أن أمسك الدخان من رأسها..

- دخان؟ أي دخان؟

- الذي يربطها باللفاز..

- لن تكذب ثانية.. سوف أحرر الأستاذ زين عندما يعود.. اذهب إلى حجرتك.. الآن..

يعود أسر مشي الكتفين إلى حجرتة.. يخلق الباب وينظر أسفل السرير..

- ذلك يؤلم فعلاً.. لكنني أستطيع أن أفعله ثانية عندما تريد ذلك..

ينظر إليه الطفل الغامض النائم على بطنه أسفل السرير في رضا ثم يتسم..

\*\*\*\*\*

جلست رنا أمام مال الجالسة على الكرسي أمامها وهي تدفن رأسها في كفيها وتبكي..

- رنا.. في حياتك عدة مشكلات لا بد من حلها.. لقد أضعت أربعة أشهر في حبسك هذا ولن أظل أتلل إليك إلى الأبد لأطعمك.. تعلمين أن رشدي لا يريدني أن آتي إليك ولا أجد إلا بصع دقائق أختلسها معك في طريق عودتي بالبات من المدرسة.. خذي مفتاحك واعتبريني إن أخذته دون إذكرك ودون أن يلحظ رشدي ذلك.. حاولي الخروج ومواجهة العالم..

- أنت لا تشعرين بشيء.. لست مكاني.. بناتك معك وزوجك معك.. سمعتك بخير وهناك من يثق عليك.. بالله عليك لا تصيبي نفسك قاضياً على أفعالي..

- حسناً.. تريدن العيش كالديدان في الحفرة.. افعلني ما شئت.. يمكنني أن

أساعدك في حفر قبر ترقدين فيه حتى يحين الأجل إن أردت .. هذا آخر ما  
أستطيع تقديمه لك ..

وقامت منال ملقية المعاتيع على حجر ربا العاضبة الباكية واصطاحت طفلتها  
وغادرت ..

لم نستطع رنا إطالة النظر إلى ابة مال الصغرى أكثر من ثواب .. لم تعد تملك  
حتى القدرة على التساؤل عن ذلك التعبير على طيف الطفلتان، وكيف أن  
وجهها المعبر سراء الحقيقي أو الطيفي قد استحال وحنها خشبًا بلا أي تعبير  
يشبه إلى أقصى حد وجه دمية خشبية ..

\*\*\*\*\*

حملت إيباس الصحيفة التي تحوي بعض الشطائر من يد بهي المذعورة الواقعة  
على باب حجرة أسر وأمرتها أن تذهب الآن.

أسندت إيباس رأسها على باب الحجرة المعلق وأبصت . كانت تريد التأكد  
من صحة ما زعمت نهى أنها سمعته ..

بالمعل كان أسر يتحدث ويضحك .. يرد على كلمات لا تسمعها لكنها  
رجحت أن الأمر ليس خطيرًا .. ربما يلعب بأحد الدمي أو يتحيل صديقًا .. إن  
أشياء كهذه تحدث مع الأطفال الانطوائين مثله ..

طرقت الباب ثم دخلت .. كان أسر يائسًا على بطنه فوق السرير راقعًا الملاءة  
ناظرًا إلى ما تحتها وهو يضحك .. رفع رأسه وابتسم لها ثم اعتدل في جلسته  
متربعا ..

—أسر .. لم أرد أن أوقظك لتساؤل العشاء معنا .. ها هو عشاؤك ..

لم ترد إيناس أن توقظه لتناول العشاء معهم لأن لي لي لا تكف عن الصراخ في وجوده.. إن فصلهما هو الحل الأسهل..

تناول أسر شطيرة من الصحيفة وأخذ يأكلها شاردًا جلست إيناس بجانبه وأحاطته بذراعها.. لا تدري لم تبعث رائحة الرمال المبتلة من هذا الطفل معها اغتسل.. ليست رائحة سيئة، في الواقع تذكرها برائحة الأرض البدية بعد الأمطار..

- حبيبي.. مع من كنت تتكلم..؟

- مع صديقي..

وأشار إلى أسفل الفراش..

-.. اها.. ما اسمه إذن؟

- لا أعرف.. لم يخبرني..

- ولماذا لا يجلس معك فوق الفراش؟

- لا يحب ذلك..

- محم.. أريد أن أراه إذا.. لا بد أنه لطيف جدًا..

- لطيف لكن لن تحبه.. ولن تستطيعي رؤيته أبدًا..

- لم؟ سوف أحب كل أصدقائك.. أعدك..

- لن تستطيعي.. صديقي ميت!

انزعجت إيناس وعقدت حاجبيها.. لم تنزعج من لحظة "ميت" قدر انزعاجها من الطريقة الطفولية الهادئة التي نطقها بها أسر دون أن يغير من تعبير وجهه المبسم، وكأنه يحبرها أن صديقه مسافر مثلاً..

- ميت؟ ما هذا الكلام..؟؟ وكيف تراه أنت إذن؟
- أراه.. وأبي وأمي بريانه أيضًا..
- زين؟ ومن أخبرك بذلك؟
- رأيته يراه عندما كنا في منزل أمي..
- حسنا.. ل.. و... لا شيء.. هل تريد شيئاً؟
- لا.. آ.. خطط.. أريد أن أذهب إلى أمي..
- حسناً.. سوف أخبر والدك وأحاول أن أسافر بك إليها..
- إنها مريضة وضعيفة وساقها مجروحة من أثر الرصاصة..
- رصاصة..؟ من أين أصابتها؟
- أبي كان يريد إطلاقها على رمزي لكنها أصابتها..
- شعرت بإس بدوار.. من أين للطفل بهذا الكلام؟ هل يخلق كل هذا؟
- صديق ميت ورصاصة ورمري..
- كفّ عن هذا الكلام.. إن لم تكف سوف.. سوف.. أخبر والدك..
- وحرجت من الحجرة وأغلقت الباب ووقفت خلفه.. ما هذا الطفل العريب؟
- وما مدى صحة كلامه؟ ترى هل تعرف رنا رجلاً آخر وأراد زين قتله وبطريقة
- ما أصيبت رنا؟.. هل هذه هي المشاجرة التي أخذ على أثرها أسر منها؟ لم لم
- يحبرها زين بذلك؟ تعرف أنه لا شأن لها بمشكلاته التي لا يريد الحديث عنها،
- لكن.. هل يستطيع زين التهديد بمسدس حقيقي، بل وإطلاق النار منه أيضاً؟
- تربحت بوجه باهت وهي تتجه إلى حجرتها، وفتحت الباب ثم لمسكت
- بالمقبض لثوانٍ لم تستطع فيها رفع رأسها مستقيمة فوق كتفها..

كان زين حاليًا يفعل شيئًا ما على كومبيوتر محمول، فوضعه جانبًا وقام بحيطها  
إياها بذراعيه..

— حبيبتني.. ماذا حدث؟ اجلسي..

— لا شيء.. دوار.. أعتقد أنني مصابة ببرد أو.. أو شيء ما..

— لا تبدين مريضة، بل.. مذعورة؟ ماذا حدث؟ هل هو شيء خاص بأسر؟  
سمعت باب حجرته يغلق قبل وصولك إلى هنا.. هل كنت هناك؟

— نعم.. لا شيء.. ما زال غريب الأطوار..

لم تتحدث إلياس أكثر وقد قررت أن تفكر في الأمر وحدها أولاً قبل أن تقرر  
ما يقال وما لا يقال.. وحين أظلمت رين نور الحجره وغطت حوارها في النوم،  
مدت يدها إلى هاتفه المحمول في سلوك لم تعهده في نفسها من قبل.. بحثت  
في قائمة الأسماء حتى وجدت رقم رنا تحت اسم "آسر".. نقلته بسرعة إلى  
هاتفها ثم أعادت هاتف زين مكانه..

ظلت تتقلب في فراشها حتى شروق الشمس، ثم نامت بعد تلك الهلوسة  
الذهنية التي تصاحب الأرق والمحاولات العاشلة للنوم.. هلاوس عن طفل  
ميت ورصاصات ورناء..

## فرصة أخرى..

استيقظت رما في الصباح التالي وقد شعرت بشا ط غريب.. كان هاك اتصال عتلي بيها وبين أسر طيلة الليلة السابقة، وقد لاحظت وضوح صوت ابها أكثر فأكثر كل ليلة..

كاست تراه نائما على سرير صغير وبجانبه مكعبات جديدة... على الكومود بجواره بقايا شطيرة وكوب لين فارغ.. لقد كان بحير وظل يحبرها أنه يفتقد لها بشدة ويرجوها أن تنتظر عودته قريباً دون أن يموت.. سألها عن ساقها وشعرت بلمس كفه الصغير على الحرح بشع الشكل الذي الأم بتشوه واضح أصابها بعرج بسيط دائم..

ولولا عناية مال به لكان قد نسيب في تسممها أو قطع قدمها على أحسن تقدير..

جلست على المرائش وهي تسترجع ذكرى الليلة الماضية وابتمت.. عثت في ثيابها المكومة على منضدة الكومبيوتر المكسورة التي لم تعد قادرة على حمله وبحثت عن ثياب تصلح..

كاست طبقة من العبار قد نكوت على الكومة لكنها استطاعت أن تجد بطالاً أسفل الكومة وجاكت.. نعتت العبار من عليهما ثم فردتهما بالمكواة .



بحثت عن نفود في جيوب ملابسها وفي أركان حقيبتها.. إن البطانة المقطوعة للمحفية قد تحوي كزاً من العملات المعدنية المزلقة هناك..

أخرجت عشرات الأوراق الممزقة التي كانت تحوي قوائم بمشتريات الشهر والعديد من العملات المعدنية والماديل نصف المستعملة التي تطلعت بقلم كحل صغير انخلع عنه غطاؤه فكسا كل ما احتك به بخطوطه السوداء الذهبية..

جمعت ثلاثة عشر جنيهاً وخمسة وسبعين قرشاً دستهم في جيها، وقبل أن تقوم علقت عينها بإحدى الأوراق المكومة التي كانت تحوي قائمة مشتريات منها عبوة بودرة الكاكاو التي كان يعشقها أسر.. أمسكها ومرّت بأصبعها على اسم المنتج.. تذكرت رائحته وتذكرت الشارب الذي كان يسيبه المشروب فوق الشفا العليا لأسر.. شارب بني يتناسب مع شعره البني المنسدل على جبهته.. قبضت بكنها على الوريقة وتنفتت بعنق معالبة نوبة البكاء الآتية ثم دستها في جيها ونزلت..

وقفت دقائق داخل مدخل العمارة المظلم ودقات قلبها تسارع أكثر.. لقد نجت من روضة بشية وهي الآن تفكر في التراجع. هل نخرج وتوكل على الله وتواجه بشجاعة ما سيلاقبها أم تعود وتستسلم للموت ببطء في شقتها؟ تذكرت لمسة أسر لقدمها أسر.. تذكر أن هناك من تحيا لأجله ومن ينتظرها لاستعادته..

ارتدت نظارتها السوداء التي أخفت معظم وجهها الصغير وخطت إلى الشارع..

تخرج قليلاً لكنها سارت بأسرع خطواتها ولم تنظر حولها.. سارت حتى انعطفت في آخر الشارع ثم دخلت السترال الصغير هناك..

أخرجت هاتفها المحمول وبحثت عن رقم محمول مال.. أمدت العامل الرقم بصوت مرتجف ثم رفعت السماعة داخل الكابينة..

الهاتف يرن ونصف عقلها يتمنى ألا ترد.. لقد شعرت أنها أهابت مال بشكل ما في آخر لقاءاتهما لكنها لا تملك أحدًا في العالم إلا هي..

لم يتم الرد على المكالمات.. أغلقت السماعة وأسندت رأسها إلى جدار الكابينة . ماذا تفعل الآن؟

- يا مدام.. هل تريد المحادثة مرة أخرى؟

أناها صرخت العامل المفلول من خارج الكابينة وكأنه من عالم آخر . خرجت وهزت رأسها له نافية.. أمسكت بهاتفها المحمول مرة أخرى أمام الستراي وراجعت قائمة الأسماء في الهاتف مرة أخرى..

دقات قلبها تتسارع ثانية وهي ترى اسم رمزي.. هل تتصل به؟ بعد كل ما حدث له بسببها؟ لكنها لا تعلم ما حدث له، كل ما تعرفه هي تلك الحالة المعوية التي أناها بها في يوم الحادث ولم تره بعدها.

عادت إلى الستراي وطلبت تحويل رصيد بقيمة جنبيين.. لن تنتظر لحظة الشجاعة المناسبة في الشارع، إن رصيدًا في هاتفها سيجعل اقتناص لحظة كهذه أسهل..

اشترت شطيرتي فول وجلست تأكلهما أمام المحل وهي تعلم أن الثلاثة عشر جسيها تنافس، وأنه لا بد لها من إيجاد مساعدة مادية حتى تحدد عملاً..

وقعت النقيصات في حلقها جراء هذا الخاطر.. إنها وحيدة تمامًا في هذا العالم.. لن تعود المياه إلى مجاريها مع أي من كانت تعرفهم.. لقد انقطعت الخيوط التي كانت تربطها بالجميع في يوم واحد وعليها أن تتصرف وحدها الآن..

انتهى المسلسل الأجنبي الشهير الذي تتابع إيباس إعادة أجزائه الست في شغف في الساعة الواحدة مساءً.. شاهدت الحلقة بمفردها كالعادة، إذ يجد زين أن جميع المسلسلات "نسائية" بشكل ما.. إن فكرة مشاهدة الأحداث المتعاقبة لمسلسل ما هي من صميم الطابع الأنثوية.. نوع من السيمة المشروعة تستطيع المرأة من خلالها الاطلاع على خصوصيات الباس ومناقشتها علناً مع صديقاتها دون أن يتهمها أحد بسوء الأخلاق. بينما تعتبر الأفلام ذات خصائص رجولية أكثر.. مجموعة متلاحقة من الأحداث تلخص موقفاً شائعاً في أقل من ساعتين..

كان طيب التجميل الأسمر في المسلسل يشبه زين إلى حد ما وكانت مشاهدته في المسلسل أثناء العرض الأول له في عام ٢٠٠٨ يثير خيالها تجاه رين الذي كان مجرد مدير وسيم تحلم به جميع العاملات، ولم تكن إيباس تتصور وقتها أن يتزوجها هي بالذات من بين كل العاملات في شركته، خاصة كونه متزوجاً في الأصل..

اليوم كانت تشاهد الحلقة بصف راعية، تمسك هاتفها المحمول في يدها وأصبعها الإبهام على زر الاتصال تحت رقم رنا منذ الساعة العاشرة مساءً.. كلما أمسكت بضع كلمات ذات معنى لتلقبها على مسمع رنا، أفكنت منها أثناء محاولاتها لرسم خريطة حوار كامل..

كانت احتمالات أن تهيئها رنا بشكل ما قائمة في ذهنها.. كانت تمني حقاً أن تسيبها رنا وتشتتها بأي نعوت تطلق نيران شعورها بالذنب كونها اختطفّت زين منها.. ومن بعده أسر..

تلك النعوت ذاتها إن أطفأت نار شعورها بالذنب فستؤجج لهيب الكره بينهما، وستصير المواجهة بينهما حتمية.. سيصير على إيباس مواجهة رنا

بعبوبها التي جعلت رين يهرب منها، فقط كي تشعر أنها لم تحتطفه فعلاً على جانب آخر، كانت إبناس لا تحمل لرناس الكراهية أكثر مما تحمله لطفلها أسر . من الصعب أن نكره المرأة المنتصرة غريبتها. تعلم أنها أفصل منها وأحكم وأجمل. لن يعادل هذا كفتيهما أيذاً، لكنها كانت أيضاً تشفق على رنا. لو كانت تروجت مرة أخرى بعد رين، لكان شعور إبناس بالشفقة أو الحب قد تغير كثيراً.. ستكون وقتها رنا امرأة قوية نستطيع أن نكرهها إبناس دون مراجعة نفسها مرتين!

أحمرًا أغلقت إبناس التلفاز وقامت متسللة إلى حجرة نومها.. زين نائم وقد كور الملاءات والأغطية تحت قدميه كعادته.. أغلقت الباب ومشت إلى حجرة أسر..

كانت صوت الطفل آتياً من الداخل.. يتحدث وإن غمر صوته نبرة النوم التي تدغم الحروف ببعضها البعض.. كان يكلم أمه.. يرد عليها.. يصحك.. يسألها إن كانت فعلاً لا تملك إلا عشرة جنيهات..

تفتح إبناس الحجرة فتجد أسر نائماً على ظهره وشعره الطويل يفرش الوسادة من خلف رأسه.. يبدو كفتاة جميلة ملانكية الملامح.. تودّ لو تقص شعره بعض الشيء لكنها تشعر أنه ليس ملكها.. لا تستطيع أن تجري عليه أي تغيير..

ما كان يحيرها أكثر هو قدراته اللغوية التي تماثل طفلاً أكبر بثلاثة أعوام على الأقل.. طفل وحيد مطلقاً مثله، من أين له بطلاقة اللسان؟

لم تكن تعرف أن أمه لم تكف لحظة عن التحدث معه منذ أن كان مضغاً في رحمها.. تتحدث وتغني وتقرأ القرآن وتقص القصص.. كان أسر ولا يزال جرحاً منها حتى وإن غادر أحشاءها منذ سنوات.. كانت هالتها تحيطه وتحميه

وتقوي العلاقة بينهما حتى وإن ابتعدت المسافات..

أغلقت إيناس الباب بهدوء وجلست على الأريكة وضغطت زر الاتصال أخيراً..

\*\*\*\*\*

كل ما في الموضوع هو أن أنسجة مع رمزي سليمة ظاهرياً لكنها فعلياً احترقت تماماً، هذا ما جعل تلك العين التي ظهرت على الأشعة تظهر، وإن شك الأطباء في أعينهم ورجحوا بساطة - أو بإهمال - أنها عيب أشعة!

كلنا - أو معظمنا على الأقل - نمسك عيباً مشابهاً تراقب تصرفاتنا وترصد أي عمل تحرري أو مجرد تفكير متعمق فيما حولنا.. تلك العين تخبرنا على روية ما نريدها أن نراه، ومحاربة ما غير ذلك باستماتة شديدة..

لو جادلت أحد أولئك الأطباء أو رجوته إعادة إجراء الأشعة مرة أخرى لاتهمك بالجهل والتخلف.. هل تعرف أكثر منه؟ كيف تتجراً وتشك في مسلمات أملوها عليه في الكلية، وأملأها عليهم في الكلية من اختراع تلك المسلمات، وغلفها في غلاف من التشدد والتمسك بالرأي..

إن لم تصدقني يمكنك معارضة أي شخص تحده مهما بدا لك من التفتح والديموقراطية.. أو الأقرب، تخيل أن يجادلك أنت نفسك أحدهم في واحدة من تلك المسلمات المزروعة في عقلك والتي لم تتساءل قط عن زرعها..

هل سألت نفسك يوماً أثناء بحثك على الإنترنت عن معلومة ما، هل كل المعروض أمامك في صفحات نتائج البحث هي كل المعلومات المتوافرة حقاً على الإنترنت أم أن هناك من يصدر لك معلومات معينة ويحجب ما دونها؟

هل هناك من يريدك أن ترى الأمور من جانب واحد فقط في ذلك الوقت بالذات؟!

مد سنوات تم ترشيح رجل تحدث الجميع عن نزاهته - رغم زلاته البشرية العادية - لمصب هام جدًا في الدولة.. قبل ترشيحه بأيام لم تكن تجد من يشكك في نزاهته أو على الأقل من لا يعتبره رجلًا يصلح لذلك المنصب الهام.. ومجأة.. تم ترشيح الرجل، وانهارت على شبكة الإنترنت من كل صوب الوثائق والفيديوهات التي تؤكد أن الرجل مصاب أفاق عميل مصاب بالرهائيز ولا يصلح لحراسة عشة دجاج! هل أيضًا احتفى كل ما يشر إلى أي من حساسات الرجل، وصعدت الأصوات تخرس من سولت له نفسه الدفاع عنه أو مجرد مشاركة المعلومات المعاصرة لما انتشر عنه..

لم يسأل أحد أين كانت تلك المعلومات والوثائق، ولم ظهرت الآن بالذات.. لقد أدت العين عملها كاملاً ولن يشك أحد في شيء..

إن كان لم يزل لديك سيطرة على تفكيرك الخاص بعد، ستجد ما أحيرك به.. ستشعر بالحصار ولربما تصاب بحسب الاصطهاد أيضًا..

أحيانًا تبدو نظرية المؤامرة سخيفة، ولكن هل هناك تفسير آخر لما يحدث؟ هل نظرية المؤامرة فعلاً سخيفة أم أن هناك من وضع في عقولنا مطلق مخافتها بل من منا لا يتبنى نظرية مؤامرة بشكل ما؟ تبنى ثوار يدير نظرية المؤامرة على الثورة من قبل "فلوئ النظام السابق"، بينما يتبنى آخرون نظرية مؤامرة من دول أجنبية لتأجيج بران الثورات العربية، هذا إن لم تكن من المؤمنين بنظرية "الأيدي الخفية" التي تعمرك كل شيء دون اتهامات أو ميل لتيار ما..

كانت العين في مح رمري تعمل لكنها الآن تعمل كذاكرة تعيد عرض ما أبحرته من أعمال طوال حياة رمري القصيرة.. من اللحظة الأولى في حياته،

وكانت حياته تتم قولبتها في أشكال وطقوس لا معنى لها، وإنما الخروج عنها أو حتى مناقشتها كان تابو ممنوع الاقتراب منه..

كانت تلك القولية بمثابة الإعداد الأول للشخصية لتقبل أي شيء دون معارضة وهي الشخصية الغالبة الآن.. وإن بدأت تطفو على السطح شخصيات أخرى بראהة تعرض من أجل المعارضة، من أجل أن تشعر بأن لها الحق في الأمر والنهي والاختيار..

لقد بدأ البشر يستفيقون بعض الشيء في عصور مختلفة . بدأوا في الإحساس بأنهم محدودين، مقادين بشكل ما . بدأوا في البحث عن قيودهم.. قاموا بثورات ناجحة وتحرروا لبعض الوقت.. ثم أدرك المحركون خطورة مثل هؤلاء فبدأوا في بث الثورات الخاصة بهم في العقول فقط كي يشعر البشر أنهم قادرون على الاعتراض والتحرر..

لقد أحكموا الحلقة من حولنا، وأعطونا الخيار بين أمور كلها سواء.. كلها تصب في مصلحتهم . صرنا نتخط ولا ندري، انحنار ونسير في طريق رسموه لنا؟ أم لا نحتار ونظل تحت إمرتهم أيضاً؟

الحق أن عقولنا قد دُفنت تحت قرون من صدا الجهل والعبودية والادعاء ونحتاج بالمعمل إلى إعادة صقلها قبل اتحاد أي قرار ربما يؤدي بنا إلى زبارة أبدية..

يدفعونا كي نسرع ونبنى ما تم هدمه خلال قرون في أيام معدودة.. مبان هشة مفرية تتشيب بها من أجل مبيعات أفضل تليها قرون تحت الأنقاض نلفظ أنفاسنا تحت ما بيننا..

## مجرد مکالمه..

کانت إيتاسي تعلم أن الوقت مشاخر وربما نامت ربا، لكنها كانت قد استجمعت شعاعتها وخشيت أن تحذلها إذا انتظرت إلى الصباح..  
رن الهاتف عدة مرات ثم أتاه صوت ربا ناعسا وإن كانت تكسره سعادة  
ما..

- ألو.. مدام رنا؟

- نعم.. من؟

- آسفة على الاتصال في وقت كهذا..

- لا عليك.. لكن من أنت؟

- أنا.. إيتاس... زكريا.. زو.....

ثم سمعت صوت ربا عاليا متفصا حتى إتھا أبعدت السماعة عن أذنها  
قليلا..

- آسر.. هل هو معك؟ تكلمي!

نعم.. نعم.. اهدئي.. هو معي وأنا أصل كي أحبرك بذلك..



- وأين كنت طيلة الفترة الماضية؟ هل كان معك كل تلك الفترة؟

- نعم.. لكنني لم أكن أعرف رقمك.. صدقيني أيا كنت - وما رلت - ضد أن يأخذه زين منك.. صدقيني..

- هل هو بخير؟ هل يمكنني رؤيته؟

- لا أعرف.. أعطيني فقط مهلة كي أدبر أمري.. أنا لا أخرج مع أسر وحدنا أبدا.. لا بد من لي والمربية.. سوف أفكر في طريقة، واعدك أنني سأحضره لك في أقرب وقت..

ترددت رنا قليلاً في الرد، كانت تفكر في اتهام تهتم به إياس ولو بخطأ ما في كلامها تلومها عليه لكنها لم تجد..

- شكراً.. هل أستطيع التحدث إليه؟

- أخشى أن يستيقظ أبوه ويراه يتحدثك.. لكن.. انتظري..

وتقوم إياس إلى حجرة أسر وتفتح الباب فتجد أسر جالسا على السرير ولا أثر للنوم في عينيه..

-.. ماما؟!!!

- نعم..

وتعطيه إياس الهاتف فيلتقاه في لهمة ويتحدث إلى رنا.. يضحك ويطلب منها ألا تبكي.. يستمع إليها ثم يضحك مرة ثانية ويحبرها أنه سيعود إليها مرة أخرى قريباً..

تأخذ إياس الهاتف من أسر برفق وترتب على شعره، ثم تخرج وتغلق باب حجرتها خلفها..

- مدام رنا.. أريد أن أتحدث معك.. وحدنا.. هل تستطيعين القدوم إلى القاهرة..

- يمكنك أن تأتي أنت.. في أي وقت.. لكن عمّ تريدان التحدث؟  
- عن أشياء لا يصلح الحديث عنها في الهاتف.. يمكنك أن تأتي إليك عدداً.

وتواعدت المرأتان أن تتقابلا في مكان عام، لكن رنا رفضت أن تتقابلا في كافيتريا ما؛ فهي لم تسمح أن تدفع لها إيباس ثمن ما ستشربه وإن لم تصارحها بذلك..

بعد انتهاء المكالمة دخلت إيباس غرفة آسر مرة أخرى فوجدته يتدثر بالغطاء استعداداً لأن ينام..

جلست بحجاب رقبته ثم سأله .

- آسر.. هل تحلم بأمك كل يوم؟

- نعم . لكنني أراها فعلاً.. لا أتخيلها..

- وهل أخبرتك أنها لا تملك مالاً؟

- نعم.. كنت أريدها أن تأتي كي تأخذني لكنها أخبرني أنها لا تملك إلا عشرة جنيهات..

عُنت له أحلاماً سعيدة ثم قامت إلى شرفة غرفتها تذرعها جيئة وذهاباً.. شعور عظيم بالآلم بعد أن سمعت صوتها وعرفت ما آل إليه حالها.. كانت تذكرها في حفلات الشركة التي كان زوجها يقيمها، طفولية الملامح، ترتدي حجاباً أبيضاً مثل الذي ترتديه ممثلة شهيرة محجة مماثلها حجماً وشكلاً.. تضع عطرًا هادئاً جداً وفاخراً جداً.. نظرة انكسار واصحة في عينيها حتى قبل أن تترك زوجها، لكن انطاعاً عاماً بأنها "أبنة ناس" تخشى إيباس الآن أن ترى تبدلها عليها..

تعمم ان تتيب الضمير سيقفلها غدا وستشعر حتما بانها اخذت الطعام من فم  
رنا وتركتها تصور حروعا.. لكنها تريد ان تعرف عن روحها وعن المسدس  
وعن الطفل الميت.. لا بد ان تعرف..

~~~~~

استيقظت رنا في الصباح وهي تشعر كأنها كانت نائمة على سرير من  
الاشواك اليوم سقاهل عباس.. اليوم .

جمدت الأرضية الباردة أطراف أصابعها وهي تمد قدميها بحثا عن حفيها.  
وقعت حافية أمام كومة الملابس على مصدة الكمبيوتر المكسورة رفعت  
الجاكيت الغليظ الوحيد من فوقهم وطرأت إليه بحواء لدقيقة ثم تركته يفلت  
من يدها إلى الأرض..

جرت قدميها الخافيتين إلى الحمام.. رمقت المرأة بصف عين ثم توقفت..  
من هذه المرأة؟ مكوشة الشعر بتدلى من أسفل جففيها كيمان عملاقان أرقان  
بصباحان لإحماء طلبة مدرسة حكومية فيهما. تعبيدتان تشبهان قدمي العراب  
على جناحي كل عين، تعبيدتان على ركي فمها

تنصس وجهها بأصابعها السحيلة البارزة المفاصل، يد عجور في السنين..

تمرر كففيها في شعرها وتحمي باكية على الحوض..

لماذا تمادت في علاقتها برمزي من الأساس؟ هي من جلبت كل هذا الوبال  
على رأسها.. تفكر رنا في السنوات التي نزلت من عمرها بلا رجعة. تراها  
هي مرآتها تحمر في وجهها ما تحمره الأنهار في مجاريها عبر السنين.. أحاديث  
لن تمحي، ولن يحطئ أحد وبعثتها "أسنة" مرة أخرى.. لن نجد من يسميها

"ابته" ما لم يكن قد تجاوز السبعين .

كان أسر يكبر .. كان مقياساً لعمرها معلقاً أمام عينيها أينما ذهبت .. الأولاد يعطون فكرة صادقة تماماً عن أعمارنا مهما حاولنا تجاهل تلك الحقيقة . أسر سيذهب إلى الحضانة . بعدها المدرسة . ولن تلبث الجامعة إلا أن تأتي مهرولة خلف الجميع ..

رمزي اعتبرها جميلة رغم فارق السن .. اعتبرها جدابة .. تحدي قيود أمه من أجلها .. كان رمزي هو المؤشر الأخير لكونها ما زالت شابة .. وما زالت صالحة للاستخدام . إن هي إلا أعوام أخرى وتفقّد تاريخ صلاحيتها .. ستصبح خطراً على صحة من يتعاطاها!

إنها تكبر أسرع مما يسمع به الوقت كي تتأقلم مع وضعها الجديد .. تفلت فرصها كامرأة يومياً ..

كزوجة .. لقد كانت روضة ولم تعد كذلك .. هرب زوجها أو هربت هي منه .. كلاهما اتخذ طريقاً موازياً للآخر وتمسك به .. لن يلتقيا ثانية أبداً .. كأم إن أسر لم يعد معها حتى .. وإن ظل معها إنه يكبر وتأخذ الحياة من نصيبها فيه كل يوم .. تقل حاجته إليها كلما كبر .. وقريباً ستصبح عبئاً عليه ..

أما الرجال فيعلمون ما هم عليه .. يستطيعون إيجاد ما يفعلونه في الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين .. تمتد فترة صلاحيتهم أطول كثيراً، إلا أنهم دوماً يموتون مبكراً غير راضين عن تلك الحياة القصيرة التي لم تسع لكل ما أملوه فيها .. كأن لم يكفهم أنهم عاشوا فعلاً حياة ثلاث نساء على الأقل من العمل والمتعة وعدم الاكتراث للشيخوخة .. عدم الاكتراث لتلك المرأة اللعينة التي ترى فيها النساء التجاعيد تزدحم في وجوههن كل ثانية، كأنها فيلم تم تسريع الزمن فيه ..

لم يكن هناك من مفر.. لقد احتاجت رمزي، ومارالت الحاجة تلح عليها  
كجلد أجرب يلح كي ترقه حكا..

يحطراتها العرجاء، تسير حارحة من الحمام، بعل حقيقي تصرب ملابسها  
أرضاً.. كل تلك الأسماك..

- ماذا أرتدي هه؟ ماذا أرتدي؟ ١١ أسماك.. أسماك.. أسماك!! ال! ماذا  
تريدين يا إيس عليك اللعبة. ١٢ تريدين مهادتي بملايسك وسيارتك  
وزوجي وطلمي؟ ١٣ تريدين مهادتي بشركتك لمشدودة وقوامك ال. . . ه.. ه..  
ه.. ماذا أرتدي؟ ١٤

تجلس رما بين ملابسها وتبكي مرة أخرى.. جاثية تزحف إلى حافة السرير  
وتسحب هاتفها المحمول من أسفل الوسادة.. تمسح عينيها والمحيط المندي  
من أمها في حرقه هناك ربما كانت قميصاً يوماً ما..

- أريد ابني.. أسر.. أسر... هه.. آه! . رمزي . رمزي....

ومن بين دموعها تطلب الرقم..

\*\*\*\*\*

تحاول إيس جاهدة ألا ترتدي شيئاً عجزاً.. تبحث بين ملابسها.. ربما بطالاً  
من الجينز وسترة عادية. تحاول أن ترى كيف ستراها رنا. لا تريد أن تخرجها  
حقاً. تحاول ألا تثير غيبتها، وقبل كل شيء، تحاول ألا تكون المرأة الشريرة  
أمام نفسها مرة أخرى..

كوم الملابس خلفها على السرير والذي فضلت في الانتفا.. به يشعرها بتحس،

يشعرها أنها تبذل جهدًا حاصًا كي لا تخرج امرأة أخرى..

من حلمية عقلها تدندن اللحن الخاص بمسلسلها الشهير..

أربع حمل هي كل الأغنية، لكنها تلخص بشكل ما الشاقص الذي تشعر به.  
تلخص بشكل أكبر علاقة الرجل بالمرأة..

Make me.. beautiful .

Make me..

Perfect soul..

Perfect mind..

Perfect face ...

A perfect.. LIE!

إنها كذبة فعلاً.. تريد ألا تصبح مثيرة لغيرة رنا، لكنها لا تريد أيضًا التناهي  
بجمالها.. يتمتعها أن تظن أنها أفضل من رنا.. إنها بعيدة جدًا عن أن تكون  
مكانها..

تريد وأد الشيطانة الأنثوية فيها، لكنها ما زالت لا تحكم أصابعها على عبقها..  
ترك لها - عمدًا - متسعًا للتنفس..

تعلم أنها ستصبح أجمل إذا ارتدت تلك الملابس البسيطة.. تعلم أنها توجه  
بهذا رسالة مباشرة لـ رنا "كلتينا مرتدي ثيابًا بسيطة، لكنني مارلت أجمل مما  
أملك في بيتي.. في صبري..".

في ذلك المسلسل، جراحان للتجميل يقومان بمساعدة النساء على تحطيم  
محن تجميلية، بينما يحاولان أن يعطيا التشوهات في حياتيهما حارج عمليهما  
فيفشلان.. لكن ايناس ترى ما هو أعمق خلف تلك الأغنية وخلف ذلك  
المسلسل..

علاقة الرجل بالمرأة.. حقًا كل الرجال أطباء تجميل، والمرأة هي من تعطيهم أدواتهم وموهبتهم أيضًا أحيانًا كثيرة .

الحب يجعل المرأة أحمل.. تلقى متاعبها على كفتي الرجل فيسمع تحايعها بمبضعة السحري ذلك المصنع لحاد البارع الذي أعطته إياه..

أحيانًا تعطي المرأة الرجل ساطورًا صديًا وتصيبه بالثوتر ثم تطيب منه أن يجعلها أحمل! يعمل في وجهها فتأثر الأحاديث والشفوق.. تشبع لمرأة أو تصبح أكثر شبهاً بالرجال..

لكن.. في كتنا الحديث هو جمال كذب وكذبة بارعة.. لن نحافظ المرأة على ذلك الجمال ما لم تكن هي من تمسحه ومن تشعر به داخليًا. لن يجعلها أحد حميمة ما لم تكن لديها القدرة على أن تصنع كذبت..

ترتدي إيهاس آخر ما التقطه يداها ثم تعقص شعرها في شلال أسود حفيف ظهرها. تعلم تأثير شعرها المترجع مع البلوفر العالي الرقة. تعلم أن هذا يحدد وجهها لأملس لحالي من التحايع ويعكس رثافتها وطول قامتها . لكن من يتهمها بالتكلف؟!!

ركبت سيارتها حتى محطة الأوتوبيس وأخذت كيس الهدايا الصغير من المقعد الجانبي ثم تركتها في ساحة السيارات واستقلت الأوتوبيس المكيف المنجى إلى الإسكندرية..



ضغطت زر الاتصال في الهاتف وطفقت تنتظر. إن هاتف زمري غير معنق.. غير مشغول.. لكنه لا يرن.. لا تسمع أي شيء. لكنها لا تسمع

صمتًا مطبقًا.. تسمع همهمات بعيدة جدًا وصورضاء تختلط بأصوات  
أطفال.. بكاء أم ضحك.. لا تستطيع التحديد.. كررت المحاولة عدة مرات  
لكن في كل مرة هذا ما كانت تسمعه .

وضعت الهاتف في جيب سروالها وارتدت ما يصح من ملابسها متحاشية  
النظر في أي مرآة حتى لا تخذلها شجاعته . فقط على الباب مدت يدها في  
حبيها والتقطت وريقة قائمة المشتريات.. تمرر أصبعها على الكلمة السحرية..  
"سكويك".. شراب الشيكولاتة المفصل لدى أسر..

تكاد تسمع صوته للتراقص حين كان يرى إعلان ذلك المنتج في التلفاز فيعي  
"سكويك.. سكويك!!" كانه عصمور صغير..

تجول بعينها في المنزل الخالي.. تكاد تنطق جدرانها بعضها فوق بعض بدون  
آسر الذي يملأ فراغه..

تخرج مسرعة وتعلق الباب خلفها.. تترك السترة مفتوحة حتى لا تبرز  
الانبعاثات في حصر سروالها الناتجة عن إحكام الحزام حول خصرها مع  
اتساع السروال ذاته...

تشعر بأنها منكشة في ملابسها وروحها منكشة فيها.. تشعر أنها أليس  
المتقزمة في بلاد العجائب في طريقها لمقابلة ملكة القلوب.. أو ملكة تحطيم  
القلوب..



## حيوات أخرى..

كان رمزي يحيا حياة مختلفة بشكل ما.. يعلم انه هو هو.. يعلم أن عقله مصاب، لكنه واع لتلك الحياة بشكل أو بآخر.. واع لكونه ملقى أرضاً في مكان مظلم بارد.. على مسافة مه أصواء متراقصة خافتة كأنها يردن أو شعوع..

يشعر بألم في كل عظم جابه الأيمن؛ إذ يرقد بعد سقوطه من مسافة تقارب المتر.. لم يسقط بالتحديد لكنه انزلق.. تغطي جسده مادة محاطية ما محبوسة بدماء..

غير قادر على فتح عيه إلا أنه يرى.. يشعر بعظامه كأنها عضاريه وليست عظاماً..

يتلقى جلده الرقيق ديدبات من الأرضية تحه.. أرضية لامعة ترددان عمرهات سوداء وبيصاء كأنها رقعة شطرنج عملاقة.. يظهر في مجال رؤيته طرف ثوب رمادي طويل لا تبدو من تحته الأقدام التي تصدر عن وقعها تلك الديدبات.. أقدام عملاقة (( أم أنه هو الصغير؟ )).. تنف حول جسده أصابع باردة ناعمة.. يشعر بشيء حشن يلتف حول رقبته ثم يجد طرف هذا الشيء الخشن (( حيل؟ )) في كف الصغيرة المدمة.. تدونه ككف وليد.. بل هو فعلاً وليد.. يتلع أول أنفاسه فيشعر بها كامواس في رثيه فيصرح.. يصرح

ويضحك من حوله وتردد صحكائهم في المكان العسيع..

يتسع المكان من حوله ويسقط مرة أخرى يرتطم بعشب ندي ويحترق أجفانه المغلقة نور الشمس..

يفتح عيبيه.. يعلم أنه هو رمزي.. لكنه في مكان لم يره من قبل.. ينظر إلى يديه وقدماه.. جسد طفل لا يتجاوز أربع سنوات.

يفكر.. إنه رمزي حقاً لكنه لا يذكر شيئاً عن حياته الخاصة.. يلتفت حوله وشعور غريب بالآلفة يغلفه..

سازل صغيرة على الجانين وأسطحها على هيئة المثلث الأحمر الشهير المعطى بالقرميد، يحيط كل منزل حديقة صغيرة. يعلم أن هذا هو النموذج الوحيد للمساكن المتحصرة في مصر. مساكن كالتني يسكنها العربون في الأقاليم. لا بأس بكتب صحم دي فراء لا يعلم من أين دخل للحياة المصرية، لكنهم يفعلون ذلك في الغرب..

يعلم رمزي أن بيته واحد من أولئك. يمشي ويعبث في جيوبه.. شيكولاتة مستوردة فاحرة يكتلي علافها الحلقي بكاهات شديدة الصغر.. يرى علامة حمراء لا يعلم معناها.. علامة تعني احتواء المنتج على دهن الخنزير وهي علامة موجهة للبياتين في الغرب وبالطبع لا تعني لنا شيئاً.. الجميع أصبح لا يعبأ بجذوي كل هذا.. الخمر حين تعدو مشروبات روحية والزنا حين يصبح "مصاحبة" ولحم الخنزير حين يسمى "بيكون". من أهم أساسيات الحياة إذا كنت تريد أن تصبح متحضرًا. كن حرًا ولا تكن عبدًا لدين أو لأخلاق.. يتناول الشيكولاتة وتسامي إلى مسامحه أصوات شجار تبعث من بيت مجاور لمحشاه..

- لا بد لك أن تعلم أن حياتي خارج المنزل لا تحصل في شيء.. رائف

صديقي ونحن نعمل معاً.. تناول العداء معاً.. أشكركم ما لا تفهمه أنت..  
أحياناً تحتاج المرأة لصديق.. لقد تعاطف الرجل مع مشاكلتي التي لا تعبأ أنت  
بها وأراد إعطائي الحماية والأمان مجرد أن يحتضني، لا يعني ذلك أكثر من  
صداقة وشعور ببل لا بد أن تُخرج من عقلك تلك الخرافات عن الحياة  
مجرد مشادة بسيطة وكميات تنفوس بها معظم السيرة هذه الأيام.. لقد حصص  
على حريتهن كامنة وصار لكل منهن أصدقاء يستمعون لهن ويساعدون في  
حل مشاكلهن صرن يملك حريتهن في ارتداء - أو عدم ارتداء - ما يُردن  
مع الاحتفاظ بحقوقهن كاملاً في انتقاد من ترعب في تعطية جسدها إياها بهذا  
الشكل تفرط في حريتهن، وتخرج شعورهن بطريقتهم غير المتحصرة في مخالفة  
ملايسهن..

يدفع رمزي أحد الأبواب الخفية لمزل بعيه.. يعلم أن هذا منزله..  
مطبخ أمريكي معنوح على عرفة متوسطة الحجم بها أريكة وثيرة بيضاء وتلماز  
مسطح معلق على الحائط..  
على مضدة المطبخ طبق معطى به بطاطس مقوية وشريحة دجاج وحيز.. يبدأ  
رمزي في الشعور بذاكرته عن حياته الجديدة وقد بدأت تتعش.. إنه طعام  
أعدته له والدته وهي في عمها الآن..

إن أمه من جيل "الآباء المفردين" single parents وهم ينقسمون إلى  
قسمين. مطلقين ومطلقات تزوجوا لأسباب غير محددة، وانصلوا لأسباب  
أقل تحديداً. اعتبروا الزواج خيرة جسية يوافق عنيها المجتمع المتحجر  
العقل، وصار الطلاق حتمياً حين اكتظ الرواح بالمشكلات، وصار أسهل  
حل لها هو الطلاق.. والدته في هذا العالم من هذا النوع. أما القسم الثاني  
فهم رجال ونساء قرروا حوص التحربة الجنسية كامة والحياة معاً لفترة حتى

يسام بعضهم بعضاً دون زواج، وهم أباس أكثر تحدياً للمجتمع العقيم الذي يصرّ على مؤسسات فاشلة مثل الرواح، وقد نشج حيل من الأطفال يعيشون مع أمهاتهم، وأكثرهم يعيشون في ملاحى يسا يبحث آياؤهم عن تجارب جسسية أكثر إثارة..

يجلس رمري ويعبث في طعامه ثم يترك كل هذا ويخرج قطعة شيكولاتة أخرى يلتهمها وهو يرمق التقويم المعلق على الحائط بجوار الهاتف .. ٢٠٢٥ .. لا يوجد ما يدل على أنه في مصر إلا تلك اللغة العربية الكسبحة المتوكئة على إجليزية نخرة.. يستخدمونها الآن بدلاً عن العربية الصحيحة الثقيلة التي تقيد حرية التعبير والاشتقاق.. بدأت بعض القنوات منذ عشر سنوات في اعتماد اللهجة المصرية العامية في برامجها مما فيها نشرة الأخبار، تلكها صحف مكتوبة باللهجة العامية التي بدأت شيئاً فشيئاً في السيادة بمروجة بلغات عربية أخرى..

اقترح أحد الكتاب "ترجمة" القرآن الكريم إلى اللهجة العامية حتى يصبح سهل الفهم على الناس لكن أحداً لم يهتم باقتراحه، لقد صارت الأديان عراقيل في سبل التقدم، ولم يعد أحد يعا يترجمة الكتب السماوية إلى أي لغة فضلاً عن تسهيلها.. لقد زال الكتب عن الفوس، ولم تعد للأديان التي تواسي المكبوتين وتعدّهم الجمة أية أهمية..

يقول المخرج المصري الشهير خليمة المخرج المصري العالمي الراحل: "إن التدين يمو ويزدهر في البلدان التي تعاني الكتب فقط، أما وقد قضا بشورة لتحرير العقول قبل البلاد، فيجب عبا إعادة النظر في توريط الدين في كل نواحي حياتنا، الدين لله، أما الحياة فليجعلها تسير بعيداً عن الأديان.. تسير بالعقل.."

يظل رمري يشاهد كارتون الأطفال مذ ذهاب والدته إلى العمل وحتى يومه. رمري لا يجيد الكلام إلا كما يتكلمون في تلك المسلسلات. لا يجيد التواصل مع أحد كما لا يجدي أحد التواصل مع غيره. كل في حياة خاصة به..

طيف عن حياة بعيدة مر به. عن أم يديّة تجلسه على فخدها وتطعمه.. عن أم يجدها في المنزل حين يحتاج إليها.. عن أم تحشره بالملايس في الصيف والشتاء وتعد المسابقات الصوفية التي يرتديها قبل حروجه.. عن أطفال صغار يلعبون معاً ألعاباً لعوية بسيطة أو حتى يستكشفون الطبيعة من حولهم ويستخدمون خيالهم في ابتكار ألعاب خاصة بهم.. عن عائلة تجتمع وقت الوجبات وأب يخشونه ويحبونه في آن واحد..

لم يكن طيفاً عن حياة مثالية، لكنها حياة لها مذاق خاص لم تحتلط بشوائب غريبة من حولها، كقالب ريد غير معطى في ثلاجة، تخلط برائحته الصافية الأصلية رائحة المأكولات المجاورة له فيتحول إلى قالب دهني سيئ الرائحة والطعم..

يقسم ما يشاهده في التلفاز إلى عدة أقسام: منها أفلام التحريك التي تعتمد على وحود وحش أو من يرمر للشر، ويحاربه البشر الذين يمررون لمحير.. وتتعدد الحكمة فيظل الطفل البشر جميعهم أحيار وأن الشر لا بد أن يكون فجاً مشوهاً غير أرضي.. يشبّ على أن يطمش لكل جميل الصورة ويحتفي به الحذر شيئاً فشيئاً..

هاك أفلام عن فضائيين يحاربون قصائير! حرب لا ناقة للطفل فيها ولا حمل، لكنها تعمل في عقله عمل المحذر فيصاب بلا مبالاة دائمة..

لكن أخطر تلك المواد هي المسلسلات التي يطلقون عليها "ست كوم" ويمثل

فيها أطفال ديري المدللون.. مسلسل هانا مونتانا على سبيل المثال هو مسلسل اجتاع الأطفال والمراهقين في أوائل الألفينيات. فتاة متواضعة مقبولة التصرفات تعلق بها المراهقين وصارت رمزاً لهم.. من خلال برائها بدأت تفرع فيهم ثقافة الموضة والملابس الساندة الكاشفة والحياة الأمريكية الراقية بكل ما فيها من مميزات وعيوب.. ما غرس في المراهقين آنذاك من خلال وسائل الترفيه والتلهار هو ما يعيش ومرى الصغير نتيجته الآن .

لم تكن هانا مونتانا وزميلاتها هو أول من أثر على المراهقين، فقد كانت خطوة بدأت مع أفلام ديري عن قصص الأميرات الشهيرة.. قصص للأطفال تم قولبة أفكار أجيال كاملة عن المرأة من خلالها.. الأميرة هي فتاة بيساء رشيقة تعدّ المثل الأعلى للفتيات.. ثم بدأت تلك الشركة الأم في إدخال عناصر غير أوروبية أو أمريكية مثل شخصية الأميرة العربية ياسمين، وما تم تشويبه من خلالها من قيم عربية وتقليص لدور العرب؛ حيث اقتصرت من مفهومهم للحياة العربية على الأسواق والجواري والسحر، هذا غير الإشارة الخيثة لكون البطل علاء الدين لصاً!

وبالتوازي مع ذلك الفكر ظهرت الدمية باربي الشقراء الرشيقة التي أصابت فئة كبيرة من مراهقات العالم بالبوليميا بسبب محاولاتهم لعقدنهم الوزن دون إشراف أخصائيين حتى يصبحوا مثل الدمية باربي، بالإضافة إلى شعور من هم ليسوا شقراوات أو نحيفات بالفقر والدونية إلى يومنا هذا.. مجرد دمية بريشة أصابت الأطفال بعصرية لم يتوقعها أحد..

إلا أن الدمي صارت من أهم الطرق لخلق إنسان استهلاكي وتربية ذلك فيه من الصعر، فمع سبل الألعاب المتنوع والتدفق، أطل علينا جيل من الأطفال المتطلبين العاشين المحين للامتلاك.. هؤلاء الأطفال أنفسهم قد يتحولون في المستقبل إلى مدمي شراء ناقلين على أعمالهم التي لا توفر لهم القدرة على

شراء واستهلاك المزيد..

لقد عرف الطفل رمزي الكثير من خلال تلك القرات، و لم يحد من الكبار  
من يناقشه في تلك المعرفة أو من يتأكد منهم من صحة هذه المعلومات، وحين  
يسع العاشرة سوف يتأكد من تلك المعلومات بنفسه..

## إمرأتان..

وصلت رنا إلى موقف الأوتوبيسات قبل الميعاد المحدد بنصف ساعة.. لم تكن تريد أن تصل بعد وصول إيناس حتى لا تُنِج الفرصة للأخيرة كي تأملها وهي تسير عرجاء مهملة الملابس بحوها.. احتبأت رنا خلف سيارة أجرة وطلعت تراقب الأوتوبيسات الكبيرة العاحرة القادمة من القاهرة..

في الثانية عصرًا وصل الأوتوبيس واصطف بجانب رملائه، وبدأ الركاب في النزول. ظلت رنا تراقب الركاب الخارجين منه وترداد دقات قلبها.. تنحّ عليها بأن تفر.. ضمت قفصتها وانغrust أظافرها في راحتها.. ظلت تمضغ شفيتها المشقتين ثم نظرت إلى انعكاس وجهها في زجاج نافذة السيارة.. لم تعرف على نفسها في البداية، وضت أن هاك من ترمفها من الجهة الأخرى.. أدركت أن حجابها غير محكم وقد أفلتت منه دبايس الشيت على الجانب فبدت كقرني استشعار صغيرين..

أخذت تعذل وضعه على عجل وعياها تنارجحان بين الأوتوبيس والزجاج العاكس. توقفت عيناها على إيناس وهي آتية من الجهة البعيدة.. تكاد ترى عينيها تجولان في المكان خلف نظارتها الشمسية.. يتأرجع شعرها خلفها بينما يتمايل جسدها بمحة ويسرة لا يبدو عليه أثر حمل أو إرضاع.. تحسست رنا بطها الصغير المتهدل لا شعوريًا ثم أعادت عينيها في سرعة إلى الزجاج



العاكس لنجد بدلاً منه وجه رجل منسجم سواد الشعر أسود.. حزمت وصرخت..  
صرخة مكتومة ابتعدت بعدها لاهثة عن الرجل الصائح في سحرية.. لا بد  
أنه كان يرمقها من الجهة الأخرى طيلة الوقت وهي تعدل وضع حجابها..  
ابتعدت وهي ما زالت تنظر خلفها ولا تعلم من أين جاءها الظن أن الرجل  
سوف يتبعها ليستمعها ما لا تطيق من السحرية.. أخذت السير والتفت لنجد  
نفسها وجهًا لوجه مع إياس.. وجه ربا المقتنع أمام عبق إياس تحديقًا..  
ترفع رنا عجبها وتسر مكانها.. تنعد إيناس عنها خطوتين لتحلف مدهشة  
ونهم أن تتابع سيرها إلا أنها تقف فجأة وتحلع بطارتها في بضع.. يرتعش  
جانبا فمها في محاولة للاتسام..

لم تعرف إياس ربا للوهبة الأولى.. وحين أدركت أن تلك الطفلة المحعدة  
الوجه هي ربا لم تصدق.. لم تدبر ما تقول.. وذت لو لم تكن قد صرخت لها  
موعداً من الأساس..

أما ربا فقد حانت فمها بيدها وتصلبت مكانها.. عيناها الواسعتان تنزلا  
ببطء عن وجه إياس وتلمحان كل شر في حسدها وصولاً إلى الخذاء العالي  
الرقبة الباهظ الثمن في قدميها..

اعتذلت ربا في وقفها وحاولت أن تثبت عجبها على وجه إيناس ففشلت..  
- ال.. كان الرجل هناك بصابقي أعني.. السائق ف.. فمشيت بسرعة  
ولم... كنت أراك قادمة.. أهلاً..!

ومدت يدها الصغيرة المرتجعة كورقة عالققة في إطار مروحة نحو إياس..  
مدت إياس يدها بسرعة وصافحتها ثم صحت صيحة عصبية وأحدثت  
تعبث في الدبلة الماسية في يدها اليسرى..

- أهلاً يا رنا.. آسفة، لم أعرفك فقد.. فقد اصطدمت بي فلم أخطك.. هه..

شكلك لم يتغير . كثيرًا

ثم عصت إيناس حدها من الداخل ندمًا على ما قالت . كلامها يعني فقط أن  
ربما تغيرت بالمعنى كثيرًا.. لا بد أن تلاحظ كلماتها أكثر من ذلك .

• لا عليك . كيف حال أمرك؟ لم يأت معك؟

– حشيت أن يعمم والده كما أخبرتك.. لكنني أعدك أن أحصره لك حينما  
نلحقه بالخضانة.. سوف...

– تلحقونه؟ ماذا تعين تلحقونه؟ وأي حضانة؟ ولأي سبب؟! لا.. لن يذهب  
ابني لأي مكان لم أره بعيني . إنه صغير على ذلك، وأن قد علمه في المنزل  
ما يعلمونه في الحضانات . لن يذهب ابني إلى أي مكان

مدت إيناس يدها إلى كف رنا لنهدئتها إلا أن الأخيرة أفلتت منها وصعدت  
حاجبها وأحدث ترمق الأرض في عصبية..

– رنا. اهدئي.. يمكنك أن تأتي لتري المدرسة بنفسك.. إن ابنتي لي لي تتحقق  
بها في فصول التمهيدى....

– ابتك.. أنت حرة مع ابتك.. أما ابني فلا..

– حسًا. سوف أحاول ألا يذهب هذا العام. لكن لا بد أن يذهب إلى  
مدرسة العام القادم . هل تستطيع أن تدبر أمر مدرسة ترضيها في القاهرة؟

– لن يظل . ابني.. معك.. إلى . العام.. القادم.. هيئت؟

ضغطت رنا على كل كلمة وكأنها تحفرها في عقل إيناس حفرًا. كانت إيناس  
تري في عيني رنا نظرة قوية مؤكدة. نظرة ذات كاريزما خاصة تشبه كاريزما  
المجابين . تراحت في دعر وهي تمد كفيها المفتوحتين إلى أعلى أمامها في

إشارة لتهدئتها..

- حسناً.. حسناً.. أبا.. أبا لا أريده.. أعني.. أريده أن يكون معك من الآن..  
يعلم الله ذلك، وإلا ما كنت قد جئت إليك.. اسمعي.. أعدك أن أساعدك في  
استعادته، لكنني أريد منك أن تحبيني عن بعض الأسئلة.. فقط كي أستطيع  
التعامل معه.. مؤقتاً.. مؤقتاً..

- نعم؟!

- لا أريد أن أكون فصولية، لكن.. يوم أن أتاني زين بأسر.. هل كان معك؟  
أعني.. هل تشاجر معك يومها؟  
- لا أظني أعطيته ابني كهدية! بالطبع تشاجر وأخذ ابني..  
- هل أطلق عليك الرصاص؟! أرحوكي.. لا تسرعني وتهريني.. أبا فقط  
أريد أن أعرف، هل زين قادر بالفعل على ذلك؟  
- و.. ومن أخبرك؟

- آسر..

- آسر؟! هل بينكما الآن ما يسمح بأن يكشف لك عن أسرارنا؟!  
مسحت إبناس على شعرها ثم أمسكت رأسها كمن أصابها دوار وتراجعت  
إلى الوراء لترتكب إلى سيارة هناك..  
- رفا.. كل الأمر أنني سمعته يكلمك أثناء نومه، وحين سألته عن ذلك  
أخبرني أنك مصابة في قدمك، وأن زين هو من فعل ذلك.. أرى أنك لا  
تسيرين بشكل طبيعي.. فقط أجيبني بعم أو بلا..  
- نعم.. أطلق الرصاص عني عن طريق الخطأ.. لم يكن يقصدني.. ولا تسأليني  
من كان يقصد..

رمزي.. شخص يدعى رمزي.. هكذا فكرت إبناس لكنها لم تعلق.. فقط  
هزت رأسها في تفهم.. إن رفا قادرة على الخيانة إذن.. يبدو أن الموضوع أكبر  
من كونه مجرد شك.. هناك علاقة كاملة أدت إلى أن يحاول زين قتل رجنها..

لكن . هل يحب رين ربا فعلاً؟ إن لم يكن يحبها، فلماذا لم يكف بطلاقها إذن دون تعريض نفسه لخطر كهذا..؟

شعرت إيسر بعصه في حلقها لكنها حاولت تجاهلها مؤقتاً

- هل أتيت كل تلك المسافة كي تسأليني عن ذلك؟!

- لا . الأهم من ذلك هو . أسر يقول إن له صديقاً إحم . ميتاً يراه هر . وآيت وأوره . أعرف أنه يحرف .. لكسي أريد أن أعرف من أين جاءته الفكرة؟ وكيف تقترحين أن أتعامل معها .؟

فتحت ربا فمها لتجيب ثم أعلقت . لم تكن تتوقع سؤالاً كهذا..

- إن . إن لأسر صديقاً تخيلياً وهو شيء مألوف في هذا السن . أما كونه ميتاً فهو لم يخبرني بذلك من قبل . طبعاً أحاول أيا و .. ورين أن تحببه أنا نراه .. سعب معه هذا كل شيء .. لا تعيري للأمر انشباها ..

- إذن، ففكرة دهايه إلى الحضانة ربما تساعد على إيجاد أصحاب حقيقيين ..

- اسمعي .. أسر لن يذهب إلى أي مكان في القاهرة لأنه سيعود إلي .. قريباً .. لا تتهدوا أنفسكم أو تعقوا نفودكم .

- حسناً .. إنه ابك .. كما تشائين .. لكن .. رنا . هل تعملين الآن؟

- أ . أنا لا أعمل مؤقتاً . أبحث عن عمل .. سوف أجد واحداً قريباً . إلا أنني لا أحتاج إلى نفود العمل، لكن . أشعر فقط بالوحدة . وأمسكت رنا كوعها بكفيها وارتجفت .. اضطربت أفعالها حين تذكرت أن نفودها لن تكفيها يوماً آخر ..

- هل تحلمين بأسر؟

- كل ليلة..

- هو أيضًا يحلم بك..

ثم نظرت إلى ساعتها ومدت يدها إلى رنا بكيس الهدايا الصغير..

- ميعاد العودة.. إن أسر يصنع أشياء جميلة بالمكعبات ويرسم كثيرًا جدًا..

بعض رسوماته غير مفهومة لكنها قد تبدو ذات معنى لك.. هذه بعض

لوحاته، ومجسم صغير لا يملك يصنعه بأحجام مختلفة بالمكعبات.. يمكنك

الاحتفاظ بهم..

ثم تركتها إيناس دون كلمة أخرى وهزلت تجاه الأوتريس. نظرت رنا داخل

الكيس ثم رأت أن تحلس على السور المنخفض لترى ما فيه..

أخرجت لعافاة أوراق ملونة مضمومة إلى بعضها بشريط مطاطي.. سحبت

الشريط إلى أسفل لينفتح البقايا ويسقط منها بضع أوراق ملونة من فئة

المائتي جنيه.. انحلت رنا بسرعة وجمعتها من الأرض وهمت بالجري وراء

إيناس..

- مدام إيناس... إيناس..

ولم تتحرك رنا من مكانها.. كانت تعلم أن إيناس لن تسمعها.. جزء من رنا

لم يرد إيناس أن تسمعها.. إن خمسة أوراق من فئة المائتي جنيه هي كل ما

تحتاجه رنا وأكثر حتى تجد عملاً..

أمسكت رنا بالقود وحلست لصف ساعة بلا حراك.. ثم رفعت عينيها إلى

بائع شطائر الكدة في نظرة خاوية..

\*\*\*\*\*

— هل تشرين شيئاً؟

— نيسكافيه.. بلاك..

هرت مضيفة الأوتوبيس رأسها وابتسمت، ثم انتقلت إلى راكب آخر .  
كانت إيباس تسد رأسها إلى زحاح البافدة الداخلي وتراقب الطريق يجري  
إلى الخلف..

شعرت براحة حين أوصت القود إلى رنا . تعلم أنها لن تستطيع مواجعتها  
قريباً لكنها كانت موقفة أن رنا بحاجة إلى القود . إن لم تكن رنا بحاجة  
إليها، فبم لم تصل بها وتطلب منها العودة لأحد بقودها؟

أخذت تسترجع رنا والتي فقدت على الأقل عشرين كيلوجراماً وصارت  
ملايسها في اتساع الخيمة.. لكنها لم تس أبدأ تلك النظرة المجنونة في عيني  
رنا . ذكرت لها بالمر العاصب بشكل ما . نظرة امرأة انزعوا منها روحها  
ذاتها..

— تعصلي..

— شكراً..

أخذت إيباس تقب الرعدة على وجه مشروبها دون تفكير في جدوى التقلب  
دون وجود سكر من الأساس..

لا تعلم لم لا تصدق مسألة الطفل الميت صديق أسر.. هناك شيء ما في نبرة  
رنا يجعلها تشك.. لكن تشك في ماذا؟ إن ما قاله رنا هو التفسير الوحيد  
المطقي..

كانت مؤحرة رأسها تبض فمدت يدها وفكت شعرها المعقوص فتفصص

وجبهة من الألم الحفيف النخ عن ذلك واخذت تحك شعرها..

هل ترك أمر يذهب إلى الحصاة أم تفي بوعدا وتحاول تأجيل الأمر إلى..  
لا تعلم إلى متى.. إن رنا بدت متأكدة من عودة ابها إليها بحق.. لكن، هل  
ستستطيع رنا الاتفاق على ابها وتوفير مصاريف دراسته؟ إن ذلك لا يعيها  
على أية حال..

رشت من اليسك فيه فوجدته جيداً فصبت السائل الدافئ في حلقها على  
دفعات متتالية تصاعد على إثرها الحمض في معدتها. شعرت على إثرها بذلك  
الدوار المميز فقررت أن تغمض عينيها حتى تصل، وعداها يمكنها مراجعة  
الأمر مع نفسها مراراً وتحتها أرض ثابتة وبداخلها معدة مستقرة.



جست رنا على الرصيف تلثم العشرة شطائر التي ابتاعها في نهم وهي  
مارالت تطبق عبي ما تبقى من بقود في كفها..

كانت جائعة، فلم تكن تمضغ بل تلتع الطعام ابتلاعاً، وتنفس على دفعات  
متتالية قصيرة..

كورت الكيس الذي كان يحمل الشطار ودسته في حفية يدها ثم نظرت إلى  
البقود في كفها كابها تراها لأول مرة.. شعوراً حارقاً في مؤخرة أنفها تبعه  
سيل من الدموع وهي بعد لم تدرك أنها تبكي..

يمر بها الناس ولا ينظر إليها أحد.. وجوه جامدة لا تعابش.. تمنى لو ينظر  
إليها أحد فقط كي تشعر أبها حية وما زالت مرئية للآخرين..

تشر بك صغيرة على كتفها فتلتفت.. فتاة صغيرة تمسك بمذيل وتأوله

لها بينما تمسك بيدها الأخرى كف أبيها الشاب الذي لا يبدو أنه يكرث لما تفعله أو حتى يشعر به.

تمسح عينيها بالمذيل ثم شعر فحاه بالمقدمات التي أكتتها تتدافع عبر مريثها تصع المذيل على قممها وتخرجي إلى حارب الطريق وتصرح معدنها هالك . يرمقها بانع الشيطان بظفرة مشعرة، ثم يسعد بعريته كي لا تطوله تهمة التسمم الذي أصاب رثا..

تحمّل على نفسها وتلفظ الكيس الورقي الذي يحمل أعمال أمير اللمبة وتنقي سمها في أقرب ميادة أجرة. تختص الكيس وتحاول أن تشم رائحة اسها فيه، فلا يحدث إلا أن تحتشد إمررات أسها في مؤخرة حلقها فتبتلعها شاعرة برغبة في القىء مرة أخرى..

يرن الهاتف في حقيبتها فتخرجه لتجد اسم رمزي على الشاشة...



## لن تصدقي !

رمزي الآن مرهق تتدلى خصلات شعره المكوي على أذنيه، المنزل حال إلا من بعض أصدقاء له يحتملون على الطريقة العربية. لقد بلغ رمزي وأدرك أن هناك ما يهم في نصف جسده السفلي. لا يوجد من يستقي من المعلومات إلا هؤلاء الأصدقاء والشجيرة بالطبع. أمه على موعد مع أحد الرجال ((الأصدقاء؟)) ويبدو أنها تختار تحارب خاصة بها. أمه ليست منحرفة، معظم نساء زمنه بهذا الشكل.

الصوت العالي لأغنية عربية ذات لحن عربي ممسوخ وأصوات نتهيم الحروف انتهامًا تهز أحشاءه وهو يسير بين كوم اللحم الذي يتكون من رميات له في المدرسة قرون خوص تجاربهم الخاصة مبكرًا..

أصدقاء له يمارسون الجنس في الفصول الحالية، آخرون في السيارات.. هو من نوع غريب قد سيطر على ذلك الحيل وصارت "المصاحبة" من الأشياء الهامة فعلاً..

يشعر رمزي أنه في عالم آخر، عالم لم يره في حياته السابقة - التي لا يذكرها - إلا في الأفلام العربية.. انشلت تلك الأفكار المنحرفة تدريجيًا إلى الأفلام المصرية منذ تسعينيات القرن السابق، ثم قفزت من الشاشة إلى الحياة ككرة سلة في يد لاعب محترف.

كفت السيماء عن تفيد الراقع مد رمس و صار الواقع هو من يحاكي السيماء..  
يحبون الآن حياة رسمت لهم مسبقاً ووضعنا لهم فيها الأدوار الثانوية  
يتفقد رمري أجساد العنيت ولبادات الأبرثة، كلهن يعرفن كيف يردد  
مفاتيهن والشكر للإنترنت..

يظن نحو آخر الرواق ونحفظ الموسيقى في أدبه تدريجياً. فتة أكرم  
مد يصنع سوات ترتدي الأحمر وتقف مرتكة بكثنا يديها على عمودين  
رحامين ومن تحتها الأرضية التي يحفظ فيها اللون الأسود والأبيض في  
مربعات تحبه الشطرنج..

يتقدم من الفتة وقد همست له عريته. يجب عليه أن يفعل.

يكشف على يديها ما لم يكتشفه أحداً غير عشرات السوات من الرواق،  
لا يعلم أنها هي فقط من يستطيع مسح كل هذا، وحين تنهي من مهمتها،  
لن يعرف رمري الراحة مع أي فتاة عادية. سيرف العشرات لكنهن جميعاً  
لن يمثاليبة العناية ذات الثوب الأحمر والخيرط الدخانية الهفهاة التي قبده  
بها إليها.

المحركون العظام هم فقط من يمكنون تلك النساء "الحلم".. يعرفون كيف  
يدمرون بها قاعة الرحال، ويشعرون بها يحثهم عن غير الموجود.

تشر النساء أمام تلك الإثاث المكتملات المصروعت بما يشعر به الفرد أمام  
البشري.. تشابه في معظم الحب، إلا أنهم لا يملكون - ولن يمكن - ما  
يحملهن في مساواة معهن تباين النساء من أن يجدن من يقعن بما يملكن فيلقين  
به إلى من يطلب، فقط ليشرن أنهم ما لن يثا بشكل ما..

العلاقات المحرمة تفضي ولا يعلم أحد عن أساليبها الحقيقية شيئاً، يرونها  
نوعاً من التحرر والسيطرة على الجسد كما يتوهم مهورسو الوشوم امتلاك

أجسادهم بتلك الطريقة..

وحين عمل رمزي من الفتيات العاديات، بحسك هاتفه ويتصل بالرقم. أرقام ظهرت "للردشة" على قنوات فضائية غير معلومة المصدر في أوائل هذا القرن، وعلى الجانب الآخر من الخط تجد أكبر تشكيلة من العايات المصروحات بالضبط كي يأسس حيال الشباب. انتشرت تلك القنوات، وصار الإعلان عنها في بعض المحلات شيئاً مشروعاً، يتصل رمزي ولا يسمع أي صوت من الجماعة.. فقط صمت وأصوات صحكات خليعة بعيدة جداً، ثم ترد عليه نثارة ذات صوت شيق مبجوح قليلاً.. تماماً كما يحب.. ترتدي فستاناً عارياً أحمر اللون إلا أنها لا تمتلك وجهها على الإطلاق.. فقط فم مشقوق عرضياً تبعث منه الخيوط الدخاية الشفافة لتعبر المسافات وتقيدته ضمن آلاف القيود التي لا يراها أحد..

\*\*\*\*\*

ضغطت رنا على زر الاستقبال وقلبها محشور في عنقها مسيئاً لها عسراً في النفس..

- ألو... رمزي؟

لم يأتها صوت رمزي، بل صوت سيدة وفور لم تسمعه من قبل..

- الأستاذة رنا؟ اسمك يظهر على الشاشة.. لقد وجدت هذا الهاتف أمام مكان عملي ولم يتصل به أحد إلا أنت.. هل تعرفين صاحب الهاتف كي تعيده له؟

- أعرفه.. لكن.. حساً.. يمكنكني أن آخذ الهاتف وأبحث عنه كي أعطيه له..

- تبحتني عه؟!

- اعني اسي لا أعرف عنوانه تحديداً، لكن بمكسي الوصول إليه..

- جميل أين بمكسي أن أقابلك ومتى؟

لم تستشعر رنا الراحة الواضحة في صوت السيدة عندما أحبرتها أنها لا تعرف مكان رمري، إلا أن السيدة أحبرتها بمكان عملها وهي مدرسة قريبة جداً من منزل رنا، فاتفقت المرأتان على أن تتقابلا بعد نصف ساعة.

نزلت رنا في أقرب مكان للعنوان الذي أعطته إياها السيدة ثم سألت عن عنوان المدرسة فدلتها عبيد أحمد المارة، وبالرغم من قرب المدرسة من منزل رنا إلا أنها لم تسمع قط عن وجود مدرسة هناك.

أمام بوابة المدرسة الحديدية التي يعلوها نقش ممقو خصاص ومثبت وحروف غير واضحة، وقفت سيدة شديدة الأناقة رمادية الشعر مشدودة البشرة بشكل صناعي مبالع فيه، وفي يدها كتبت تحمل هاتف رمري بشكل واضح.. للمرة الثانية اليوم تشعر رنا بالتصاؤل أمام تلك الأناقة والهيبة فجعلت تعدل حجابها وتعلق زر السترة التي ترتديها ثم تفتحها مرة أخرى في محاولات فاشدة لفعل شيء ما حيال "البهذلة" التي تشعر بها..

تقدمت رنا من السيدة ونظرت إليها فعرفت السيدة على الفور أنها هي رنا، فمدت يداً مزدانة بطلاء، أضافر على الطريقة العربية وسلمت على رنا بيد قوية..

- أهلاً آنسة رنا..

شعرت رنا بسعادة خفيفة في روحها، هناك من لا يزال يطلبها آنسة ها

- مدام.. أهلاً بك..

— مدام؟ تيدين صغيرة! هل لك أولاد إذن؟

وتبدلت السعادة الحميمة إلى شوكة في حلق رنا وذلك الشعور الحزين القلق يسري في عمودها العفري..

— نعم.. آسر..

— جميل.. هل يذهب للمدرسة أم لا يزال صغيراً؟

— صغير.. بعض الشيء.. أحاف عليه من المدارس في تلك السن الصغيرة..  
اهتمت السيدة في تفهم وهي تناول رنا الهاتف.

— تفضلي الهاتف.. لكن اتعلمين؟ لديك حق.. المدارس لم تعد بالأمن والانتضاط الذي كان.. قلة هي المدارس التي تثقن فيها وتأنس بها على أولادك..

هزت رنا رأسها وأخذت تحديق في هاتف رمزي..

— لن تصدقي.. أنا مديرة المدرسة التي تثقن أمامها الآن . وأصر على أن  
أكمل كلامنا في مكبي..

رفعت رنا حاجبيها وقل أن تطلق بشيء وضعت السيدة كفها على كتف رنا  
برشافة واقتادتها إلى مدخل المدرسة الممحق الظيف..

\*\*\*\*\*

لم تكن الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف حين اجتازت رنا الممر الماخر  
المؤدي إلى مكتب السيدة خورشيار مديرة المدرسة..

كانت رنا تسمع ضوضاء أطفال منتظمة تأتيها خافقة عبر جدران الممر المكسو

بورق الخائط الأبيق واللوحات التي تبدو كأنها أصلية لكن من ذا الذي يصع  
لوحات أصلية في تمر بمدرسة؟

كان الصوت مستعراً، لا يقترب أو يتعد، وكأنه يصدر من اعداد دونه، طراً  
عنى دهن رنا أن الأصوات تبدو وكأنها تنكرر بشكل ما سمعت ذات  
لفضحكة أو الصبيحة مرتين على الأقل في طريقها إلى المكتب وكأنها أصوات  
مسجلة يعاد تشغيلها إلى الأبد..

كان المكتب صغيراً يحمل طابعاً حبيئاً قديماً تتراحم فيه كل من الأثاث الخشبي  
المعاصر مع مستنعات أليفة ذهبية ومدارش من الدانتيل كأنها انتقلت إلى عصر  
من العصور الوسطى فجأة، لكن ما كسر ذلك الشعور هو جهاز الكمبيوتر  
شديد التطور الذي يعتلى المكتب انصهم، وكذلك لتكيف الأبيق..

حدثت السيدة حوشيار إلى مكتبها وأشارت إلى رما كي تحبس.. ضغطت  
السيدة حوشيار زرّاً على المكتب فاطلق أهر قصير سرعان ما افتتح الباب  
على إثره وأطل منه ساع أبيض الشعر حمسيتي..

— اسمحي لي أن أطلب لك مشروبي الخاص.. السحلب التركي! لن تصدقي..  
لا أشرب سواه طوال اليوم، ولم أجد أروع منه بديلاً.. إنه ليس كأي سحلب  
شربته في حياتك..

أدرك الساعي الطلب فحرج بحضرة دون تعيق، ولم يفتّه أن يرمق رنا بظفرة  
طويلة لا تعبر فيها..

— ترين يا مدام رنا أن المدرسة على مستوى عال جداً، ويشرفنا بالطبع استقبال  
إيكم في أي وقت.. للمدرسة عدة فروع داخل مصر وخارجها أيضاً، وبمكسي  
أن أجد لك فرعاً قريباً من منزلك.. أين تسكنين؟

- في الحقيقة هذا هو أقرب فرع بالفعل.. بيتي على بعد ثلاث شوارع من  
ها..

رفعت السيدة خوشيار حاجبيها في دهشة مصطعة وحظر لربا أن السيدة  
تعلم أين تسكن تحديداً لكن رنا وجدته حاطراً مخيفاً؛ فمن أين لسيدة أن  
تعرفها؟ ولم تظاهر بالعكس؟

ومن الأفكار التي دفعت الحاطر السابق جانباً هو إحساس بأن السيدة تورط  
رنا في أن تلحق ابها بالمدرسة، وهي مدرسة كما تبدو باهظة المصاريف،  
وبالتأكيد يبدو على رنا ضيق ذات اليد.. لم تعلم لم اعتبرتها السيدة الأنيقة  
صيداً!!

- قولي لي يا مدام رنا.. هل تعلمين؟

- في الواقع لا أعمل حالياً.. لكنني في مرحلة البحث عن عمل؛ فأنا مطلقة  
وأحتاج لأن أعمل بالطبع..

أضافت رنا حملتها الأخيرة كي تعلق على السيدة باب الحديث في إلحاق  
آسر بالمدرسة، في الواقع هي قد سدت الطريق على نفسها وعلى أحلامها بأن  
تلحق الطفل بمدرسة بهذا الرقي فضلاً عن كونها قريبة من منزلها.. لن تسمح  
لنفسها بالمزيد من الأحلام البعيدة.. لن تسمح لفكرة ترك آسر لأبيه كي يحيا  
حياة أفضل تتسلل إلى عقلها..

- لن تصدقي.. يبدو أنك سوف تتوقفين عن البحث الآن! نحن نبحث عن  
مدرسات بلا خبرة كي يتدربن هنا للتدريس في مرحلة الحضاعة.. ما هي  
مؤهلاتك؟ هل يجيدن الإنجليزية؟

لن تكف المرأة عن ترديد عبارة "لن تصدقي" تلك، إلا أن رنا بالفعل لم تصدق

ما سمعته أديها، بدا لها العرض كأنها قد تم تعصيده عيها هي تحديداً . لم  
توقع أن يحالفها الحظ بعد أن تحلى عنها جميع الحفباء.

- بالطبع أحميد الإنجليز، أما خريجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، كما  
أنني أعشق الأطفال بشدة..

- جميل

جاء السحلب في قدح فخاري أسود يحمل نقوشاً ذهبية وكلمات باللغة  
اللاتينية . تعرف ربا القبل سها بحكم دراستها، إلا أن الكثير قد تنجر من  
القبل التي كانت تعرفه فصار ما تراه على الكوب علامة لا تفهم منه إلا  
الضمائر وحروف الجر..

"أنت... م... وصرت... المهديس..."  
ذلك ما فهمته من المكتوب، ولم تجد بين الكلمات رابطاً ما فصلاً عن أن  
الحمل لا تدوم من الحمل التي تكتب على الأقداح الخرفية .

رشفت رشعة من المشروب الساخن فلم تستطع إلا أن نصب الباقي صاً في  
معدتها، بانفعل لم يكن كأي سحلب سمعت عنه من قبل.. أخذت تمضغ ما  
تبقى في فمها من أشياء بدت لها طعمها مثل المستق..

دارت بعينها في المكتب وتوقفت مرة أخرى عند شعار المدرسة الذي لم تفهم  
الأم يرمز حتى الآن، من شتة أحدث تحاول قراءة تلك الكلمات..

"من... إلى شمس ....."

من الوصح أنها شعار منمائل ما بحث عني فصل العدم الذي هو كعصر  
الشمس عني سائر المحنقات أو ما شبه... وعلى المكتب وجدت اللافتة  
الصغيرة باللغة الإنجليزية تحمل اسم السيدة المائلة أمامها..



— مدام خوشيار..

رفعت السيدة عينيها عن شاشة الكمبيوتر الذي كانت تكتب عليه شيئاً ما  
وابتسمت مصححة..

- خوشيار.. لديّ اصول تركية..

— آه.. آسفة.. مدام خوشيار.. لم تستخدمون اللاتينية في كتابات كثيرة هه؟  
وأشارت بعينها إلى القدح. قطبت السيدة خوشيار وتصلّبت أمامها على  
لوحة المفاتيح..

— هل تعرفين اللاتينية؟

— درستها لكسي نسينها حتى إنني لا أفهم ما هو مكتوب هه، لكنني مارلت  
أميزها..

بدا على وجه السيدة خوشيار بعض من الراحة، وتراجعت بكرسيها لتفتح  
درجاً جانبيّاً..

— حساً يا مدام رنا.. the sooner the better.. كما يقولون.. يمكنك  
البدء في التسريب غداً إن أردت، لكن اسمحي لي..

وقامت السيدة خوشيار حاملة نصلاً فضياً مردوح الطرفين ولعانة من خيوط  
الكتان..

— في مدرستنا يأخذ عية من دم من يعملون معنا للتأكد من خلوّهم من  
الأمراض المعدية، نفعل الشيء نفسه مع أولياء الأمور والطلبة..

وتقف السيدة خوشيار توجه عينيها اللتين يتراوح لون قرحتيهما بين الأزرق  
والرمادي الشفاف إلى عيني رنا البنيتين..

- إجراء مهم، وبسيط.. حتى أنني أقوم به يومي.

ومدّت يدها فقط لتدرك رنا أنها لا تستطيع التحكم في أطرافها، فقد طارت يدها لتتهبط في كف السيدة دون تفكير.

بعد أن أخذت السيدة عينتها شعرت رنا بأن هناك فجوة ما في ذاكرتها.. كل ما تذكره هو أن السيدة خريشار لها أصول تركية

- لن تصدقي المعجزة التي تنتظرك.. تعالي..

واصطحبت السيدة رنا في عمر آخر قصير، وفتحت باباً في آخره يطل على حديقة خلفية صغيرة جداً..

خطت رنا إلى داخل الحديقة، وما إن دارت بعينها ناحية اليمين حتى انشأها شعور

بالسعادة والدهشة وفقدان الإحساس بالمكان والاتجاهات..

بحسبة صغيرة، هي قد دخلت المدرسة ومشيت حوالي عشرة أمتار إلى مدخل مبناها الرئيس، ومشيت حوالي ستة أمتار حتى وصلت إلى المكتب ومن المكتب إلى الباب الذي يؤدي إلى الحديقة حوالي ثلاثة أمتار ونصف.. كيف إذن اختارت ثلاثة شوارع كبيرة في حوالي عشرين متراً لتجد أمامها منزلها يادلها في قدم وبؤس الطرقات عبر السياج الحديدي للحديقة المهمة التي تنتشر فيها الدعائر المكرمة القديمة كروزوس الكرنب؟

## قيود جديدة..

وقف أسر ثانياً ركبته فوق الأريكة الصغيرة أسفل نافذة حجرة بومه وأسلت الستائر الشفافة البيضاء بيديه، وأحد يظفر إلى الشارع الكبير شبه الخالي في هذا الوقت..

كان يتذكر الشارع الضيق بالإسكندرية، وأصوات الرجال على المقهى اقريب، وريثة رمضان الأبدية الممتدة كأواصر المحبة بين البيوت القديمة. تذكر سريرته والأشعة البيضاء التي استحالت لوناً أبيض مصفراً بفعل الغسيل، والصندوق الورقي المقوى الصغير الذي يحتفظ فيه بكراته الملونة ومكعباته..

كان يكره تلك المباني الحديثة الشاهقة من حوله، يكره المدن الجديدة ذات المارل الصغيرة المشابهة لمنازل الأقلام الأمريكية التي أجبرت سكانها - بشكل ما - على التصرف كأجانب..

عمه أس كان يسكن في إحدى تلك المدن، منزله واسع قليل الأثاث من طراز رآه كثيراً في أعلام أجنبية حتى إنه إذا ازداد عدد الأفراد الموجودين به عن ستة، وجدوا مشكلة في إيجاد قطع أثاث قابلة للجلوس..

أبنة عمه علا لديها صديق حميم، تظهر الازدواجية في تفكير عمه أس حين

يرى الفتى مع ابته ويضطر إلى أن يثد السخرة في عروقه كي يتركها تعيش التجربة..

لم يكن أسر يفهم كل هذا، لكن فطرته كانت تشعر بشيء غريب يشل إلى مجنعه الصغير، يشعر باغتراب وكأنه يشاهد من حوله فيدما اجنى من الذي يشاهده مع بهي المربية، ولا يحبه كثيرا..

كان أسر طفلاً وحيداً مقترناً في سن مبكرة، يكره أن ينظر من النافذة في أي وقت يتواجد فيه مارة في الشارع، فقد كان يرى تلك الخيوط التي تربطهم إلى اللاشيء وتلك النظرة الراجمة على الأوجه. كان يذكر أن عدد "المربوطين" لم يكن بهذه الكثرة العام الماضي.. لم يكن حتى بهذه الكثرة الشهر الماضي.. إهم يتكاثرون بحتالية هندسية، إلا أن أسر لم يجد الوصف المناسب له في حصيلة اللعوبة الصغيرة..

الليلة كان يشعر بشعور مختلف تماماً.. حطر محقق لكنه لا يعلم مصدره. بعد ظهر اليوم شعر بشيء صغير رقيق يتزع من روحه، شعر بحزن عميق فأغمض عينيه وهكر في أمه.. يشعر بالمسافة البيضاء التي كان يراها في عقله تمتد بيه وبينها تسع وتفقد نفاذها.. عندما حاول الاتصال عقلياً بأمه شعر بسد هالك وبثقل يرهق روحه، كان حوائط الحجرة تنطبق عليه، ولم يشعر بوجود ربا.. خرج من حجراته وسار أمام إياس.. تباطأ أمامها لعلها تسأله عما يريد، لكنها لم تفعل.. كانت شاردة في عالمها الخاص وهي تدحن.. لم يكن يعرف ذلك عنها..

عاد ووقف في نافذته وظل يرمق الطريق.. شعر ببرودة تأتي من خلفه فنظر إلى وراء ليجد الطفل العامض يصعد إلى الأريكة ويحاكي جلسته، ينظر بعين يضاوين إلى الشارع ثم يمد يده ويمسك بكف أسر.

يشعر أسر بما يريد الطفل قوله .. لقد اقترب الوقت ولنسوف يعود لأمه قريباً،  
لكن تلت اللحظة لم تطمئن على أمه . لم يعرف ما الذي يحدث ..  
ظل الطفلان يرمقان الشارع حتى غشى أسر لعاس أمام على الأريكة مكانه،  
بما برل الطفل العاص إلى الأرض ومشى عابراً الباب استقر محتباً  
مواقف .

\*\*\*\*\*

حسرت رما من الحمام المنيء بالبحار وقد شعرت أنها ولدت من جديد،  
شعوراً بالطمأنينة غمرها وقد نالت وظيفة لا تحلم بها بمرتب حيالي يتبع لها  
أن تؤمن حياة ونعيمًا مختاراً لاسها، فضلاً عن كونه سيجل بحائنها في المدرسة  
بمسها.

تناولت عشاء مرتعلاً بسيطاً فقد شبع من السعادة. جلست على السرير  
ومارال شعرها مملوفاً بالمشفة تفوح منه رائحة الشامبو الذي اشترت عبوة  
به في طريق عودتها القصر على سبل الترف والاحتفال ..

جلست على السرير وأراحت رأسها على الوسادة وأغمضت عينيها. شعرت  
بحرارة في مقشها وكأها بواذر النهاب في عينيها، وسرعان ما انتشر هذا  
الشعور وعلف رأسها بالكامل فاعتدلت حالسة وأمسكت برأسها، بالعمل  
كانت درجة حرارتها عالية بشكل واضح، ولكن .. أي حمى تظهر في  
غضون دقائق هكذا؟

أرالت المشفة المحيطة بشعرها وحملت تهرش مروة رأسها، إحساس بالتحيل  
مع ارتفاع درجة حرارتها بدأ يعرف ما تحت جلدة رأسها

قامت إلى الحمام الدافئ، وفتحت صرور المياه الباردة وعسلت وجهها، ثم أحست بالشعور ذاته حول مرفقيها فطفقت تغسلهما، ثم نظرت إلى المرأة المعطاة بالبخار فوق الخوص والدي بدا البخار على سطحها يستحيل ماء يسيل في خطوط إلى أسفل. بدت لها خطوط بخار الماء المتجمعة على السطح كأنها خطوط شفاقة تخرج من رأسها، فقطبت ومسحت المرأة يدها المبتلة في معلقة وكانت تطرد حاطرًا شيئًا..

لم يكن انعكاسها في المرأة إلا انعكاسًا لوجهها المدعور، ولا أثر لشيء غير معتاد هناك..

جفت وجهها وشرعت في الخروج من الحمام ووجهها ما زال مدعورًا في المشقة إلا أنها شعرت بملمس بارد على ساقيها يمتد إلى أعلى فتخذيها مع إحساس بشيء خشن حولهما كأنها رمال مبتلة رفعت المشقة عن وجهها لتجد الطفل العامض يقف منتصفًا بها بل إنها غائصة فيه بشكل ما. تراجعت في ذعر فهي لم تتوقع رؤيته أو وجوده ها. لقد تصورت أن وجوده يرتبط فقط بوجود أسر، ولربما ما حدث أحيانًا أثناء وجوده آخر مرة كان كافيًا كي يغتفي للأبد..

تراجع الطفل للخلف في هدوء وجلس في ركن المحرمة مبتسمًا وكأنه يتوقع منها استعراضًا ما..

— ماذا تريد؟

لم يرد الطفل لكنه ظل يرمقها بجالسًا وذراعاها ملتفتان حول ركبتيه في استمتاع..

تسللت رفا إلى الفراش وعيناها لا تزالان معلقتين به. جلست هناك وظلت

تبادلته النظرات لعشر دقائق، بعدها بدأت تشعر بارتفاع درجة حرارتها مرة أخرى مع شعور حارق حول معصمها وقدميها

شعور مصاحب آخر هو ما أثار ذعرها أكثر من أي شيء، شعور برغبة قوية في قتل أمير أو الخلاص منه بأي شكل . أخذت تحك جسدها كمدمني الهيروين وتسد نظرات حائرة بحسوة إلى الطفل العائم هناك.

مارال الطفل العائم جالسًا مكانه ينظر إليها في حكمة من يعرف ما يحدث جيدًا . ولم تشعر ربا بتعسها إلا وهي ترحف على يديها وركبيها نحو الطفل الذي بدا وكأنه يتوهج بنور فضي . مدت يديها إليه فاصدة عنقه إلا أنه رفع كفه في هدوء ووضعته على حبتها فتجمدت في مكانها.. وهي ذهبا توالت صور لم ترها من قبل..



عندما كانت المدرسة تغلق أبوابها ويرحل آخر طالب ومدرس فيها، كانت السيدة خوشيار تتأكد من إطفاء الأنوار وإغلاق الأبواب بنفسها قبل أن تتوجه إلى غرفة في الطابق الأخير من المبنى..

تقرب من الخائط في هدوء فتبدي باب خشبي عملاق مزخرف، على كل صلعة من ضلعيه نصف شكل هرمي متوش و نصف حصان مجتح مقيد..

يفتح الباب عن قاعة عملاقة ذات أرضية باللونين الأبيض والأسود مع عامودين رحامين في صدر القاعة الحالية، بينهما صندوق خشبي ضخم يحيط حافة النقاء الصندوق بعضائه حروف لاتينية بحاسية مزخرفة بشدة.

تقف السيدة خوشيار أمام الصندوق وتخرج الحيط الكناية المشرحة

بقطرات دماء رنا. تصع الخيوط أرضاً فتلوى الخيوط وتفرّد إلى أعلى كأنها  
حيات دحاية فضية تراقص في الهراء

تجثو على ركبة واحدة وتفرع الأرضية صرعات مسممة مع ترانيم تطلقها من  
حجرتها كأنها أصوات عدة أشخاص محميين..

من الأرضية تتجسد دمية خشبية صغيرة مائمة على ظهرها.. تسبل الخيوط  
الدحائية إلى أطرافها ورأسها كأنها ديدان رفيعة شريفة...

تهتر الدمية كأنما هي في نوبة صرعية، ويتصاعد منها دحان حميف كأنها  
تحترق.. تدمع الخيوط في الأدخنة وتتصاعد إلى الشكل الهرمي الدخاني  
المتجلى فوق رأس السيدة حوشيار.. يتحد به الجسد الخشبي الصغير ويضيء..  
تتحرك رأسه إلى اليسار ويفتح عيبه النينين، ويتسم..



"أنت الآن واحد ما، وصرت مشبنة معلقة بيد المهندس الأعظم"

الآن فقط تذكرت رنا معنى ما كان مكتوباً على القدرح الفخاري.. تذكرت  
اللاتينية التي اندثرت في عقلها كما اندثرت آلاف المعلومات عبر سنوات  
عمرها بفعل فاعل..

تذكر رنا الفصول النقدية التي كانوا يسمونها "تعليم" والتي تعدوا ملء  
دهبها عبر ستة عشر عاماً بهراء بدعوى "التعليم" المزعوم.. لا تسأل.. لا  
تفكر.. فقط احفظ واحتفظ بكم حرافى من المعلومات السطحية لتسكبها  
على أوراق الامتحان وبمكك بعدها نسيانها إلى الأبد..



لن تذكر ربا أبداً عدد سكان سبيريا في السبعيات لأن ذلك لم يعها في شيء طيلة حياتها، ولن تذكر تفاعل ورقة عباد الشمس مع الأحماض والقلويات لأنها لم تر ذلك التفاعل أبداً ولا تعلم ما هي ورقة عباد الشمس، كل ما اهتم به المدرسون وقتها هي أن تحفظ وتحفظ حتى يحكيها النباهي بشهادتها المعلقة في الصالون أمام العريس القادم..

ثم إبعاء الصف السادس الابتدائي ثم أعادوه قسموا الثانوية العامة إلى عامين ثم أعادوها تحولت الدراسة إلى ألم مرص في أسان أولياء الأمور والطلبة وتدريباً تحول الطلبة إلى الدراسة في المارل عن طريق مدرسين خاصين بعد إبعاء الدراسة بقرار غير رسمي عدة سنوات متوالية لأسباب عدة؛ ابتداء بوباء أنفلونزا الطيور تلته أنفلونزا الخنازير، مروراً بثورة يناير، وصولاً إلى حالة عدم الاستقرار الأمني المزمعة..

تذكرت ربا قطيع التلاميذ يمشون الشيد الوطني المصري بلا انشاء حقيقي، بلا فهم لكلمات الشيد التي لم يتكلم أحدهم على الأطفال بشرحها.. ارتبط الشيد الوطني بطائور الصباح وصياح المدرسين، وانتظار ثماني حصص متوالية من العذاب المتواصل دون أي ترفيه من الصعب أن يشعر المصري بصحر أو تأثير عند سماع الشيد الوطني بعد كل تلك السنوات من الارتباط الشرطي بين سماع الشيد وعذاب الدراسة

سقطت ربا أرضاً بعد لمس الطفل العاصي وهي دهسا ظهرت فجأة أفكار مخلطة عن مرحلة طفولتها ودراستها، كما طمت على السطح لغتها اللاتينية المفقودة..

Qui nunc nobis suspensa autem artifex maximus erit

"أنت الآن واحد منا، وصرت مشينة معيقة بيد للمهندس الأعظم"

"من يظل النظر إلى شمس المعرفة تحترق روحه"

أي كلام هذا؟ وكيف يكون شعار المدرسة دعوة للجهل؟ وأي مهندس أعظم؟

أمسكت رنا بوجهها وكأنه سيقط إن لم تفعل، وترنحت الخطرات الثلاث التي تفصلها عن سريرها. جلست هاك وهي تنظر من بين أصابع كفيها إلى الطفل الجالس في ركن الحجرة..

لقد رأت عنها الحرارة فجأة وصار ذهابها صاقيًا.. تحاول أن تتذكر ماذا يعني "المهندس الأعظم". لقد قرأت هذا الاسم في مكان ما..

أسدت رأسها على ظهر السرير مرة أخرى وشرعت تحاول الذكر..  
المهندس الأعظم.. الشكل الهرمي.... الماسونية....

شيء للنظام التعليمي الذي ملأ عقلها عن آخره بالهراء، وما تبقى من فراع في عقلها لم يعد يسمع الثقافة الخاصة والمهارات التحليلية التي لم يتمرن عليها معظم المصريين على مر العديد من الأجيال.

لقد قرأت شيئاً عن الماسونية حتى فاض به عقلها واسكب منه . لكن ما علاقة الماسونية بكل هذا؟

شعرت بالعاس يتسلل إلى أجفانها ومن بعيد سمعت صوت أسر يادي...

## قسم...

لقد أحرروا السيدة حوشيار بوحود أسر. دائماً ما يحررونها بوحود الأطفال  
عبر الاعتبديين في أي مكان، وعليها الحصول عليهم وتقييدهم بأي ثمن...  
لم يكن أسر الأول أو لن يكون الأخير حتى تكتمل مجموعة الدمى البشرية التي  
يطمحون إليها..

هناك دمى تخدم أغراضاً سياسية وأخرى تخدم أغراضاً استهلاكية أو ثقافية..  
هناك دمى لكل ناحية من نواحي الحياة التي يقضون على رمامها وأوشكوا  
على امتلاك كل شيء فيها.

لا يعرف أحد أصل نشأتهم، يبحث الباحثون عن أصل جماعة "البائين  
الأحرار" ولا يجدون إلا معلومات حديثة جداً غير علمية أن لتلك الجمعية  
آلاف الأسماء المتغيرة عبر الأزمنة، تتغير كلما انكشف أمرها وتوصل الناس  
إلى كنه أهدافها..

لقد كان الحل الوحيد هو طمس العقول حتى تظل الأسرار أسراراً، والأهداف  
قيد التفتيش..

في أوراق "المحمل الأكبر الوطني لبائين الأحرار القدماء المقبولين في مصر  
وفي الأقطار العربية"، إن الشرة المسوية رقم واحد كت في سنة ٥٩٥٦

وهي هي تقديرهم سنة "الور" وتقع قل ٤٠ قرناً من ولادة المسيح عليه السلام.

أما أول جدساتهم السرية في عصر هيرودوس والي القدس للدولة الرومانية، فقد كانت في مكان بالقدس يدعى "الهيكل" في ١٥-٨-٤٣ م تحت اسم "كوكب الشرق الأعظم". وكان هدفها مقاومة المسيحية؛ لأنها تبشر برؤال هيكل سليمان، وكان من أبرز أصحابها تلك الفكرة القديس بطرس الذي قتل على يد نيرون.

أما أول محفل ماسوني عني فكان عام ١٧١٧، ولا يزال على قيد الحياة حتى اليوم منظمة تكشف عن اسمها ونواياها الرائعة تحت أسماء عدة تتعير مع الزمن. فقد أعلق هنر جميع محافل الشرق الأكبر في ألمانيا لعلمه بعلاقتها باليهودية، إلا أن الماسونية عادت من جديد تحت اسم "نوادي الفرمان الألمان" رغم أنف الجميع..

ومارالت تلوون وتشكل وتخفي تحت ستائر الثقافة والأعمال الخيرية باستعارة أسماء برفافة مثل: الروتاري التي أسسها بول هاريس عام ١٩٠٥ ورئاستها في مدينة ليفرستون الأمريكية، ومنها تشعب الفروع حول العالم. والليونر الذي تأسس في نيويورك عام ١٩٥١ ونقل إلى واشنطن، ويضم ملوكاً ورؤساء دول من كل العالم. ومنظمة باي بيرث التي أسست عام ١٨٣٤ وكل أعضائها تقريباً من النساء اليهوديات. ويقول الماسوني العربي عزيز ميرهم "الماسونية ليست جمعية خيرية، وإنما يقوم الساؤون الأحرار بأعمال خيرية متسعة الطائفة مختلفة الأعراق؛ وذلك للتعطية على الأهداف التي تسعى الصهيونية العالمية إلى تحقيقها".

أما مجموعة المدارس التي ترأسها حوشيار فلها الخواص نفسها؛ فهي متغيرة

الأسماء، براقعة المظهر، تطمح إلى السيطرة على بداية البشر قبل أن يكبروا  
ويصبحوا خطراً على وجود المنظمة ذاتها.

آسر من الأطفال التي تطمح المنظمة إلى صممهم إليها وتحويلهم إلى سلاح  
مشير في وجه البشرية، وإن لم يخصص، سيكون تدميره بدم بارد هو الحل  
الأسهل والأفضل. لن يتركوا من يصيء الطريق ويوقف العقول خدعهم ليديم  
ما بنوه عبر القرون.

تلقت السيدة حوشبار الأوامر بصمم آسر وأمه إليهم، لا يريدون الأم في شيء  
إلا أن تكون غير ذات تأثير على ابنها؛ حتى تكون لهم كل الهيمة عبيه.  
اليوم صارت ربا دمية وفي العد القريب، سيحصلون على آسر

## قَسَمُ..

يقف رمزي في ذل وانكسار على باب الحجرة المظلمة طالباً الدخول..  
يأتيه الصوت من الداخل..

— بعد قليل يفتح الباب..

يفتح الباب ويدخل رمزي الحجرة المظلمة.. حجرة التأمل.. يأخذ مرشد  
بيده.. يده باردة قوية لا يرى منه إلا طلالاً غامضة..

من حوله عظام بشرية متكدة وغمائل نحاسية أكثرها لحيات، ويفعل الظلام  
يكاد يراها تتحرك..

يجرد المرشد رمزي من أي معادن.. ساعته.. نظارته.. يعود كيوم ولدت أمه،  
لكه اليوم يولد هنا.. من رحمهم..

يكشف المرشد عن ذراعه اليمنى وناحية صدره اليسرى وساقه اليمنى..  
يأتيه صوت نحاسي فخيم من مكان من أعلى..

— هل ما زلت مصرّاً على طلب البور الماسوني؟

— نعم.. مصرّاً..

يقولها رغماً عنه.. إن هو إلا يرغب في الفرار، لكن إرادته سلبت من لحظة أن احترقت روحه بتجارب الحياة كدمية..

يضع المرشد قطعة قماشية سوداء على عبيه، وفي عنقه حبلاً، ويخرج من الغرفة إلى باب الهيكل المغلق..

يطرق المرشد الباب فيسأل من بالداحل عن الطريق..  
- طالب فقير في حالة الظلام.. وهو آت ليكتسب النور من هذا المحفل الموقر..

يدخل رمزي فلا يرى شيئاً ويشعر برجلين يقودانه عبر دهاليز معقدة حتى يصل إلى العرش القائم بين عمودين..

يسأله الرئيس المترهب على العرش..

- أنت مقبل على امتحان شديد.. ستقسم بشرفك وذهمتك، وتوقع عداد من دمك.. فهل ما رلت مصرًا.. لك حق الانسحاب قبل القسم..

يومئ رمزي برأسه إيجاباً فيأثونه بكأس، يشرب ما فيها فإذا هو ماء. ويأثونه بكأس أخرى لا يكاد يتذوقها حتى يصفق ما فيها من سائل مرّ كريه..

- حياة الإنسان معرضة لحرارة أيضاً.. عليك أن تقبل لتكون سعيداً.

يقوده المرشد إلى مصعدة أخرى ويعقر يده اليسرى في التراب ويجلسه راكعاً على ركته اليسرى.. بمسكون يده ويصعوبها على كتاب يشعر بنقوش على سطحه الخارحي.. نقوش ألفها جيداً طلة حياته وخصيصاً في شهر رمضان.. الشهر الذي يتذكر فيه أن هناك كتاباً للمسلمين اسمه قرآن.

يحاول أن يرفع يده عن الكتاب في جرع.. لا يريد أن يورط القرآن في شيء كهذا حتى وإن كان هلسة لكه لا يستطيع. يبدو أن الإرادة الحرة وهم

في هذا العالم، وأن إعطاءهم إياه خيار التراجع هو مجرد خيار وهمي كالذي يعطونه للبشر كل يوم..

يحد الكلمات تحتشد على لسانه فلا يدري من أين جاءت..

- أما رمزي جمال صادق، أقسم بين يدي الله، حائق الكون الأعظم، واتعهد بإرادتي واختياري أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الماسونية التي تباح لي الآن أو فيما بعد.. ولا أبوح بها لأحد إلا للأخ الصادق والمحمل العادل التام المنظم بعد الثقة والاختبار أنه أهل للثقة. واتعهد بالأنا أكتب هذه الأسرار أو أطبعها أو أحفرها أو أدل عليها بوجه من الوجوه، وأن أسمع - إن استطعت - من يفعل ذلك، سواء بالحرف، أو الوصف، أو الصور؛ حتى لا يكشف أسرار البائس الأحرار.. واتعهد بأن أتقيد بشرائع محفل الكون الأكبر ومواربه، واتعهد بالطاعة لمحملي هذا.. المستمد من محفل الكون الأكبر الذي أعتره دومًا محفلي الوالدي. وإنني أقسم على هذا قسمًا صريحًا بدون مواربة أو حذاع، وإب حث بقسمي هذا أكون مستحقًا ضرب عني وشل لساني..".

يخلع المرشد العصاة عن عييه ليحد رجالاً حوله على ضوء المشاعل التي أصبحت يشهرون سيوفهم نحو صدره..

- إن هذه السورف للدفاع عنك عند الحاجة، وللمتلك بك إن كنت عهدك.. والحبل الذي في رقبتك هو لحقتك إن بدرت منك أي خيانة.. قبل اللحظات كنت أجيبًا عن هشرتنا، أما الآن فقد أصبحت أحامسونيًا، لك ما لجميع الإخوان وعليك ما عليهم..

ويتحول الحبل في رقبة رمزي إلى حبل دحاني يربطه بقسمه إلى الأبد..

قسم صار يفد بين البشر رغم كونهم لا يذكرون شيئًا عن أي محفل.. يتردد في



ذهن رمزي وهو يحرج لا يدري إلى أين تقوده هلوساته..

"إني أضع كل الروابط التي تربط بيني وبين أي أحد من البشر كالأم والأب والأخوة والأخوات والأقارب والمدرسة والزملاء المحسنين، وكل من خلقت له بالأمانة والعطاء والترمت له بالشكر.."

كانت العين في رأس رمزي تراقب البشر من حوله وتؤكد من كونهم يدخلون في هذا القسم الأخير يوماً بعد يوم لا احترام لأي كبير.. لا اعتراض بأي جميل فقط الفوضى والعبث والرخص هو اسم اللعبة

\*\*\*\*\*

"إن رجال الدين يحاولون السيطرة على أمور الدنيا، وعليها ألا نألوا جهداً للتمسك بحرية العقيدة، وألا نتردد في شح حرب على كافة الأديان؛ لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في الحروب بين البشر عبر التاريخ"

نشرة ماسونية ١٩٢٣

\*\*\*\*\*

"كل اعتقاد ديني هو ضعف في عقل الإنسان، وإنه لم يبق أحد يؤمن بالله، وحنود الممس إلا اللها، والحقى".  
عبد الحليم إلياس الخوري

\*\*\*\*\*

"إن الماسونية دين له خطوط واضحة، ولقد تركت الماسونية لأبنائها أديانهم  
مؤقتاً.."

جان أبو نعوم

\*\*\*\*\*

أعلن المؤتمر الماسوني الكبير عام ١٨٨٩ في ذكرى الثورة الفرنسية أن أهم  
مبادئ الماسونية هي تكوين حكومة لا تؤمن بالله، كما تكرر هذا المبدأ في  
المؤتمر الماسوني العالمي في باريس عام ١٩٠٠ وأقرّوا ضرورة فصل الدين عن  
السياسة، وتكوين جمهورية لا دينة عالمية..

\*\*\*\*\*

من رسالة وجهها حوسبي ماريي رئيس جماعة الورايبين ومعلن الدولة  
الإيطالية في روما إلى مساعده برايد أبشتاين.

"إبنا نكون جمعية من الإحرة المستترين في كل بقاع الكرة الأرضية. ونحن  
برعب في كسر كل الأطواق، نكس ما زال هناك طوق حمي، لا يشعر به أحد  
بالرغم من أنه يشغل بوره علينا. من أين جاء هذا الطوق؟ وأين هو؟ لا أحد  
يعرف، أو على الأقل لا أحد يشير إليه بكلمة.. إن هذه الجمعية "سرية" حتى  
بالسبة إلينا نحن الخبراء بالجمعيات السرية.."

## ..أنت الآن منا..

استيقظت ربا صباحًا في السادسة إلا ربعًا وقد دبّ فيها النشاط وجاءة على غير عاداتها.

جلست في سريرها وقد شعرت أن في عقلها أحداث كثيرة من أحلام ليلة أمس، فحاولت أن تسترجع تلك الأحلام بحاطة بشعور عام بأن هناك شيء مهم فيما حلمت به ليلة أمس..

لقد رأت آسر في مامها ككل ليلة إلا أن هناك ما كان يعيق "الاستقبال" في بداية الأمر لكنها تذكر جيدًا أن آسر طمأنها إلى أن ميعاد عودته قد اقترب.. أحبرها ألا تخاف من أي شيء تراه. لم تعلم رنا ما يقصده الطفل لكنها رأت الكثير بالفعل ولن يثير خوفها شيئًا بعد ذلك..

إلا أن ما لفت نظرها حقًا هو ذلك الحلم الغريب عن رمزي.. رمزي في مكان ما.. محفل ماسوني.. مراسم غامضة يمر بها ويبدو كأنه مجر عليها..

حلم شديد التعقيد، ولا تذكر أنها قرأت عن الماسونية أشياء كالتي رأتها في الحلم.. أشياء تبدو أسرارًا، ومن المظنّي ألا يكتب أحد عنها..

قامت فتوحات وصلت فشعرت بطمأنينة تعمرها وتجاوزاً بالحياة، شعرت بالقوة كي تواجه ما أنباها آسر به، فهي تؤمن أن طفلها ليس كأي طفل، وإن

هناك من يرشده بشكل ما لا تفهمه..

كانت تشعر بمصول تجاه تلك المدرسة التي هي مقبلة على العمل بها، حائرة  
إلا أن أكثر ما شعرت به هو الفصول ورعية في معرفة أكثر على ضوء لغتها  
اللاتينية المبعوثة إلى الحياة.

تأولت إفتاراً سريعاً مما تبقى من عثائها الذي لم تكمله، وارتدت ما يصح  
للارتداء من ملابسها، وعزمت على شراء ملابس جديدة اليوم بما تبقى معها  
من نفود إياس، على أن تعيد النفود إلى إياس مع أول مرتب لها من المدرسة،  
لكنها شعرت بثقوص بسيط في معدتها حين خطر لها أنه ربما لن تكمل عملها  
في المدرسة إذا اتضح الأمر ووحدت أن للمدرسة علاقة مباشرة بالماسوية أو  
بأي تدخلات خارجية.. لن تكون ترث في آلة لتحويل الأطفال إلى تابعين  
أبداء..

سارت في الشارع إلى أن وصلت إلى البوابة القديمة المهجورة المجاورة لها،  
لقد فتحتها لها السيدة خوشيار أمس كي تذهب منها إلى منزلها مباشرة لكنها  
اليوم معلقة.. تابعت ربا سيرها بمحاذاة السور وهي تنظر خلال قضبان  
الحديدية الصدئة.. خطر لها تساؤل عن عدم استعمال المدرسة لذلك الصاء أو  
حتى تنظيفه، لكن حواطرها قطعت حين شعرت بحس يسير بجانبها، نظرت  
فوجدت الطفل العامض يسير ماذاً يده الصغيرة إليها كي تمسك بها كأنها أمه  
ترافقه في أول يوم دراسي له، إلا أن الواقع هو العكس..

مدت يده وامسكت الهواء الذي يمثل يده فشعرت بذلك الملمس الرملي..  
شعرت بعاطفة قرية تجاهه ونمت لو استطاعت أن تحتضنه، لن تستعير به  
عن ابها حتى ولو كان شحاً أو كائناً عامضاً.. شعرت به يقترب منها كي  
لا تضطر إلى مد يدها بعيداً في الهواء للإمسالك يده ولفت الأنظار إليها.

شعرت بجسده الصغير يحتاج إلى حنان قد كُتبت فيها منذ أن رحل أسر. في دهبها ظلت صورة سيدة محجبة قصيرة تمتلك الجسم تمسك بيد الطفل العامض إلا أنه في تلك الصورة كان طفلاً عادياً يرتدي نظارة طبية ملونة صغيرة، ويسير متقافراً بري مدرسي هو ذات الزي الذي يرتديه الطفل العامض الآن إلا أنه كان نظيفاً مهندماً..

وصلت رنا إلى بوابة المدرسة الرئيسية في أقل من ربع ساعة ووقفت أمامها تنظر إلى الشعار الجاثم فوق مدخلها، وتحاول أن تقرأ المكتوب تحته مرة أخرى على ضوء ما تذكرته من اللاتينية إلا أنها فوجئت بشيء عجيب.. لقد احتفت الحروف اللاتينية تمامًا وبدلاً منها وجدت أرقاماً..

عقدت حاجبها في غير فهم ثم نقلت نظرها إلى الطفل الغامض الذي بادلها الطرقات دون تعبير على وجهه.. لقد غيروا الكلمات إذاً أم أنها لا تراها بشكل صحيح؟

استرقت رناً ماراً وسأله عن المكتوب على اللافتة فهز كتفيه في حيرة وأعلن أنها أشياء مكتوبة بالإنجليزية أو الفرنسية. إذن فهي الوحيدة التي ترى الحروف اللاتينية أرقاماً.. هل لهذا صلة بسؤالها عن معنى المكتوب على القدرح الفخاري؟ هل تسبب سؤالها في إثارة خوفهم لذا سحروا عينيها بشكل ما حتى لا تقرأ لاتينتهم مرة أخرى؟

أخرجت وريقة وكتبت فيها الأرقام وهي تحاول الاختباء على الجانب الآخر من الطريق خلف حافلة المدرسة الخالية، وحين انتهت كان قلبها يخفق كقلب طائر الطنان وشعرت بأن شيئاً ما فيها لم يعد كما كان.. شيئاً يتعلق بقطعة عقلها المفاجئة و شيئاً يتعلق بمسؤوليتها تجاه الأطفال على الجانب الآخر من سور المدرسة..

أخذت نفساً عميقاً ثم عبرت الشارع مرة أخرى ودلعت إلى المدرسة، وفور  
دحولها شعرت بحرارة في كفها فظرت إلى الطفل العامض لتجده استحال  
إلى اللون الأحمر الشرير وتعالى صوت أنفاسه المكتومة. تركت كفها فتركها  
دون رد فعل إلا أنه ظل يتبعها..

في الطريق ظلت ربما ترمق الأطفال الصغار في ما قل من الحضارة يلهون  
ويحرون، فيما تحيط الهالات الملوثة بهم معبرة عن الحب أو الغضب أو  
الخوف.. مشهد طبيعي في حياة رنا، إلا أن ما لفت نظرها هو الأطفال في  
سب الإبداعي.. لم تعد لهم هالات خاصة وإنما تجمدت ملامحهم وأصحت  
أقرب إلى الخشب وجوه تشبه وجوه الأطفال الذين قابلتهم في حديقة  
الحيوان..

في جانب المصاء حلت طعنة سمراء حميلة تعرفها ربما جيداً.. رشا. الطفلة  
التي رأتها في مرل رمزي.. كانت الطفلة حزينة تبكي دون دموع مرئية بينما  
تنصاعد الدموع في هالتها الررقاء الرمادية إلى أعلى وحول عنقها يلتف خيط  
دخاني شرير، يحكم الوثاق تارة فترى ملامح الطعنة قد تحولت خشباً، وتارة  
يرخي الوثاق فتعود حزينة ذكية كما كانت..

دخلت رنا الرواق المؤدي إلى حجرة المديرية وهي لا تكف عن تفحص وجوه  
الأطفال حولها في فضول، حتى دخلت الممر وسارت فيه إلى أن وصلت إلى  
المكتب.

طرقت الباب وفتحته لتجد السيدة حوشيار جالسة خلف المكتب تقرأ شيئاً  
ما يغطي وجهها، لكن سرعان ما تركه ونظرت إلى رنا في ترحاب وهي  
تفحصها..

.. أهلاً مدام رنا.. أرحو أن تكوني قد حظيت بنوم جيد ليلة أمس..

ثم فتحت درج مكتبها وأخرجت عصا خشبية ملفوفة بشريط بلاستيكي أسود جميل الشكل وناولتها لرناء..

— أعلم أنك ربما لن تحتاجيها، لكنها جزء من هبة المدرس. إنها مصنوعة في الأصل للإشارة وليس للضرب..

ترددت رنا في قبولها؛ فهي لن تستوعب قط أهمية العصا للمدرس، يمكنه دومًا أن يشير بيده إلى السبورة فهو لن يقدم الشرة الجوية على أية حال. لطالما مثلت العصا لرناء أداة تهديد قمعية، ولن تخرج عن كونها كذلك مهما أعطيت لها من مسميات واستخدامات

— تذكر.. لا تستخدم العربة في الفصل.. لا بد أن يعتادوا سماع الإنجليزية حتى تصبح جزءًا منهم..

تنهدت رنا وأمسكت بالعصا مشعرت وكأن تيارًا كهربائيًا قد سري من العصا إلى كفها وأن العصا قد التصقت بها بشكل ما.. شعرت بقوة وسيطرة لم تشعر بها في حياتها..

تقدمتها السيدة خوشيار إلى الفصل الدراسي الذي هو عبارة عن حديقة صغيرة نصف مستقوفة تطل على السماء الكبير. في الفصل بحري ها وهناك الأطفال الصغار.. تراهم رنا لأول مرة بلا أطياف من أي نوع، بل إنها لا تذكر شيئًا عن الأطياف من الأساس.. يقف الطفل العامض أمامها فلا تراه.. تأمر الأطفال أن يتركوا اللعب الآن وأن يجتمعوا أمامها.. يصطف الأطفال في خوف فتشعر بسيطرة ونشوة لم تشعر بها من قبل.. كل أولئك الأطفال ملك لها.. ملك لهم..

تبسم السيدة خوشيار وتبعد عائدة إلى مكتبها في رضا، بينما تلقي عليهم رنا

تحية الصباح بالذمة الإنجليزية فيرد عليه الجمع بلغته الوليدة متقطعة الأنفاس في  
آن واحد، بينما يتأخر الصبي القمحي ذو الشعر الأكرت الصغير فيرد وحده  
بالإنجليزية صحيحة النطق..

تنتفت رنا إليه وتتفقد..

why didn't you greet me back with your fellows?

ابتسم الطفل وتقدم من رنا رافعاً وجهه الصغير نحوها..

- إيهم لا يصطرون الكلمات بشكل صحيح، واردت أن أريك أنني أحيد  
النطق بشكل أفضل..

-you're not allowed to talk in Arabic in class..

- لكي مصري، وما دمت لا تشرحين درساً ما فيمكننا الحديث بالعربية

ومن عيني الطفل تبدى ذكاء أثار حفيظة رنا.. تقدمت نحوه وشعرت بيديها  
تطلقان على حيرته الهمهمة.. أحكمت قبضتها فترنح الطفل وأمسك برأسه  
الصغير..

-speak in English. NOW..

وهي استسلام تراجع الطفل والصق ظهره بالجدار وهمس..

-yes, miss Rana..

وابتسمت رنا هي ثقة ومن خلفها الطفل العامض يحرك رأسه في حنق بمة  
وبسرة وكأبه لا يحتمل أن يرى ما يراه الآن. مرة أخرى هي عمره الصغير.



## محاولات صغيرة..

كان آسر يجلس وحيداً كماداته.. أخته لي لي ترفض اللعب معه ولا تفك  
تصرخ دون مبرر حتى يختفي من أمامها..

إناس شاردة أو مشعولة تسدد له نظرات مفاجئة كلما اختلى إلى نفسه، يعلم  
أنها تحبه لكنها تحبه بعذر، لن تكون مثل أمه أبداً..

بالأمس حلم بأمه لكنه كان حلمًا مشتتاً.. كان يريد أن يخبرها أنه سيجتمع  
بها قريباً كما أحبه الطفل الأزرق، وأن عليها أن تستعد لمهمة صعبة..

راى في الحلم رمزي بشكل مختلف.. يشعر آسر أن رمزي في مكان ما لكنه  
ليس بخير.. يعلم به كثيراً لكنه لا يستطيع الحديث معه..

كانت اللحظات التي يقضيها آسر بين كتبه هي الأفضل في اليوم.. يحرم مع  
السداد ويركب الطائرة مع تان تان.. تقرأ له نهى بعض الروايات الكبيرة  
التي يح عليها أن تبسطها له كما كانت تفعل أمه إلا أنها لم تَبْدُ مهتمة، فضلاً  
عن كونها غير قادرة على تبسيط ما لا تفهمه هي من الأساس..

كان يشاهد أعلاماً مثل سلسلة هاري بوتر، ويفهم ما تسمح به قدراته في  
ملاحقه الترجمة، إنه يقرأ بشكل جيد كما علمته ربا لكنه لا يستطيع القراءة  
بسرعة، لكنه تأثر كثيراً بالعمه البطولية في تلك القصص، الطفل الذي يقد

العالم .. لم يهمهم بعد رمزية أن يقد طفلة العالم، قد يقد البقاء والبراءة ما لا يقدر على إبقاذه من تلوثوا بأطماع الدنيا وشرورها ..

كان يرسم أيضًا ويصنع المحسمات الخشبية الصغيرة، لم يستطع الكف عن رسم الأطفال كما يراهم، دمي تشبه دمية ينوكير التي أثارت ذعره في أول مرة يراها ..

أدرك بشكل ما أن ما يراه من خيوط دخانية لا يراه غيره وأمه .. يبدو الناس في التلعار والصور بلا قيود .. لقد علم أسر أنه مختلف، وأنه غير مسموح له بإعلان هذا الاختلاف .. لم يصدق أحد إلا أمه.

كان زين مشغولاً معظم الوقت، وحين يتواجد .. يتعامل مع أسر بشيء من التحفظ والوجل، وكان أسر يذكره بشيء لا يحب المرء تذكره، إلا أن أسر قد لاحظ أن زين مزعج بشدة من العداوة غير المررة بين أسر ولي لي .. يبدو عليه أحياناً أنه يعرف سببها. في كثير من الوقت يتبادل أسر و زين نظرات من نوع - أعلم أنك تراه - متجاهلين الحديث بصوت عالٍ عن الطفل العامض.

احتض أسر ركبته، وسالت دمعان حارتان على وجنتيه الحمرتين . يشاق إلى أمه بشدة، يتوق إلى أن تضعه إلى صدرها التحيل الحزن وتمسح به كل محاولة وشجونه. يتوق إلى أن يعب معها، أن يصنع لها الشطائر المرحلة التي تصحبها حتى نحرط في السعال. يشعر بصعفا وحاجتها إليه كما يشعر بصعفه وحاجته إليها ..

يدق حرس الباب فيفتح باب حجرته ليرى من القادم .. إنها المدرسة التي تأتي لتعليم لي لي مبدئ ما قبل المدرسة رغم أن لي لي قد التحقت بالفعل بإحدى المدارس .. وضعة بسيطة تقوم بها أي أم، إلا أنهم ها يستعيرون بالكثير

من الأشخاص للقيام بالقليل من الأعمال. تصرف أصاب بالعدوى حتى محدودى الدخول من الناس.. يرونهم في الأفلام يستأخرون مربية ومدرسة خاصة ومديرة مرل وعاملة نظافة. يشعرهم تقليد الأفلام بالبعد عن واقعهم الكتيب وكأنهم يعيشون بلحيم الخاص..

لاول مرة يرى أسر لي لي وهي تلفي دروسها.. تسير الطمعة الجميلة في فخر حاملة كراسة ومجموعة ألوان مزدانة بآخر إبداعات ديزني للفتيات، تملق كرسي السفرة العالي لتجلس في مواحة المدرسة الضخمة الجسد القصيرة الشعر في طابع رجولي فح.

تفتح لي لي كتبها بينما تمد المدرسة يدها إلى الخيوط الدخاية الصغيرة التي تمت من جسد أخته الصغيرة مؤخرًا والتي تختلف عن الخيوط الأخرى التي كانت تربطها بالتنافز.. أمسكت المدرسة الخيوط وجذبتها بحوها فاهترت هالة لي لي وتحول وجهها إلى الشكل الحسي الكريه الذي يراه أسر عليها لأول مرة..

دون وعي تقريبًا جرى أسر نحو السيدة والطفلة وثفز على كرسي لي لي وأخذ يمزق الخيوط في جحون فبدا لإيلاس والمربية أن الولد قد جن ليحارب الهواء فوق رأس أخته..

أخذت لي لي في المصراع وهي تمسك رأسها، بينما بدت المدرسة أكثر تعقلاً وهي تبحث لأسر عن خيوط كي تسكته فلم تجد.

حملت إيلاس ابتها وأبعدتها عن أسر، بينما حملت بهي أسر من خصره وهو يركل..

- دعوني امزق الخيوط.. هذه السيلة تؤذي لي لي.. تريد خنقها..

أمسكت لي بي رأسها وكفت عن الصراخ، ثم أغمست عيها وأرتحت دون حراك بين يدي أمها..

حرعت إياس وحملتها إلى أقرب أريكة وشرعت تفرص حديها وتادي عليها..

- لي لي.. حيتي.. لي لي.. أفقي.. بهي.. اطلبي الطبيب..

ثم التفت عيها بعيني أسر فأردفت وهي تبعدهما عنه..

- واطلبي زين.. هيا..

تركت نهى أسر وهرعت إلى الهاتف، بينما أخذت المدرسة تجمع حاجياتها في برود لترحل..

تقدم أسر في خوف من أحده التي فقدت لونها الوردي وأمي الجالسة بجانبها تغرقها دموعها..

- طنط إيناس.. لم أقصد..

- ارحل.. الآن.. لا أريد أن أرى وجهك.. ارحل!

مد أسر كفها الصغيرة لمسح حبه لي لي المتعركة فأمسكها إياس بعنف وأبعدتها فكاد أسر أن يسقط..

- ابتعد عنها.. ارحل.. هل أنت أصم؟!

تراجع أسر والدموع تحتشد في مقنتيه.. يتراجع نحو باب حجرته والدموع تسيل لتغرق صدره دون أن يغمض له حفن.. ظل يحرق في أحته وحسب بكاء إياس يحته عني المرید من البكاء..

يدخل حجرته ويظن حوله.. يبحث عن رنا.. يهمن "ماما" من بين شفه

المتورمتين من البكاء.. بمد كفيه إلى متضدة العابه ويسقطهم أرضاً وكأنه يبحث  
عن أمه فيهم.. تدور الحجرة من حوله وصوته ما زال يهمس "ماما" ..

\*\*\*\*\*

كانت رنا تردد بعض الكلمات بالإنجليزية ويردها خلفها الصغار وهم  
يحاولون الربط بينها وبين الصور المعروضة على شاشة البروجيكتور ..

-W... window..

فيردد خلفها الأطفال بلهجتهم المملوطة.. تدور رنا بعينها حتى تصل إلى  
الطفل الأكرت الشعر الحالس يردد معهم في ذكاء..

-Omar.. tell me a word that begins with the letter "O"..

-mmm.. ocean..

-no.. remember what we've said..

-I can't remember, but ocean begins with "O" too..

قطبت رنا وقد أدركت أن هذا طفل مجادل آخر.. إجابته صحيحة فكلمة  
ocean تبدأ بحرف ال O إلا أنهم لم يدرسوها بعد في المدرسة.. الإجابة  
التي تريدها هي orange ولا شيء سواها . تصيح فيه بالإنجليزية..

- أنت تتحدث كثيراً.. احفظ ما أمليه عليك فقط.. هذا ما سيأتي منه  
الامتحان.. لا تشغل عقلك بأشياء خارج الكتاب..

- لكن إجابتي صحيحة.. أمتطع أن....

- اصمت!

وتجذب ربا الحيرط فيصمت الطفل ويتهاوى جالتاً شاردًا..

تفتح ربا فمها لنكمل درسها إلا أنها تسمع صوت أسر واصحًا.. "ماما" ..  
صوته ضعيف متعب ينطق "ماما" كأنها "بابا" . أنه مسرود.. إنه يبكي .  
تسقط العصا من يدها وتمسك رأسها . ترفع عينيها لتجد كفيها محتلثان  
بالخيرط الدحاية المرتبطة بالأطفال هناك . تراهم يعبون ربا القديسة . تراجع  
إلى الحائط وتمسح كفيها في ملابسها . يتصاعد الهرج بين التلاميذ يتساءلون  
ما الذي يحدث..

يتقدم الطفل عمر مها وقد رالت قبوده غمًا كأن لم تكن، ينصن كفيها مشائلاً  
بالعريّة..

- هل أنت بخير؟

تمسك رأس الطفل بين كفيها وتظر إليه، تحتضه وتبكي.. تدخل السيدة  
خوشيار في جزع إلى حجرة الدرس وكأنها توفعت سبب الهرج في  
الفصل..

تنحي وتمسك بالعصا فيسكت الأطفال . تبعد عمر عن رنا في عيب وتمسك  
كف رنا وتقرس فيه العصا..

- مدام رنا.. عصاك.. لا تركيها..

تظر إليها رنا في وحوم ثم ترك الفصل في خطوات سريعة إلى البوابة  
الرئيسية.. أسر يكي كما لم يك من قبل.. سوف تذهب إليه وإن كفيها ذلك  
آحر قطرة هي دمانها..

وقبل أن يصل إلى البوابة الرئيسية كانت السيدة خوشيار قد أمسكت بخيرط

الدمية الخشبية ذات الشعر البني.. تجذب حيوطها كي تستدير عائدة.. تقف  
ربا فجأة وقد نسيت ما الذي أخرجها من الفصل.. تستدير عائدة كدمية  
معلبة.. تنتقط عصاها من فرق المكتب وتقف لتكمل دروسها...

\*\*\*\*\*

حين دخل زين في لهفة إلى شقته كان الطبيب قد فرع من الكشف على لي لي  
ووقف يتحدث مع إياس..

- إياس ماذا حدث؟ ماذا حدث يا دكتور؟

- الطفلة وقعت تحت ضغط عصبي شديد ومفاجئ.. إنها الآن بحير ولا  
أصبح بأي أدوية.. فقط تحدثوا إليها وحاولوا أن تحفموا الضغط عنها..

نقد زين الطبيب ماله ثم سأل عما حدث، حكّت له إياس في عصبية ما  
حدث فوقف يدخن ويفكر..

- وأين آسر؟

- لا أعلم.. ستجده في حجراته حتما.. زين.. اسمع.. هذا الطفل مختل ولن  
أسمع بوجوده بجانب ابنتي وهو على هذه الحالة..

نادى زين على آسر ثلاث مرات فلم يجد إجابة.. فتح باب حجراته ليجد  
الطفل ساقطا على الأرض وسط ألعابه وقد فقد الوعي..

ركع زين على الأرض وهو يغالب ألم مفصل فخذه الذي يبدو أنه لن يشفى  
منه للأبد وأخذ آسر بين ذراعيه..

- آسر.. آسر.. رد علي يا بني..

حمله رين دافعاً بحمده الصغير إيتاس التي وقف تسد الباب وقبضتها  
في خصرها..

- أيا لم أفعل له شيئاً.. ما الذي حدث له..

- سأحاول الدخاق بسيارة الطبيب أو الذهاب إلى أي مستشفى. ابقى هنا  
مع البت.

وحرح من الباب تاركاً إيتاس واقفة لا تدري بما تشعر.. تراها قد قست عليه  
أكثر من اللازم؟ إنه طفل مريض وعقله ليس على ما يرام، من الظلم معاقته  
على ما لا يتحكم فيه.. لكنه قد آذى ابنتها. تعرف أنه لم يفعل شيئاً سوى  
البلويح فوق رأسها، لكن المفاجأة أثارت ذعر الفتاة..

دخلت حجرة لي لي وجسست بجانبها.. لا تزال العظيمة نائمة إلا أن إيتاس لا  
تشعر بأن الأمر تفسيره المفاجأة فقط.. فهذا الطفل يرى أشياء ويتصرف على  
أساس ذلك.. تلك الأشياء تبدو حقيقية ولها تأثير....

- ما هذا الهراء... ما الذي أفكر فيه؟!

واندست مع ابنتها تحت الأغطية لكنها لم تم..

\*\*\*\*\*

جلس رين بجانب أبيه في طوارئ إحدى المستشفيات الخاصة بعد أن غادر  
الطبيب مطمئناً إياه على صحة الطفل.. صمط عصبي رائد جعل رين يبدو  
كمن ارتكب جريمة أمام نظرات الطبيب له وهو يتساءل عن كنه الصمط  
العسي الذي يمكن أن يكون قد وقع على كاهل طفل بهذه السن...!!



أحد رين يداعب شعر أسر العزيز الملتصق بالعرق فوق جبينه وهو يفكر في ما حدث كده. ترى هل تستاهل خلافاته الأولية مع ربا العت بصحة ومستقبل طفل بريء كهذا؟ لن نجبه إبناس كما تحب لي لي مهما فعل ومهما فعلت هي، غريرتها ستكون أقوى، ولن تحب امرأة أسر قدر أمه..

استرحم مشاجراته مع رنا. إهمالها له وكأنه كان طيلة الأعوام السنة التي عاشها معاً مجرد ذكر نحل مهمته تلقيح الملكة، ثم الموت له من بعد ذلك. لكنه ظل يحمل لها مشاعر ما حتى بعد انفصالهما وهربها بأسر. كان يشفق عليها ويحاول أن يعطيها حياة كريمة حتى وإن لم تعد له كروحة، لكن علاقتها الآتية الأخيرة قد أنهت كل شيء.. لم تعد حتى مؤمنة على حياة أسر، لم تعد تستحقه..

كان أسر يحرك شفثيه ويهمس "ماما" ويبدو كأنه يحدثها.. ثم رقى قلب رين مع كل كلمة غمر واضحه يتهوّر بها أسر في نومه إلى أمه.. صممه إليه وقد توقفت عبرتان في ركبي عينيه.. لم يلبّ زين إلا في أحوال نادرة، لكنه دومًا لا يسمح لدموعه أن تتعدى خط أهدابه..

من حلف عيسى أسر المعصتين، أخذت قزحينا أسر تشحر كان في سرعة كشان من يحلم، إلا أنه لن يستيقظ إلا عندما ترول عنه الصدمة ويبدأ عقله في التأقلم مع الواقع من جديد..

## ابيض و أسود..

رأى أسر نفسه لأول مرة في ساحة واسعة صافية يكو أرضيتها رحام بارد  
بلونين أسود و ابيض كأنه يتف على رقعة شطرنج عملاقة..  
في منتصف الساحة - إن كان لشيء بهذا الاتساع منتصف - رأى رمزي..  
متدثراً بغطاء قماشى أسود، حالاً الفرفصاء ورأسه بين ركبتيه.. يبدو أنه  
يكى من اهتزاز كفيه..

اقترب أسر من رمزي ووضع كفه الصغيرة على ظهره..  
- عمي رمزي.. ما بك؟

انتفضت رمزي ورفع عيين حمراوين مدهشتين إلى أسر..  
- أسر؟ ما الذي جاء بك هنا؟ هل.. هل أنت بحير؟ أعني.. هل أنت عني قبل  
الحياة يا صغيري؟

- نعم.. أنا فقط نائم.. لكنها المرة الأولى التي أحلم بك فيها بهذا الوضوح..  
أهن تحن؟

- ليتني أمتلك إجابة ما.. لقد.. لقد أصابني شيء ما يوم أن رأيتني لأخر مرة،  
لا أذكر ماذا حدث بعد أن ذهبت إلى والدتك في المنزل لأخبرها ب.....

## لن تصدقي!

رمزي الآن مرهق تتدلى خصلات شعره المكوي على أذنيه، المنزل حالٍ إلا من بعض أصدقاء له يحتملون على الطريقة العربية. لقد بلغ رمزي وأدرك أن هناك ما يهم في نصف جسده السفلي. لا يوجد من يستقي من المعلومات إلا هؤلاء الأصدقاء والشجرة بالطبع. أمه على موعد مع أحد الرجال ((الأصدقاء؟)) ويبدو أنها تختار تحارب خاصة بها. أمه ليست منحرفة، معظم نساء زمنه بهذا الشكل.

الصوت العالي لأغنية عربية ذات لحن عربي ممسوخ وأصوات نتهيم الحروف انتهامًا تهز أحشاءه وهو يسير بين كوم اللحم الذي يتكون من رميات له في المدرسة قرون خوص تجاربهم الخاصة مبكرًا..

أصدقاء له يمارسون الجنس في الفصول الحالية، آخرون في السيارات.. هو من نوع غريب قد سيطر على ذلك الحيل وصارت "المصاحبة" من الأشياء الهامة فعلاً..

يشعر رمزي أنه في عالم آخر، عالم لم يره في حياته السابقة - التي لا يذكرها - إلا في الأفلام العربية.. انشلت تلك الأفكار المنحرفة تدريجيًا إلى الأفلام المصرية منذ تسعينيات القرن السابق، ثم قفزت من الشاشة إلى الحياة ككرة سلة في يد لاعب محترف.

كفت السيماء عن تفيد الراقع مد رمس و صار الواقع هو من يحاكي السيماء.  
يحيون الآن حياة رسمت لهم مسبقاً ووضعنا لهم فيها الأدوار الثانوية  
يتفقد رمري أجساد العنيمات ولبادات الأبرثة، كلهم يعرف كيف يهرب  
مفاتنهن والشكر للإنترنت..

يظهر نحو آخر الرواق ونحفص الموسيقى في أدبه تدريجياً. فتاة أكرم  
من يصنع سوات ترتدي الأحمر وتقف مرتكئة بكثنا يديها على عمودين  
رحامين ومن تحتها الأرضية التي يحسب فيها اللون الأسود والأبيض في  
مربعات تحبه الشطرنج..

يتقدم من الفتاة وقد همست له عريته. يجب عليه أن يفعل.

يكشف على يديها ما لم يكتشفه أحداً من عشرات السوات من الرواق،  
لا يعلم أنها هي فقط من يستطيع مسح كل هذا، وحين تنهي من مهمتها،  
لن يعرف رمري الراحة مع أي فتاة عادية. سيرف العشرات لكنهم جميعاً  
ليس بمثالية الفتاة ذات الثوب الأحمر والخيرط الدخانية الهفهاة التي قبده  
بها إليها.

المحركون العظام هم فقط من يمكنهم تلك النساء "الحلم" .. يعرفون كيف  
يدمرون بها قاعة الرجال، ويشعرون بها يحثهم عن غير الموجود.

تسهر النساء أمام تلك الإثبات المستحتملات المصروعت بما يشعر به الفرد أمام  
البشري.. تشابه في معظم الحب، إلا أنهم لا يملكون - ولن يمكن - ما  
يجعلهم في مساواة معهن تباين النساء من أن يجدن من يقع بما يملكن فيلقين  
به إلى من يطلب، فقط ليحسرن أنهم ما لن يثابروا بشكل ما..

العلاقات المحرمة تفضي ولا يعلم أحد عن أساليب الحقيقة شيئاً، يرونها  
نوعاً من التحرر والسيطرة على الحسد كما يتوهم مهورسو الوشوم امتلاك

أجسادهم بتلك الطريقة..

وحين عمل رمزي من الفتيات العاديات، يمسك هاتفه ويتصل بالرقم أرقام ظهرت "للدردشة" على قنوات فضائية غير معلومة المصدر في أوائل هذا القرن، وعلى الجانب الآخر من الخط تجد أكبر تشكيلة من العاديات المصروعات بالضغط كي يأسس حيال الشباب. انتشرت تلك القنوات، وصار الإعلان عنها في بعض المحلات شيئاً مشروعاً، يتصل رمزي ولا يسمع أي صوت من الجماعة.. فقط صمت وأصوات صحكات خليعة بعيدة جداً، ثم ترد عليه نثارة ذات صوت شيق مبجوح قليلاً.. تماماً كما يحب.. ترتدي فستاناً عارياً أحمر اللون إلا أنها لا تمتلك وجهها على الإطلاق.. فقط فم مشقوق عرضياً تبعث منه الخيوط الدخانية الشفافة لتعبر المسافات وتقيده ضمن آلاف القيود التي لا يراها أحد..

\*\*\*\*\*

ضغطت رنا على زر الاستقبال وقلبها محشور في عنقها مسيئاً لها عسراً في النفس..

— ألو... رمزي؟

لم يأتها صوت رمزي، بل صوت سيدة وفور لم تسمعه من قبل..

— الأستاذة رنا؟ اسمك يظهر على الشاشة.. لقد وجدت هذا الهاتف أمام مكان عملي ولم يتصل به أحد إلا أنت.. هل تعرفين صاحب الهاتف كي تعيده له؟

— أعرفه.. لكن.. حساً.. يمكنكني أن آخذ الهاتف وأبحث عنه كي أعطيه له..

- تبحتني عه؟!

- اعني اسي لا أعرف عنوانه تحديداً، لكن بمكسي الوصول إليه..

- جميل أين بمكسي أن أقابلك ومتى؟

لم تستشعر رنا الراحة الواضحة في صوت السيدة عندما أحبرتها أنها لا تعرف مكان رمري، إلا أن السيدة أحبرتها بمكان عملها وهي مدرسة قريبة جداً من منزل رنا، فاتفقت المرأتان على أن تتقابلا بعد نصف ساعة.

نزلت رنا في أقرب مكان للعنوان الذي أعطته إياها السيدة ثم سألت عن عنوان المدرسة فدلتها عبيد أحمد المارة، وبالرغم من قرب المدرسة من منزل رنا إلا أنها لم تسمع قط عن وجود مدرسة هناك.

أمام بوابة المدرسة الحديدية التي يعلوها نقش ممق لحصان ومثث وحروف غير واضحة، وقفت سيدة شديدة الأناقة رمادية الشعر مشدودة البشرة بشكل صناعي مبالع فيه، وفي يدها كت تحمل هاتف رمري بشكل واضح.. للمرة الثانية اليوم تشعر رنا بالتصاؤل أمام تلك الأناقة والهيبة فجعلت تعدل حجابها وتعلق زر السترة التي ترتديها ثم تفتحها مرة أخرى في محاولات فاشدة لفعل شيء ما حيال "البهذلة" التي تشعر بها..

تقدمت رنا من السيدة ونظرت إليها فعرفت السيدة على الفور أنها هي رنا، فمدت يداً مزدانة بطلاء، أضافر على الطريقة العربية وسلمت على رنا بيد قوية..

- أهلاً آنسة رنا..

شعرت رنا بسعادة خفيفة في روحها، هناك من لا يزال يطلبها آنسة ها

- مدام.. أهلاً بك..

— مدام؟ تدين صغيرة! هل لك أولاد إذن؟

وتبدلت السعادة الحميمة إلى شوكة في حلق رنا وذلك الشعور الحزين القلق يسري في عمودها العفري..

— نعم.. آسر..

— جميل.. هل يذهب للمدرسة أم لا يزال صغيراً؟

— صغير.. بعض الشيء.. أحاف عليه من المدارس في تلك السن الصغيرة..  
اهتمت السيدة في تفهم وهي تناول رنا الهاتف.

— تفضلي الهاتف.. لكن اتعلمين؟ لديك حق.. المدارس لم تعد بالأمن  
والانضباط الذي كان.. قلة هي المدارس التي تثقن فيها وتأتمنها على  
أولادك..

هزت رنا رأسها وأخذت تحديق في هاتف رمزي..

— لن تصدقي.. أنا مديرة المدرسة التي تثقن أمامها الآن . وأصر على أن  
أكمل كلامنا في مكبي..

رفعت رنا حاجبيها وقل أن تطلق بشيء وضعت السيدة كفها على كتف رنا  
برشافة واقتادتها إلى مدخل المدرسة الممحق الظيف..

\*\*\*\*\*

لم تكن الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف حين اجتازت رنا الممر الماخر  
المؤدي إلى مكب السيدة خورشيار مديرة المدرسة..

كانت رنا تسمع ضوضاء أطفال منتظمة تأتيها خافقة عبر جدران الممر المكسو

بورق الخائط الأبق واللوحات التي تبدو كأنها أصلية لكن من ذا الذي يصنع لوحات أصلية في مصر بمدرسة؟

كان الصوت مستعراً، لا يقترب أو يتعد، وكأنه يصدر من اعداد دونه. طراً عني دهن رنا أن الأصوات تبدو وكأنها تنكرر بشكل ما سمعت ذات لفضحكة أو الصبحة مرتين على الأقل في طريقها إلى المكتب وكأنها أصوات مسجلة يعاد تشغيلها إلى الأبد..

كان المكتب صغيراً يحمل طابعاً حبيئاً قديماً تتراحم فيه كل من الأثاث الخشبي الفاخر مع مستنعات أليفة ذهبية ومدارش من الدانتيل كأنها انتقلت إلى عصر من العصور الوسطى فجأة، لكن ما كسر ذلك الشعور هو جهاز الكمبيوتر شديد التطور الذي يعتلي المكتب انصهم، وكذلك لتكيف الأبق..

حدثت السيدة حوشيار إلى مكتبها وأشارت إلى رنا كي تحبس.. ضغطت السيدة حوشيار زراً على المكتب فاطلق أهر قصير سرعان ما انفتح الباب على إثره وأطل منه ساع أبيض الشعر حمسبي..

— اسمحي لي أن أطلب لك مشروبي الخاص.. السحلب التركي! لن تصدقي.. لا أشرب سواه طوال اليوم، ولم أجد أروع منه بديلاً.. إنه ليس كأي سحلب شربته في حياتك..

أدرك الساعي الطلب فخرج بحضره دون تعيق، ولم يفته أن يرمق رنا بظفرة طويلة لا تعبر فيها..

— ترين يا مدام رنا أن المدرسة على مستوى عال جداً، ويشرفنا بالطبع استقبال أهلك في أي وقت.. للمدرسة عدة فروع داخل مصر وخارجها أيضاً، وبممكن أن أجد لك فرعاً قريباً من مزلك.. أين تسكنين؟



- في الحقيقة هذا هو أقرب فرع بالفعل.. بيتي على بعد ثلاث شوارع من  
ها..

رفعت السيدة خوشيار حاجيها في دهشة مصطعة وحظر لربما أن السيدة  
تعلم أين تسكن تحديدًا لكن رنا وجدته حاضراً مخيفاً؛ فمن أين للسيدة أن  
تعرفها؟ ولم تظاهر بالعكس؟

ومن الأفكار التي دفعت الخاطر السابق جانباً هو إحساس بأن السيدة تورط  
رنا في أن تلحق ابها بالمدرسة، وهي مدرسة كما تبدو باهظة المصاريف،  
وبالتأكيد يبدو على رنا ضيق ذات اليد.. لم تعلم لم اعتبرتها السيدة الأنيقة  
صبيداً!!

- قولي لي يا مدام رنا.. هل تعلمين؟

- في الواقع لا أعمل حالياً.. لكنني في مرحلة البحث عن عمل؛ فأنا مطلقة  
وأحتاج لأن أعمل بالطبع..

أضافت رنا حملتها الأخيرة كي تعلق على السيدة باب الحديث في إلحاق  
آسر بالمدرسة، في الواقع هي قد سدت الطريق على نفسها وعلى أحلامها بأن  
تلحق الطفل بمدرسة بهذا الرقي فضلاً عن كونها قريبة من منزلها.. لن تسمح  
لنفسها بالمريد من الأحلام البعيدة.. لن تسمح لفكرة ترك آسر لأبيه كي يحيا  
حياة أفضل تتسلل إلى عقلها..

- لن تصدقي.. يبدو أنك سوف تتوقفين عن البحث الآن! نحن نبحث عن  
مدرسات بلا خبرة كي يتدربن هنا للتدريس في مرحلة الحضاية.. ما هي  
مؤهلاتك؟ هل يجيدن الإنجليزية؟

لن تكف المرأة عن ترديد عبارة "لن تصدقي" تلك، إلا أن رنا بالفعل لم تصدق

ما سمعته أديها، بدا لها العرض كأنها قد تم تعصيده عندها هي تحديدًا . لم تتوقع أن يحالفها الحظ بعد أن تحلى عنها جميع الحفباء.

- بالطبع أحميد الإنجليز، أما خريجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، كما أنني أعشق الأطفال بشدة..

- جميل

جاء السحلب في قدح فخاري أسود يحمل نقوشًا ذهبية وكلمات باللغة اللاتينية . تعرف ربا القليل منها بحكم دراستها، إلا أن الكثير قد تسحر من القليل التي كانت تعرفه فصار ما تراه على الكوب علامة لا تفهم منه إلا الضمائر وحروف الجر..

"أنت... م... وصرت... المهديس..."  
ذلك ما فهمته من المكتوب، ولم تجد بين الكلمات رابطًا ما فصلاً عن أن الحمل لا تدوم من الحمل التي تكتب على الأقداح الخرفية .

رشفت رشعة من المشروب الساخن فلم تستطع إلا أن تصب الباقي صًا في معدتها، بانفعال لم يكن كأي سحلب سمعت عنه من قبل.. أخذت تمضغ ما تبقى في فمها من أشياء بدت لها طعمها مثل المستق..

دارت بعينها في المكتب وتوقفت مرة أخرى عند شعار المدرسة الذي لم تفهم الأم يرمز حتى الآن، من شتة أحدث تحاول قراءة تلك الكلمات..

"من... إلى شمس ....."

من الوصح أنها شعار منمائل ما بحثت عنى فصل العنم الذي هو كعصر الشمس عنى سائر المحفوظات أو ما شبه... وعلى المكتب وجدت اللافتة الصغيرة باللغة الإنجليزية تحمل اسم السيدة المائلة أمامها..

— مدام كوشيار..

رفعت السيدة عينيها عن شاشة الكمبيوتر الذي كانت تكتب عليه شيئاً ما  
وابتسمت مصححة..

- حوشيار.. لديّ اصول تركية..

— آه.. آسفة.. مدام حوشيار.. لم تستخدمون اللاتينية في كتابات كثيرة هه؟  
وأشارت بعينها إلى القدح. قطبت السيدة حوشيار وتصلّبت أمامها على  
لوحة المفاتيح..

— هل تعرفين اللاتينية؟

— درستها لكسي نسينها حتى إنني لا أفهم ما هو مكتوب هه، لكنني مارلت  
أميزها..

بدا على وجه السيدة حوشيار بعض من الراحة، وتراجعت بكرسيها لتفتح  
درجاً جانبيّاً..

— حساً يا مدام رنا.. the sooner the better.. كما يقولون.. يمكنك  
البدء في التسريب غداً إن أردت، لكن اسمحي لي..

وقامت السيدة حوشيار حاملة نصلاً فضياً مردوح الطرفين ولعانة من خيوط  
الكتان..

— في مدرستنا يأخذ عية من دم من يعملون معنا للتأكد من خلوّهم من  
الأمراض المعدية، نفعل الشيء نفسه مع أولياء الأمور والطلبة..

وتقف السيدة حوشيار توجه عينيها اللتين يتراوح لون قرحتيهما بين الأزرق  
والرمادي الشفاف إلى عيني رنا البنيتين..

- إجراء مهم، وبسيط.. حتى أنني أقوم به يومي.

ومدّت يدها فقط لتدرك رنا أنها لا تستطيع التحكم في أطرافها، فقد طارت يدها لتتهبط في كف السيدة دون تفكير.

بعد أن أخذت السيدة عينتها شعرت رنا بأن هناك فجوة ما في ذاكرتها.. كل ما تذكره هو أن السيدة خريشار لها أصول تركية

- لن تصدقني المعاجاة التي تنتظرك.. تعالي..

واصطحبت السيدة رنا في عمر آخر قصير، وفتحت باباً في آخره يطل على حديقة خلفية صغيرة جداً..

خطت رنا إلى داخل الحديقة، وما إن دارت بعينها ناحية اليمين حتى انبأها شعور

بالسعادة والدهشة وفقدان الإحساس بالمكان والاتجاهات..

بحسبة صغيرة، هي قد دخلت المدرسة ومشيت حوالي عشرة أمتار إلى مدخل مبناها الرئيس، ومشيت حوالي ستة أمتار حتى وصلت إلى المكتب ومن المكتب إلى الباب الذي يؤدي إلى الحديقة حوالي ثلاثة أمتار ونصف.. كيف إذن اختارت ثلاثة شوارع كبيرة في حوالي عشرين متراً لتجد أمامها منزلها يادلها في قدم وبؤس الطرقات عبر السياج الحديدي للحديقة المهمة التي تنتشر فيها الدعائر المكرمة القديمة كروزوس الكرنب؟

## قيود جديدة..

وقف أسر ثابراً ركبته فوق الأريكة الصغيرة أسفل نافذة حجرة بومه وأمسك الستائر الشفافة البيضاء بيديه، وأحد يظفر إلى الشارع الكبير شبه الخالي في هذا الوقت..

كان يتذكر الشارع الضيق بالإسكندرية، وأصوات الرجال على المقهى اقريب، وريثة رمضان الأبدية الممتدة كأواصر المحبة بين البيوت القديمة. تذكر سريرته والأشعة البيضاء التي استحالت لوناً أبيض مصفراً بفعل الغسيل، والصندوق الورقي المقوى الصغير الذي يحتفظ فيه بكراته الملونة ومكعباته..

كان يكره تلك المباني الحديثة الشاهقة من حوله، يكره المدن الجديدة ذات المارل الصغيرة المشابهة لمازل الأقلام الأمريكية التي أجبرت سكانها - بشكل ما - على التصرف كأجانب..

عمه أس كان يسكن في إحدى تلك المدن، مرله واسع قليل الأثاث من طراز رآه كثيراً في أعلام أجنبية حتى إنه إذا ازداد عدد الأفراد الموجودين به عن ستة، وجدوا مشكلة في إيجاد قطع أثاث قابلة للجلوس..

أبنة عمه علا لديها صديق حميم، تظهر الازدواجية في تفكير عمه أس حين

يرى الفتى مع ابته ويضطر إلى أن يند السخرة في عروقه كي يتركها تعيش  
التجربة..

لم يكن أسر يفهم كل هذا، لكن فطرته كانت تشعر بشيء غريب يشل إلى  
مخمعه الصغير، يشعر باغتراب وكأنه يشاهد من حوله فيدما اجنى من الذي  
يشاهده مع بهي المربية، ولا يحبه كثيرا..

كان أسر طفلاً وحيداً مقترناً في سن مبكرة، يكره أن ينظر من النافذة في أي  
وقت يتواجد فيه مارة في الشارع، فقد كان يرى تلك الخيوط التي تربطهم إلى  
اللاشيء وتلك النظرة الراجعة على الأوجه. كان يذكر أن عدد "المربوطين"  
لم يكن بهذه الكثرة العام الماضي.. لم يكن حتى بهذه الكثرة الشهر الماضي..  
إنهم يتكاثرون بحتالية هندسية، إلا أن أسر لم يجد الوصف المناسب له في  
حصيلة اللعوبة الصغيرة..

الليلة كان يشعر بشعور مختلف تماماً.. حطر محقق لكنه لا يعلم مصدره. بعد  
ظهر اليوم شعر بشيء صغير رقيق ينزع من روحه، شعر بحزن عميق فأغمض  
عينيه وهكر في أمه.. يشعر بالمسافة البيضاء التي كان يراها في عقله تمتد بيه  
وبينها تسع وتفقد نفاذها.. عندما حاول الاتصال عقلياً بأمه شعر بسد هالك  
ويثقل يرهق روحه، كان حوائط الحجرة تطبق عليه، ولم يشعر بوجود ربا..  
خرج من حجرته وسار أمام إياس.. تباطأ أمامها لعلها تسأله عما يريد، لكنها  
لم تفعل.. كانت شاردة في عالمها الخاص وهي تدحن.. لم يكن يعرف ذلك  
عنها..

عاد ووقف في نافذته وظل يرمق الطريق.. شعر ببرودة تأتي من خلفه فتنظر إلى  
الوراء ليجد الطفل العامض يصعد إلى الأريكة ويحاكي جلسته، ينظر بعين  
يضائون إلى الشارع ثم يمد يده ويمسك بكف أسر..

يشعر أسر بما يريد الطفل قوله.. لقد اقترب الوقت ولنسوف يعود لأمه قريباً،  
لكن تلت اللحمة لم تطفئه على أمه.. لم يعرف ما الذي يحدث..  
ظل الطفلان يرمقان الشارع حتى غشي أسر لعاس أمام على الأريكة مكانه،  
بما برل الطفل العنصر إلى الأرض ومشى عابراً الباب استقر محتباً  
مواقف..

\*\*\*\*\*

حرجت رما من الحمام المنيء بالبحار وقد شعرت أنها ولدت من جديد،  
شعوراً بالطماينة غمرها وقد نالت وظيفة لا تحلم بها بحرتب حياي يبيع لها  
أن تؤمن حياة ونعيمًا مختاراً لاسها، فضلاً عن كونه سيقطل بحانها في المدرسة  
بمسها.

ناولت عشاء مرتعلاً بسيطاً فقد شبع من السعادة. جلست على السرير  
ومارال شعرها مملوفاً بالمشفة تفوح منه رائحة الشامبو الذي اشترت عبوة  
به في طريق عودتها القصر على سبل الترف والاحتفال..

جلست على السرير وأراحت رأسها على الوسادة وأغمضت عينيها. شعرت  
بحرارة في مقشها وكأها بواذر النهاب في عينيها، وسرعان ما انتشر هذا  
الشعور وعلف رأسها بالكامل فاعتدلت حالسة وأمسكت برأسها، بالعمل  
كانت درجة حرارتها عالية بشكل واضح، ولكن.. أي حمى تظهر في  
غضون دقائق هكذا؟

أرالت المشفة المحيطة بشعرها وحملت تهرش مروة رأسها، إحساس بالتحيل  
مع ارتفاع درجة حرارتها بدأ يعرف ما تحت جلدة رأسها

قامت إلى الحمام الدافئ، وفتحت صرور المياه الباردة وعسلت وجهها، ثم أحست بالشعور ذاته حول مرفقيها فطفقت تعسلهما، ثم نظرت إلى المرأة المعطاة بالبخار فوق الخوص والدي بدا البخار على سطحها يستحيل ماء يسيل في خطوط إلى أسفل. بدت لها خطوط بخار الماء المتجمعة على السطح كأنها خطوط شفاقة تخرج من رأسها، فقطبت ومسحت المرأة يدها المبتلة في مِرْعَة وكأنها تطرد حاطرًا سيئًا..

لم يكن انعكاسها في المرأة إلا انعكاسًا لوجهها المدعور، ولا أثر لشيء غير معتاد هناك..

جفت وجهها وشرعت في الخروج من الحمام ووجهها ما زال مدعورًا في المشقة إلا أنها شعرت بملمس بارد على ساقيها يمتد إلى أعلى فتخذيها مع إحساس بشيء خشن حولهما كأنها رمال مبتلة رفعت المشقة عن وجهها لتجد الطفل العامض يقف منتصبًا بها بل إنها غائصة فيه بشكل ما. تراجعت في ذعر فهي لم تتوقع رؤيته أو وجوده ها. لقد تصورت أن وجوده يرتبط فقط بوجود أسر، ولربما ما حدث أحيانًا أثناء وجوده آخر مرة كان كافيًا كي يغتفي للأبد..

تراجع الطفل للخلف في هدوء وجلس في ركن المحرمة مبتسمًا وكأنه يتوقع منها استعراضًا ما..

— ماذا تريد؟

لم يرد الطفل لكنه ظل يرمقها بجالسًا وذراعاها ملتفتان حول ركبتيه في استمتاع..

تسللت رفا إلى الفراش وعيناها لا تزالان معلقتين به. جلست هناك وظلت



تبادلته النظرات لعشر دقائق، بعدها بدأت تشعر بارتفاع درجة حرارتها مرة أخرى مع شعور حارق حول معصمها وقدميها

شعور مصاحب آحر هو ما أثار ذعرها أكثر من أي شيء، شعور برغبة قوية في قتل أمر أو الخلاص منه بأي شكل . أخذت تحك جسدها كمدمني الهيروين وتسد نظرات حائرة بحسوبة إلى الطفل العائم هناك.

مارال الطفل العائم جالسًا مكانه ينظر إليها في حكمة من يعرف ما يحدث جيدًا . ولم تشعر ربا بتعسها إلا وهي ترحف على يديها وركبتيها نحو الطفل الذي بدا وكأنه يتوهج بدون فضي . مدت يديها إليه فاصدة عنقه إلا أنه رفع كفه في هدوء ووضعته على حبتها فتجمدت في مكانها.. وهي ذهبا توالت صور لم ترها من قبل..



عندما كانت المدرسة تغلق أبوابها ويرحل آخر طالب ومدرس فيها، كانت السيدة خوشيار تتأكد من إطفاء الأنوار وإغلاق الأبواب بنفسها قبل أن تتوجه إلى غرفة في الطابق الأخير من المني ..

تقرب من الحائط في هدوء فتبدي باب خشبي عملاق مزخرف، على كل صلعة من صلعتيه نصف شكل هرمي متوش ونصف حصان مجع مقيد..

يفتح الباب عن قاعة عملاقة ذات أرضية باللونين الأبيض والأسود مع عامودين رحامين في صدر القاعة الحالية، بينهما صندوق خشبي ضخم يحيط حافة النقاء الصندوق بعضائه حروف لاتينية نحاسية مزخرفة بشدة.

تقف السيدة خوشيار أمام الصندوق وتخرج الحيط الكناية المشرحة

بقطرات دماء رنا. تصع الخيوط أرضاً فتلوى الخيوط وتفرّد إلى أعلى كأنها  
حيات دحاية فضية تراقص في الهراء  
تجثو على ركة واحدة وتفرع الأرضية صرعات مع ترانيم تطلقها من  
حجرتها كأنها أصوات عدة أشخاص محميين..  
من الأرضية تتجسد دمية خشبية صغيرة مائتة على ظهرها.. تسبل الخيوط  
الدحانية إلى أطرافها ورأسها كأنها ديدان رفيعة شريفة..  
تهتر الدمية كأنما هي في نوبة صرعية، ويتصاعد منها دحان حميف كأنها  
تحترق.. تدمع الخيوط في الأدخنة وتتصاعد إلى الشكل الهرمي الدخاني  
المتجلى فوق رأس السيدة حوشيار.. يتحد به الجسد الخشبي الصغير ويضيء..  
تتحرك رأسه إلى اليسار ويفتح عيبه النين، ويتسم..  
\*\*\*\*\*

"أنت الآن واحد ما، وصرت مشبنة معلقة بيد المهندس الأعظم"  
الآن فقط تذكرت رنا معنى ما كان مكتوباً على القدرح الفخاري.. تذكرت  
اللاتينية التي اندثرت في عقلها كما اندثرت آلاف المعلومات عبر سنوات  
عمرها بفعل فاعل..  
تذكر رنا الفصول النقدية التي كانوا يسمونها "تعليم" والتي تعدوا ملء  
دهبها عبر ستة عشر عاماً بهراء بدعوى "التعليم" المزعوم.. لا تسأل.. لا  
تفكر.. فقط احتفظ واحتفظ بكم حرافى من المعلومات السطحية لتسكبها  
على أوراق الامتحان وبمكك بعدها نسيانها إلى الأبد..  
٢٣١

لن تذكر ربا أبداً عدد سكان سبيريا في السبعيات لأن ذلك لم يعنها في شيء طيلة حياتها، ولن تذكر تفاعل ورقة عباد الشمس مع الأحماض والقلويات لأنها لم تر ذلك التفاعل أبداً ولا تعلم ما هي ورقة عباد الشمس، كل ما اهتم به المدرسون وقتها هي أن تحفظ وتحفظ حتى يحكيها النباهي يشهادتها المعلقة في الصالون أمام العريس القادم..

ثم إبعاء الصف السادس الابتدائي ثم أعادوه قسموا الثانوية العامة إلى عامين ثم أعادوها تحولت الدراسة إلى ألم مرمس في أسان أولياء الأمور والطلبة وتدريباً تحول الطلبة إلى الدراسة في المارل عن طريق مدرسين خاصين بعد إلقاء الدراسة بقرار غير رسمي عدة سنوات متوالية لأسباب عدة؛ ابتداء بوباء أنفلونزا الطيور تلتهأ أنفلونزا الخنازير، مروراً بثورة يناير، وصولاً إلى حالة عدم الاستقرار الأمني المزمعة..

تذكرت ربا قطيع التلاميذ يمشون الشيد الوطني المصري بلا انشاء حقيقي، بلا فهم لكلمات الشيد التي لم يتكلم أحدهم على الأطفال بشرحها.. ارتبط الشيد الوطني بطاير الصباح وصياح المدرسين، وانتظار ثماني حصص متوالية من العذاب المتواصل دون أي ترفيه من الصعب أن يشعر المصري بصحر أو تأثير عند سماع الشيد الوطني بعد كل تلك السنوات من الارتباط الشرطي بين سماع الشيد وعذاب الدراسة

سقطت ربا أرضاً بعد لمسة الطفل العامص وهي دهشها ظهرت فجأة أفكار مخلطة عن مرحلة طفولتها ودراستها، كما طمت على السطح لغتها اللاتينية المغفودة..

Qui nunc nobis suspensa autem artifex maximus erit

"أنت الآن واحد منا، وصرت مشينة معيقة بيد للمهندس الأعظم"

"من يظل النظر إلى شمس المعرفة تحترق روحه"

أي كلام هذا؟ وكيف يكون شعار المدرسة دعوة للجهل؟ وأي مهندس أعظم؟

أمسكت رنا بوجهها وكأنه سيقط إن لم تفعل، وترنحت الخطرات الثلاث التي تفصلها عن سريرها. جلست هاك وهي تنظر من بين أصابع كفيها إلى الطفل الجالس في ركن الحجرة..

لقد رأيت عنها الحرارة فجأة وصار ذهابها صافياً.. تحاول أن تتذكر ماذا يعني "المهندس الأعظم". لقد قرأت هذا الاسم في مكان ما..

أسدت رأسها على ظهر السرير مرة أخرى وشرعت تحاول الذكر.. المهندس الأعظم.. الشكل الهرمي.... الماسونية....

شياً للنظام التعليمي الذي ملأ عقلها عن آخره بالهراء، وما تبقى من فراع في عقلها لم يعد يسمع الثقافة الخاصة والمهارات التحليلية التي لم يتمرن عليها معظم المصريين على مر العديد من الأجيال.

لقد قرأت شيئاً عن الماسونية حتى فاض به عقلها واسكب منه . لكن ما علاقة الماسونية بكل هذا؟

شعرت بالعاس يتسلل إلى أجفانها ومن بعيد سمعت صوت أسر يادي...

## ثم...

لقد أحيروا السيدة حوشيار بوحود أسر. دائماً ما يحبرونها بوحود الأطفال  
عبر الاعتبديس في أي مكان، وعليها الحصول عليهم وتقييدهم بأي ثمن...  
لم يكن أسر الأول أو لى يكون الأخير حتى تكتمل مجموعة الدمى البشرية التي  
يطمحون إليها..

هناك دمى تخدم أعراساً سياسية وأخرى تخدم أعراساً استهلاكية أو ثقافية..  
هناك دمى لكل ناحية من نواحي الحياة التي يقضون على رمامها وأوشكوا  
على امتلاك كل شيء فيها.

لا يعرف أحد أصل نشأتهم، يبحث الباحثون عن أصل جماعة "البائيس  
الأحرار" ولا يجدون إلا معلومات حديثة جداً غير علمية أن لتلك الجمعية  
آلاف الأسماء المتغيرة عبر الأزمنة، تتغير كلما انكشف أمرها وتوصل الناس  
إلى كنه أهدافها..

لقد كان الحل الوحيد هو طمس العقول حتى تظل الأسرار أسراراً، والأهداف  
قيد التفتيش..

في أوراق "المحمل الأكبر الوطني لبائيس الأحرار القدماء المقبولين في مصر  
وفي الأقطار العربية"، إن الشرة المسوية رقم واحد كت في سنة ٥٩٥٦

وهي في تقديرهم سنة "الور" وتقع قبل ٤٠ قرناً من ولادة المسيح عليه السلام.

أما أول جدساتهم السرية في عصر هيرودوس والي القدس للدولة الرومانية، فقد كانت في مكان بالقدس يدعى "الهيكل" في ١٥-٨-٤٣ م تحت اسم "كوكب الشرق الأعظم". وكان هدفها مقاومة المسيحية؛ لأنها تبشر برؤال هيكل سليمان، وكان من أبرز صحابها تلك الفكرة القديس بطرس الذي قُتل على يد نيرون.

أما أول محفل ماسوني عني فكان عام ١٧١٧، ولا يزال على قيد الحياة حتى اليوم منظمة تكشف عن اسمها ونواياها الرائعة تحت أسماء عدة تتعير مع الزمن. فقد أعلق هنر جميع محافل الشرق الأكبر في ألمانيا لعلمه بعلاقتها باليهودية، إلا أن الماسونية عادت من جديد تحت اسم "نوادي الفرمان الألمان" رغم أنف الجميع..

ومارالت تلوون وتشكل وتخفي تحت ستائر الثقافة والأعمال الخيرية باستعارة أسماء برافة مثل: الروتاري التي أسسها بول هاريس عام ١٩٠٥ ورئاستها في مدينة ليفرستون الأمريكية، ومنها تنشط الفروع حول العالم. والليونر الذي تأسس في نيويورك عام ١٩٥١ ونُقل إلى واشنطن، ويضم ملوكاً ورؤساء دول من كل العالم. ومنظمة باي بيرث التي أسست عام ١٨٣٤ وكل أعضائها تقريباً من النساء اليهوديات. ويقول الماسوني العربي عزيز ميرهم "الماسونية ليست جمعية خيرية، وإنما يقوم الساؤون الأحرار بأعمال خيرية متسعة الطائفة مختلفة الأعراق؛ وذلك للتنعيط على الأهداف التي تسعى الصهيونية العالمية إلى تحقيقها".

أما مجموعة المدارس التي ترأسها حوشيار فلها الخواص نفسها؛ فهي متغيرة

الأسماء، براءة المظهر، تطمح إلى السيطرة على بداية البشر قبل أن يكبروا  
ويصبحوا خطرًا على وجود المنظمة ذاتها.

آسر من الأطفال التي تطمح المنظمة إلى صممهم إليها وتحويلهم إلى سلاح  
مشير في وجه البشرية، وإن لم يخصص، سيكون تدميره بدم بارد هو الحل  
الأسهل والأفضل. لن يتركوا من يصيء الطريق ويوقف العقول خدعهم ليديم  
ما بنوه عبر القرون.

تلقت السيدة حوشبار الأوامر بصمم آسر وأمه إليهم، لا يريدون الأم في شيء  
إلا أن تكون غير ذات تأثير على ابنها؛ حتى تكون لهم كل الهممة عبيه.  
اليوم صارت ربا دمية وفي العد القريب، سيحصلون على آسر

## قَسَمُ..

يقف رمزي في ذل وانكسار على باب الحجرة المظلمة طالباً الدخول..  
يأتيه الصوت من الداخل..

— بعد قليل يفتح الباب..

يفتح الباب ويدخل رمزي الحجرة المظلمة.. حجرة التأمل.. يأخذ مرشد  
بيده.. يده باردة قوية لا يرى منه إلا طلالاً غامضة..

من حوله عظام بشرية متكدة وغمائل نحاسية أكثرها لحيات، ويفعل الظلام  
يكاد يراها تتحرك..

يجرد المرشد رمزي من أي معادن.. ساعته.. نظارته.. يعود كيوم ولدته أمه،  
لكه اليوم يولد هنا.. من رحمهم..

يكشف المرشد عن ذراعه اليمنى وناحية صدره اليسرى وساقه اليمنى..  
يأتيه صوت نحاسي فخيم من مكان من أعلى..

— هل ما زلت مصرًا على طلب البور الماسوني؟

— نعم.. مصر..



يقولها رغماً عنه.. إن هو إلا يرغب في الفرار، لكن إرادته سلبت من لحظة أن احترقت روحه بتجارب الحياة كدمية..

يضع المرشد قطعة قماشية سوداء على عبيه، وفي عنقه حبلاً، ويحرجه من الغرفة إلى باب الهيكل المغلق..

يطرق المرشد الباب فيسأل من بالداحل عن الطارق..  
- طالب فقير في حالة الظلام.. وهو آت ليكتسب النور من هذا المحفل الموقر..

يدخل رمزي فلا يرى شيئاً ويشعر برجلين يقودانه عبر دهاليز معقدة حتى يصل إلى العرش القائم بين عمودين..

يسأله الرئيس المترهب على العرش..

- أنت مقبل على امتحان شديد.. ستقسم بشرفك وذمتك، وتوقع عداد من دمك.. فهل ما رلت مصرًا.. لك حق الانسحاب قبل القسم..

يومي رمزي برأسه إيجاباً فيأثونه بكأس، يشرب ما فيها فإذا هو ماء. ويأثونه بكأس أخرى لا يكاد يتذوقها حتى يصفق ما فيها من سائل مرّ كريه..

- حياة الإنسان معرضة لحرارة أيضاً.. عليك أن تقبل لتكون سعيداً.

يقوده المرشد إلى مصعدة أخرى ويعقر يده اليسرى في التراب ويجلسه راكعاً على ركته اليسرى.. بمسكون يده ويصعوبها عنى كتاب يشعر بنقوش عسى سطحه الخارحي.. نقوش ألفها جيداً طلة حياته وخصيصاً في شهر رمضان.. الشهر الذي يتذكر فيه أن هناك كتاباً للمسلمين اسمه قرآن.

يحاول أن يرفع يده عن الكتاب في جرع.. لا يريد أن يورط القرآن في شيء كهذا حتى وإن كان هلسة لكه لا يستطيع. يبدو أن الإرادة الحرة وهم

في هذا العالم، وأن إعطاءهم إياه خيار التراجع هو مجرد خيار وهمي كالذي يعطونه للبشر كل يوم..

يحد الكلمات تحتشد على لسانه فلا يدري من أين جاءت..

- أما رمزي جمال صادق، أقسم بين يدي الله، حائق الكون الأعظم، واتعهد بإرادتي واختياري أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الماسونية التي تباح لي الآن أو فيما بعد.. ولا أبوح بها لأحد إلا للأخ الصادق والمحمل العادل التام المنظم بعد الثقة والاختبار أنه أهل للثقة. واتعهد بالألا أكتب هذه الأسرار أو أطبعها أو أحفرها أو أدل عليها بوجه من الوجوه، وأن أسمع - إن استطعت - من يفعل ذلك، سواء بالحرف، أو الوصف، أو الصور؛ حتى لا يكشف أسرار البائين الأحرار.. واتعهد بأن أتقيد بشرائع محفل الكون الأكبر ومواربه، واتعهد بالطاعة لمحملي هذا.. المستمد من محفل الكون الأكبر الذي أعتره دومًا محفلي الوالدي. وإنني أقسم على هذا قسمًا صريحًا بدون مواربة أو حذاع، وإب حث بقسمي هذا أكون مستحقًا ضرب عني وشل لساي..".

يخلع المرشد العصاة عن عييه ليحد رجالاً حوله على ضوء المشاعل التي أصبحت يشهرون سيوفهم نحو صدره..

- إن هذه السورف للدفاع عنك عند الحاجة، وللمتلك بك إن حنت عهدك.. والحبل الذي في رقبتك هو لحقتك إن بدرت منك أي خيانة.. قبل اللحظات كنت أجيبًا عن هشيرتنا، أما الآن فقد أصبحت أحامسوني، لك ما لجميع الإخوان وعليك ما عليهم..

ويتحول الحبل في رقبة رمزي إلى حبل دحاني يربطه بقسمه إلى الأبد..

قسم صار يفد بين البشر رغم كونهم لا يذكرون شيئًا عن أي محفل.. يتردد في

ذهن رمزي وهو يحرج لا يدري إلى أين تقوده هلوساته.

"إني أقطع كل الروابط التي تربط بيني وبين أي أحد من البشر كالأم والأب والأخوة والأخوات والأقارب والمدرسة والروضاء المحسين، وكل من خلعت له بالأمانة والطاعة والترممت له بالشكر."

كانت العن في رأس رمزي تراقب البشر من حوله وتؤكد من كونه يدخلون في هذا القسم الأخير يوماً بعد يوم لا احترام لأي كبير. لا اعتراض بأي حميل فقط الفوضى واللباب والرخص هو اسم اللعبة

\*\*\*\*\*

"إن رجال الدين يحاولون السيطرة على أمور الدنيا، وعليها ألا نألوا جهداً للتمسك بحرية العقيدة، وألا تتردد في شس حرب عني كافة الأديان؛ لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في الحروب بين البشر عبر التاريخ"

نشرة ماسونية ١٩٢٣

\*\*\*\*\*

"كل اعتقاد ديني هو ضعف في عقل الإنسان، وإنه لم يبق أحد يؤمن بالله، وحنود الممس إلا اللها، والحمقى".  
عبد الحليم إلياس الخوري

\*\*\*\*\*

"إن الماسونية دين له خطوط واضحة، ولقد تركت الماسونية لأبنائها أديانهم  
مؤقتاً.."

جان أبو نعوم

\*\*\*\*\*

أعلن المؤتمر الماسوني الكبير عام ١٨٨٩ في ذكرى الثورة الفرنسية أن أهم  
مبادئ الماسونية هي تكوين حكومة لا تؤمن بالله، كما تكرر هذا المبدأ في  
المؤتمر الماسوني العالمي في باريس عام ١٩٠٠ وأقرّوا ضرورة فصل الدين عن  
السياسة، وتكوين جمهورية لا دينة عالمية..

\*\*\*\*\*

من رسالة وجهها حوسبي ماريي رئيس جماعة الورايبين ومعلن الدولة  
الإيطالية في روما إلى مساعده برايد أبشتاين.

"إبنا نكون جمعية من الإحرة المستترين في كل بقاع الكرة الأرضية. ونحن  
برعب في كسر كل الأطواق، نكس ما زال هناك طوق حامي، لا يشعر به أحد  
بالرغم من أنه يشغل بوره علينا. من أين جاء هذا الطوق؟ وأين هو؟ لا أحد  
يعرف، أو على الأقل لا أحد يشير إليه بكلمة.. إن هذه الجمعية "سرية" حتى  
بالسبة إلينا نحن الخبراء بالجمعيات السرية.."

## .. أنت الآن منا ..

استيقظت ربا صباحًا في السادسة إلا ربعًا وقد دبّ فيها النشاط وجاءة على غير عاداتها.

جلست في سريرها وقد شعرت أن في عقلها أحداث كثيرة من أحلام ليلة أمس، فحاولت أن تسترجع تلك الأحلام محاطة بشعور عام بأن هناك شيء مهم فيما حلمت به ليلة أمس..

لقد رأت أسر في مامها ككل ليلة إلا أن هناك ما كان يعيق "الاستقبال" في بداية الأمر لكنها تذكر جيدًا أن أسر طمأنها إلى أن ميعاد عودته قد اقترب.. أحبرها ألا تخاف من أي شيء تراه. لم تعلم رنا ما يقصده الطفل لكنها رأت الكثير بالفعل ولن يثير خوفها شيئًا بعد ذلك..

إلا أن ما لفت نظرها حقًا هو ذلك الحلم الغريب عن رمزي.. رمزي في مكان ما.. محفل ماسوني.. مراسم غامضة يمر بها ويبدو كأنه مجر عليها..

حلم شديد التعقيد، ولا تذكر أنها قرأت عن الماسونية أشياء كالتي رأتها في الحلم.. أشياء تبدو أسرارًا، ومن المظني ألا يكتب أحد عنها..

قامت فتوحات وصلت فشعرت بطمأنينة تعمرها وتجاوزاً بالحياة، شعرت بالقوة كي تواجه ما أنبأها أسر به، فهي تؤمن أن طفلها ليس كأي طفل، وإن

هناك من يرشده بشكل ما لا تفهمه..

كأنت تشعر بمصول تجاه تلك المدرسة التي هي مقبلة على العمل بها، حائرة  
إلا أن أكثر ما شعرت به هو الفصول ورعية في معرفة أكثر على ضوء لغتها  
اللاتينية المبعوثة إلى الحياة.

تأولت إفتاراً سريعاً مما تبقى من عشائها الذي لم تكمله، وارتدت ما يصح  
للارتداء من ملابسها، وعزمت على شراء ملابس جديدة اليوم بما تبقى معها  
من نفود إياس، على أن تعيد النفود إلى إياس مع أول مرتب لها من المدرسة،  
لكنها شعرت بثقل بسيط في معدتها حين خطر لها أنه ربما لن تكمل عملها  
في المدرسة إذا اتضح الأمر ووحدت أن للمدرسة علاقة مباشرة بالماسوية أو  
بأي تدخلات خارجية.. لن تكون ترث في آلة لتحويل الأطفال إلى تابعين  
أبداء..

سارت في الشارع إلى أن وصلت إلى البوابة القديمة المهجورة المجاورة لها،  
لقد فتحتها لها السيدة خوشيار أمس كي تذهب منها إلى منزلها مباشرة لكنها  
اليوم معلقة.. تابعت ربا سيرها بمحاذاة السور وهي تنظر خلال قضبان  
الحديدية الصدئة.. خطر لها تساؤل عن عدم استعمال المدرسة لذلك الغاء أو  
حتى تنظيفه، لكن حواطرها قطعت حين شعرت بحس يسير بجانبها، نظرت  
فوجدت الطفل العامض يسير ماذاً يده الصغيرة إليها كي تمسك بها كأنها أمه  
ترافقه في أول يوم دراسي له، إلا أن الواقع هو العكس..

مدت يده وامسكت الهواء الذي يمثل يده فشعرت بذلك الملمس الرملي..  
شعرت بعاطفة قرية تجاهه ونمت لو استطاعت أن تحتضنه، لن تستعير به  
عن ابها حتى ولو كان شحاً أو كائناً عامضاً.. شعرت به يقترب منها كي  
لا تضطر إلى مد يدها بعيداً في الهواء للإمسالك يده ولفت الأنظار إليها.

شعرت بجسده الصغير يحتاج إلى حنان قد كُتبت فيها منذ أن رحل أسر. في دهبها ظلت صورة سيدة محجبة قصيرة ممتلئة الجسم تمسك بيد الطفل العامض إلا أنه في تلك الصورة كان طفلاً عادياً يرتدي نظارة طبية ملونة صغيرة، ويسير متقافراً بري مدرسي هو ذات الزي الذي يرتديه الطفل العامض الآن إلا أنه كان نظيفاً مهندماً..

وصلت رنا إلى بوابة المدرسة الرئيسية في أقل من ربع ساعة ووقفت أمامها تنظر إلى الشعار الجاثم فوق مدخلها، وتحاول أن تقرأ المكتوب تحته مرة أخرى على ضوء ما تذكرته من اللاتينية إلا أنها فوجئت بشيء عجيب.. لقد احتفت الحروف اللاتينية تماماً وبدلاً منها وجدت أرقاماً..

عقدت حاجبها في غير فهم ثم نقلت نظرها إلى الطفل الغامض الذي بادلها الطرقات دون تعبير على وجهه.. لقد غيروا الكلمات إذاً أم أنها لا تراها بشكل صحيح؟

استرقت رناً ماراً وسألت عن المكتوب على اللافتة فهز كتفيه في حيرة وأعلن أنها أشياء مكتوبة بالإنجليزية أو الفرنسية. إذن فهي الوحيدة التي ترى الحروف اللاتينية أرقاماً.. هل لهذا صلة بسؤالها عن معنى المكتوب على القدرح الفخاري؟ هل تسبب سؤالها في إثارة خوفهم لذا سحروا عينيها بشكل ما حتى لا تقرأ لاتينتهم مرة أخرى؟

أخرجت وريقة وكتبت فيها الأرقام وهي تحاول الاختباء على الجانب الآخر من الطريق خلف حافلة المدرسة الخالية، وحين انتهت كان قلبها يخفق كقلب طائر الطمان وشعرت بأن شيئاً ما فيها لم يعد كما كان.. شيئاً يتعلق بقطعة عقلها المفاجئة و شيئاً يتعلق بمسؤوليتها تجاه الأطفال على الجانب الآخر من سور المدرسة..

أخذت نفسها عميقاً ثم عبرت الشارع مرة أخرى ودلّمت إلى المدرسة، وفور  
دحولها شعرت بحرارة في كفها فظرت إلى الطعل العامض لتجده استحال  
إلى اللون الأحمر الشرير وتعالى صوت أنفاسه المكتومة. تركت كفها فتركها  
دون رد فعل إلا أنه ظل يتبعها..

في الطريق ظلت ربا ترمق الأطفال الصغار في ما قل من الحضارة يلهون  
ويحرون، فيما تحيط الهالات الملوثة بهم معبرة عن الحب أو الغضب أو  
الخوف.. مشهد طبيعي في حياة رنا. إلا أن ما لفت نظرها هو الأطفال في  
س الأبدائي.. لم تعد لهم هالات خاصة وإنما تجمدت ملامحهم وأصحت  
أقرب إلى الخشب وجوه تشبه وجوه الأطفال الذين قابلتهم في حديقة  
الحيوان..

في جانب المياء حلت طعلة سمراء حميلة تعرفها ربا جيداً.. رشا. الطفلة  
التي رأتها في مرل رمزي.. كانت الطفلة حزينة تبكي دون دموع مرئية بينما  
تنصاعد الدموع في هالتها الررقاء الرمادية إلى أعلى وحول عنقها يلتف خيط  
دخاني شرير، يحكم الوثاق تارة فترى ملامح الطعلة قد تحولت خشباً، وتارة  
يرخي الوثاق فتعود حزينة ذكية كما كانت..

دخلت رنا الرواق المؤدي إلى حجرة المديرية وهي لا تكف عن تفحص وجوه  
الأطفال حولها في فضول، حتى دخلت المر وسارت فيه إلى أن وصلت إلى  
المكتب.

طرقت الباب وفتحته لتجد السيدة حوشيار جالسة خلف المكتب تقرأ شيئاً  
ما يغطي وجهها، لكن سرعان ما تركه ونظرت إلى رنا في ترحاب وهي  
تفحصها..

.. أهلاً مدام رنا.. أرحو أن تكوني قد حظيت بنوم جيد ليلة أمس..



ثم فتحت درج مكتبها وأخرجت عصا خشبية ملفوفة بشريط بلاستيكي أسود جميل الشكل وناولتها لرناء..

- أعلم أنك ربما لن تحتاجيها، لكنها جزء من هبة المدرس.. إنها مصنوعة في الأصل للإشارة وليس للضرب..

ترددت رنا في قبولها؛ فهي لن تستوعب قط أهمية العصا للمدرس، يمكنه دومًا أن يشير بيده إلى السبورة فهو لن يقدم الشرة الجوية على أية حال. لطالما مثلت العصا لرناء أداة تهديد قمعية، ولن تخرج عن كونها كذلك مهما أعطيت لها من مسميات واستخدامات

- تذكر.. لا تستخدم العربة في الفصل.. لا بد أن يعتادوا سماع الإنجليزية حتى تصبح جزءًا منهم..

تنهدت رنا وأمسكت بالعصا مشعرت وكأن تيارًا كهربائيًا قد سري من العصا إلى كفها وأن العصا قد التصقت بها بشكل ما.. شعرت بقوة وسيطرة لم تشعر بها في حياتها..

تقدمتها السيدة خوشيار إلى الفصل الدراسي الذي هو عبارة عن حديقة صغيرة نصف مستقوفة تطل على السماء الكبير. في الفصل بحري ها وهناك الأطفال الصغار.. تراهم رنا لأول مرة بلا أطياف من أي نوع، بل إنها لا تذكر شيئًا عن الأطياف من الأساس.. يقف الطفل العامض أمامها فلا تراه.. تأمر الأطفال أن يتركوا اللعب الآن وأن يجمعوا أمامها.. يصطف الأطفال في خوف فتشعر بسيطرة ونشوة لم تشعر بها من قبل.. كل أولئك الأطفال ملك لها.. ملك لهم..

تبسم السيدة خوشيار وتبعد عائدة إلى مكتبها في رضا، بينما تلقي عليهم رنا

تحية الصباح بالذمة الإنجليزية فيرد عليه الجمع بلغته الوليدة متقطعة الأنفاس في  
آن واحد، بينما يتأخر الصبي القمحي ذو الشعر الأكرت الصغير فيرد وحده  
بالإنجليزية صحيحة النطق..  
تنتفت رنا إليه وتتفقدده..  
why didn't you greet me back with your fellows?

ابتسم الطفل وتقدم من رنا رافعاً وجهه الصغير نحوها..  
- إيهم لا يصطقون الكلمات بشكل صحيح، واردت أن أريك أنني أحيد  
النطق بشكل أفضل..  
-you're not allowed to talk in Arabic in class..

- لكي مصري، وما دمت لا تشرحين درساً ما فيمكننا الحديث بالعربية  
ومن عيني الطفل تبدى ذكاء أثار حفيظة رنا.. تقدمت نحوه وشعرت بيديها  
تطلقان على حيرته الهمهمة.. أحكمت قبضتها فترنح الطفل وأمسك برأسه  
الصغير..

-speak in English. NOW..

وهي استسلام تراجع الطفل والصق ظهره بالجدار وهمس..  
-yes, miss Rana..

وابتسمت رنا هي ثقة ومن خلفها الطفل العامض يحرك رأسه في حلق بركة  
ومسرة وكأبه لا يحتمل أن يرى ما يراه الآن.. مرة أخرى هي عمره الصغير..

## محاولات صغيرة..

كان آسر يجلس وحيدًا كمادته.. أخته لي لي ترفض اللعب معه ولا تفك  
تصرخ دون مبرر حتى يختفي من أمامها..

إناس شاردة أو مشعولة تسدد له نظرات مفاجئة كلما اختلى إلى نفسه، يعلم  
أنها تحبه لكنها تحبه بعذر، لن تكون مثل أمه أبدًا..

بالأمس حلم بأمه لكنه كان حلمًا مشتتًا.. كان يريد أن يخبرها أنه سيجتمع  
بها قريبًا كما أحبه الطفل الأزرق، وأن عليها أن تستعد لمهمة صعبة..

راى في الحلم رمزي بشكل مختلف.. يشعر آسر أن رمزي في مكان ما لكنه  
ليس بخير.. يعلم به كثيرًا لكنه لا يستطيع الحديث معه..

كانت اللحظات التي يقضيها آسر بين كتبه هي الأفضل في اليوم.. يحرم مع  
السداد ويركب الطائرة مع تان تان.. تقرأ له نهى بعض الروايات الكبيرة  
التي يمح عليها أن تبسطها له كما كانت تفعل أمه إلا أنها لم تَبْدُ مهتمة، فضلًا  
عن كونها غير قادرة على تبسيط ما لا تفهمه هي من الأساس..

كان يشاهد أعلامًا مثل سلسلة هاري بوتر، ويفهم ما تسمح به قدراته في  
ملاحقه الترجمة، إنه يقرأ بشكل جيد كما علمته ربا لكنه لا يستطيع القراءة  
بسرعة، لكنه تأثر كثيرًا بالعمه البطولية في تلك القصص، الطفل الذي يقد

العالم.. لم يهمهم بعد رمزية أن يقد طفلة العالم، قد يقد البقاء والبراءة ما لا يقدر على إبقاذه من تلوثوا بأطماع الدنيا وشرورها..

كان يرسم أيضًا ويصنع المحسمات الخشبية الصغيرة، لم يستطع الكف عن رسم الأطفال كما يراهم، دمي تشبه دمية ينوكير التي أثارت ذعره في أول مرة يراها..

أدرك بشكل ما أن ما يراه من خيوط دخانية لا يراه غيره وأمه.. يبدو الناس في التلعار والصور بلا قيود.. لقد علم أسر أنه مختلف، وأنه غير مسموح له بإعلان هذا الاختلاف.. لم يصدق أحد إلا أمه.

كان زين مشغولاً معظم الوقت، وحين يتواجد.. يتعامل مع أسر بشيء من التحفظ والوجل، وكان أسر يذكره بشيء لا يحب المرء تذكره، إلا أن أسر قد لاحظ أن زين مزعج بشدة من العداوة غير المررة بين أسر ولي لي.. يبدو عليه أحياناً أنه يعرف سببها. في كثير من الوقت يتبادل أسر و زين نظرات من نوع - أعلم أنك تراه - متجاهلين الحديث بصوت عالٍ عن الطفل العامض.

احتض أسر ركبته، وسالت دمعان حارتان على وجنتيه الحمراءوين . يشاق إلى أمه بشدة، يتوق إلى أن تضعه إلى صدرها التحيل الحزن وتمسح به كل محاولة وشجونه. يتوق إلى أن يعب معها، أن يصنع لها الشطائر المرتحلة التي تصحكها حتى تخرط في السعال. يشعر بصعفها وحاجتها إليه كما يشعر بصعفه وحاجته إليها..

يدق حرس الباب فيفتح باب حجرته ليرى من القادم.. إنها المدرسة التي تأتي لتعليم لي لي مبدئ ما قبل المدرسة رغم أن لي لي قد التحقت بالفعل بإحدى المدارس.. وضعة بسيطة تقوم بها أي أم، إلا أنهم ها يستعيرون بالكثير

من الأشخاص للقيام بالقليل من الأعمال. تصرف أصاب بالعدوى حتى محدودى الدخول من الناس.. يرونهم في الأفلام يستأخرون مربية ومدرسة خاصة ومديرة مرل وعاملة نظافة. يشعرهم تقليد الأفلام بالبعد عن واقعهم الكتيب وكأنهم يعيشون بلحيم الخاص..

لاول مرة يرى أسر لي لي وهي تلفي دروسها.. تسير الطمعة الجميلة في فخر حاملة كراسة ومجموعة ألوان مزدانة بآخر إبداعات ديزني للفتيات، تشلق كرسي السفرة العالي لتجلس في مواحة المدرسة الضخمة الجسد القصيرة الشعر في طابع رجولي فح.

تفتح لي لي كتبها بينما تمد المدرسة يدها إلى الخيوط الدخاية الصغيرة التي تمت من جسد أخته الصغيرة مؤخرًا والتي تختلف عن الخيوط الأخرى التي كانت تربطها بالتنافز.. أمسكت المدرسة الخيوط وجذبتها بحوها فاهتزت هالة لي لي وتحول وجهها إلى الشكل الحسي الكريه الذي يراه أسر عليها لأول مرة..

دون وعي تقريبًا جرى أسر نحو السيدة والطفلة وثفز على كرسي لي لي وأخذ يمزق الخيوط في جحون فبدا لإيلاس والمربية أن الولد قد جن ليحارب الهواء فوق رأس أخته..

أخذت لي لي في الصراخ وهي تمسك رأسها، بينما بدت المدرسة أكثر تعقلاً وهي تبحث لأسر عن خيوط كي تسكته فلم تجد.

حملت إيلاس ابتها وأبعدتها عن أسر، بينما حملت بهي أسر من خصره وهو يركل..

- دعوني امزق الخيوط.. هذه السيلة تؤذي لي لي.. تريد خنقها .

أمسكت لي بي رأسها وكفت عن الصراخ، ثم أغمست عيناها وأرتحت درج  
حراك بين يدي أمها..

حررت إياس وحملتها إلى أقرب أريكة وشرعت تقمص حديها وتادي  
عليها..

- لي لي.. حيتي.. لي لي.. أنيقي.. بهي.. اطلبي الطبيب..

ثم التفت عيناها بعيني أسر فأردفت وهي تبعدهما عنه..

- وأطلبي زين.. هيا..

تركت نهى أسر وهرعت إلى الهاتف، بينما أخذت المدرسة تجمع حاجياتها  
في برود لترحل..

تقدم أسر في خوف من أحده التي فقدت لونها الوردي وأمي الجالسة بجانبها  
تغرقها دموعها..

- طنط إيناس.. لم أقصد..

- ارحل.. الآن.. لا أريد أن أرى وجهك.. ارحل!

مد أسر كفها الصغيرة لمسح حبه لي لي المتعركة فأمسكها إياس بعنف  
وأبعدتها فكاد أسر أن يسقط..

- ابتعد عنها.. ارحل.. هل أنت أصم؟!

تراجع أسر والدموع تحتشد في مقنتيه.. يتراجع نحو باب حجرته والدموع  
تسيل لتغرق صدره دون أن يغمض له حفن.. ظل يحرق في أحته وحسب  
بكاء إياس يحثه على المريد من البكاء..

يدخل حجرته ويظهر حوله.. يبحث عن رثاء.. يهمن "ماما" من بين شفه

المتورمتين من البكاء.. بمد كفيه إلى متضدة العابه ويسقطهم أرضاً وكأنه يبحث  
عن أمه فيهم.. تدور الحجرة من حوله وصوته ما زال يهمس "ماما"..

\*\*\*\*\*

كانت رنا تردد بعض الكلمات بالإنجليزية ويردها خلفها الصغار وهم  
يحاولون الربط بينها وبين الصور المعروضة على شاشة البروجيكتور..

-W... window..

فيردد خلفها الأطفال بلهجتهم المملوطة.. تدور رنا بعينها حتى تصل إلى  
الطفل الأكرت الشعر الحالس يردد معهم في ذكاء..

-Omar.. tell me a word that begins with the letter "O"..

-mmm.. ocean..

-no.. remember what we've said..

-I can't remember, but ocean begins with "O" too..

قطبت رنا وقد أدركت أن هذا طفل مجادل آخر.. إجابته صحيحة فكلمة  
ocean تبدأ بحرف ال O إلا أنهم لم يدرسوها بعد في المدرسة.. الإجابة  
التي تريدها هي orange ولا شيء سواها.. تصبح فيه بالإنجليزية..

- أنت تتحدث كثيراً.. احفظ ما أمليه عليك فقط.. هذا ما سيأتي منه  
الامتحان.. لا تشغل عقلك بأشياء خارج الكتاب..

- لكن إجابتي صحيحة.. أمتطع أن....

- اصمت!

وتجذب ربا الحيرط فيصمت الطفل ويتهاوى جالتا شاردًا..

تفتح ربا فمها لنكمل درسها إلا أنها تسمع صوت أسر واصحًا.. "ماما" ..  
صوته ضعيف متعب ينطق "ماما" كأنها "بابا" . أنه مسرود.. إنه يبكي .  
تسقط العصا من يدها وتمسك رأسها . ترفع عينيها لتجد كفيها محتلتان  
بالخيرط الدحاية المرتبطة بالأطفال هناك . تراهم يعي ربا القدرمة . تراجع  
إلى الحائط وتمسح كفيها في ملابسها . يتصاعد الهرج بين التلاميذ يتساءلون  
ما الذي يحدث..

يتقدم الطفل عمر مها وقد رالت قبوده غمًا كأن لم تكن، ينصن كفيها مشائلاً  
بالعريّة..

- هل أنت بخير؟

تمسك رأس الطفل بين كفيها وتظر إليه، تحتضه وتبكي.. تدخل السيدة  
خوشيار في جزع إلى حجرة الدرس وكأنها توفعت سبب الهرج في  
الفصل..

تنحي وتمسك بالعصا فيسكت الأطفال . تبعد عمر عن رنا في عيب وتمسك  
كف رنا وتقرس فيه العصا..

- مدام رنا.. عصاك.. لا تركيها..

تظر إليها رنا في وحوم ثم ترك الفصل في خطوات سريعة إلى البوابة  
الرئيسية.. أسر يكي كما لم يك من قبل.. سوف تذهب إليه وإن كفيها ذلك  
آخر قطرة هي دمانها..

وقبل أن يصل إلى البوابة الرئيسية كانت السيدة خوشيار قد أمسكت بخيرط



الدمية الخشبية ذات الشعر البني.. تجذب حيوطها كي تستدير عائدة.. تقف  
ربا فجأة وقد نسيت ما الذي أخرجها من الفصل.. تستدير عائدة كدمية  
معلبة.. تنتقط عصاها من فرق المكتب وتقف لتكمل دروسها...

\*\*\*\*\*

حين دخل زين في لهفة إلى شقته كان الطبيب قد فرع من الكشف على لي لي  
ووقف يتحدث مع إياس..

- إياس ماذا حدث؟ ماذا حدث يا دكتور؟

- الطفلة وقعت تحت ضغط عصبي شديد ومفاجئ.. إنها الآن بحير ولا  
أصبح بأي أدوية.. فقط تحدثوا إليها وحاولوا أن تحفموا الضغط عنها..

نقد زين الطبيب ماله ثم سأل عما حدث، حكى له إياس في عصبية ما  
حدث فوقف يدخن ويفكر..

- وأين أسر؟

- لا أعلم.. ستجده في حجراته حتما.. زين.. اسمع.. هذا الطفل مختل ولن  
أسمع بوجوده بجانب ابنتي وهو على هذه الحالة..

نادى زين على أسر ثلاث مرات فلم يجد إجابة.. فتح باب حجراته ليجد  
الطفل ساقطا على الأرض وسط ألعابه وقد فقد الوعي..

ركع زين على الأرض وهو يغالب ألم مفصل فخذه الذي يبدو أنه لن يشفى  
منه للأبد وأخذ أسر بين ذراعيه..

- أسر.. أسر.. رد علي يا بني..

حمله رين دافعاً بحمده الصغير إيتاس التي وقف تسد الباب وقبضتها  
في خصرها..

- أيا لم أفعل له شيئاً.. ما الذي حدث له..

- سأحاول الدخاق بسيارة الطبيب أو الذهاب إلى أي مستشفى.. ابقى هنا  
مع البت..

وحرح من الباب تاركاً إيتاس واقفة لا تدري بما تشعر.. تراها قد قست عليه  
أكثر من اللازم؟ إنه طفل مريض وعقله ليس على ما يرام، من الظلم معاقته  
على ما لا يتحكم فيه.. لكنه قد آذى ابنتها.. تعرف أنه لم يفعل شيئاً سوى  
البلويح فوق رأسها، لكن المفاجأة أثارت ذعر الفتاة..

دخلت حجرة لي لي وجسست بجانبها.. لا تزال العظيمة نائمة إلا أن إيتاس لا  
تشعر بأمر تفسيره المفاجأة فقط.. فهذا الطفل يرى أشياء ويتصرف على  
أساس ذلك.. تلك الأشياء تبدو حقيقية ولها تأثير....

- ما هذا الهراء... ما الذي أفكر فيه؟!

واندست مع ابنتها تحت الأغطية لكنها لم تم..

\*\*\*\*\*

جلس رين بجانب ابنه في طوارئ إحدى المستشفيات الخاصة بعد أن غادر  
الطبيب مطمئناً إياه على صحة الطفل.. صمط عصبي رائد جعل رين يبدو  
كمن ارتكب جريمة أمام نظرات الطبيب له وهو يتساءل عن كنه الصمط  
العسي الذي يمكن أن يكون قد وقع على كاهل طفل بهذه السن...!!

أحد رين يداعب شعر أسر العزيز المنصق بالعرق فوق جبينه وهو يفكر في ما حدث كده. ترى هل تساهل حلافاته الأزلية مع ربا العث بصحة ومستقبل طفل بريء كهذا؟ لن نحبه إبناس كما نحب لي لي مهما فعل ومهما فعلت هي، غريرتها ستكون أقوى، ولن نحب امرأة أسر قدر أمه..

استرحم مشاجراته مع رنا. إهمالها له وكأنه كان طيلة الأعوام السنة التي عاشها معاً مجرد ذكر نحل مهمته تلقيح الملكة، ثم الموت له من بعد ذلك. لكنه ظل يحمل لها مشاعر ما حتى بعد انفصالهما وهربها بأسر. كان يشفق عليها ويحاول أن يعطيها حياة كريمة حتى وإن لم تعد له كروحة، لكن علاقتها الآتية الأخيرة قد أنهت كل شيء.. لم تعد حتى مؤمنة على حياة أسر، لم تعد تستحقه..

كان أسر يحرك شفثيه ويهمس "ماما" ويبدو كأنه يحدثها.. ثم رقى قلب رين مع كل كلمة غمر واضحه يتهوّر بها أسر في نومه إلى أمه.. صممه إليه وقد توقفت عبرتان في ركبي عينيه.. لم يلبّ زين إلا في أحوال نادرة، لكنه دوماً لا يسمح لدموعه أن تتعدى خط أهدابه..

من حلف عيسى أسر المعصتين، أخذت قزحينا أسر تشحر كان في سرعة كشان من يحلم، إلا أنه لن يستيقظ إلا عندما ترول عنه الصدمة ويبدأ عقله في التأقلم مع الواقع من جديد..

## ابيض و أسود ..

رأى أسر نفسه لأول مرة في ساحة واسعة صافية يكو أرضيتها رحام بارد  
بلونين أسود و ابيض كأنه يتف على رقعة شطرنج عملاقة ..  
في منتصف الساحة - إن كان لشيء بهذا الاتساع منتصف - رأى رمزي ..  
متدثراً بغطاء قماشى أسود، جالساً الفرفصاء ورأسه بين ركبتيه .. يبدو أنه  
يكى من اهتزاز كفيه ..

اقترب أسر من رمزي ووضع كفه الصغيرة على ظهره ..  
- عمي رمزي .. ما بك؟

انتفضت رمزي ورفع عيّن حمراوين مدهشتين إلى أسر ..  
- أسر؟ ما الذي جاء بك هنا؟ هل .. هل أنت بحير؟ أعني .. هل أنت عني قبل  
الحياة يا صغيري؟

- نعم .. أنا فقط نائم .. لكنها المرة الأولى التي أحلم بك فيها بهذا الوضوح .  
أين نحن؟

- ليتني أمتلك إجابة ما .. لقد .. لقد أصابني شيء ما يوم أن رأيتني لأخر مرة،  
لا أذكر ماذا حدث بعد أن ذهبت إلى والدتك في المنزل لأخبرها ب .....

وحكى رمزي كل شيء إلى الطفل الذي لم تفارق عيانه البريتان وجهه  
الجرع، كان يبدو متعباً بشكل يفوقه، كما بدا على علم بما يحكي عنه  
رمزي...

- من ساعته وأما أهلوس.. أرى نفسي طعناً في المستقبل.. مراهقاً معوج  
السير.. حتى رأيت نفسي أعاهد أباتاً أن أكون منهم وأن أطيعهم.. قسم  
مشورم تورطت فيه بالقسم على المصحف الشريف.. كنت مسلوب الإرادة  
يا بني.. هل تفهمني؟

- أفهمك...

- أريد أن أحبك شيئاً يا بني.. هناك من يسيطر على الناس.. هناك من يحولهم  
إلى دمي ويقودهم.. أعتقد أن الأمر بدأ في الانتشار عن طريق مدارس غامضة  
هنا وهناك.. وعندما تكبر وتترك الدراسة مفتحة على العالم الأكبر الأوسع،  
ياخذون منك شيئاً لا تذكر عنه شيئاً وتصبح منهم.

- أنا أرى الناس وهو مقيدون.. أراهم يشبهون الدمى الخشبية.. حتى أبي..  
وأختي لي لي..

- تراهم؟! أتعني أنك تراهم مثل والدتك؟

- نعم.. وأرى صفلاً صغيراً أعتقد أنه شيخ، يخبرني بأبي الوحيد القادر على  
قطع حيوط تحكم هؤلاء الناس بالأطفال.. حاولت أن أبدأ بأختي إلا أن ذلك  
قد أضرها كثيراً.. لا أعرف كيف أفعل ذلك إذن..

قام رمزي وأمسك وجه أسر بكفيه ومسح عني شعره..

- إنهم في غاية القوة يا بني.. كيف يستطيع طفل في سن أن يفعل ذلك؟ لا  
تورط معهم يا بني.. اسمع.. أحبر والدتك أن تهرب بك ولا تدخلك أي

مدرسة.. لعلها تستطيع أن تعلمك بعضها.. لا تورط نفسك..

- أنا لا أعيش مع أمي الآن.. لكن الطفل صديقي أحري أبي سأعود إليها قريباً..

- أسر.. هل تعرف أين والدتي الآن؟ بل أين حمدي؟

- لا أعرف.. أعدك أنني سأحاول مساعدتك عندما أعود إلى أمي..

- لا.. لا تورط نفسك وأهلك..

- هل سأراك في أحلامي مرة أخرى؟

- لا أعلم.. ربما إذا نمت أنت بهذا العمق مرة أخرى..

وابتعدت الصورة في عيني أسر وهو يشعر أن وجوده يتلاشى من الحلم ليتجسد في الحقيقة.. يرى وجه والده يطل عليه من أعلى ويبدو أنه عني وشك البكاء.. يشم عطر أبيه الممزوج برائحة جسده نفسه.. يفتح فمه ليتكلم إلا أن صوته يخرج ضعيفاً مبحوحاً..

- أبي..

- أسر.. حبيبي.. لا تعب نفسك.. سوف أحضر لك الطبيب..

- انتظر يا أبي.. أنا بخير.. أبي.. أنا لم أفعل شيئاً لأختي.. أنا أحبها ولا أريد لأحد أن يؤذيها..

- أعلم يا حبيبي.. استرح فقط ولنحدث لاحقاً..

- أبي.. أريد أن أرى أمي.. أرجوك..

تشاغل زين في هاتفه وكأنه لم يسمع شيئاً.. لم يكن يتوي أن يجعل رنا تراه

مرة أخرى.. لكل شيء حل، لكن الحلول لديه لم تكن تتضمن أن يتخلى عن ابنه لتلك المرأة..

- أبي...-

- نعم يا صغيري.. نعم..-

ويخرج زين من الغرفة ليعلق هذا الحوار إلى الأبد..



عادت رنا من المدرسة وقد شعرت أن هناك فحوة كبيرة في ذاكرتها . لا تذكر تحديدًا ماذا درّست للأطفال، ومتى قرأت المصحح أو ستفروزه؛ حيث لا شيء في حقيبتها يرتبط بما تُدرّسه..

اعتزمت أن تأكل عشاء من أي شيء تجده في السوبر ماركت القريب ثم تنزل مرة أخرى لشراء ملابس جديدة. افترشت السرير وأخرجت طبق الفوم الصغير الذي يحوي بسطرمة وريتمية وكيس كاتشب على سبيل الرينة، وفتحت كيس الخبز بأسنانها ثم فتحت فمها لتأكل حين رن جرس هاتفي المحمول.. تركت عشاءها في عيط وأخرجت الهاتف من حقيبتها لتسقط الأخيرة أرضًا وتسك محتوياتها القليلة على الأرض..

- آلو... من؟-

- مدام رنا.. أنا إيناس..-

ابتلعت رنا ريقها الجاف وهي تحقق في محتويات حقيبتها المنشرة..

- ماذا حدث؟ هل أسر بخير؟-

- أسر بخير، أما ابنتي فلا..

كان صوت إيباس متعباً عصياً متعجلاً عما شئت تركيزنا تماماً وبعض الكلمات على شفتيها كما نُعثر محتويات حقيبتها..

- ماذا حدث لأسر؟ أعني ماذا حدث لابنتك وما دخل أسر؟

- ابنتك هذا معتوه، وقد.. وقد.. لا أعرف ما الذي يفعله، لكنه يشير أعصاب ابنتي تماماً ويفعل أشياء لا أعرف مغزاها. اليوم كاد يقتلها وهو يلوح بيديه كالمجنون فوق رأسها.. يقول إنه ينفذها!

- ينفذها من ماذا؟ اسمعي.. أنا لا أفهم حرفاً ولا أريد ذلك.. أرسلني لي ابني أو أحريبي أين أنت وسأني لأحذه..

- لن يرصني زين بهذا الحل.. مدام رنا.. كلميه.. حاولي إقاعه.. إن الولد في حالة نفسية سيئة.. أرجوك..

- أنا التي أرجوك.. أرسلني لي طمعي.. ما هو عنوانك.. لن أحدث أحداً في الهاتف.. سأني وأحذه..

سكنت إيباس وقد بدأ عقدها في استيعاب الأمر الجبوتي الذي فعلته الآن.. ماذا سيفعل زين إن علم أنها على علاقة ما برما؟ ماذا سيفعل إن أخذت رنا الطفل رغماً عنه بسبب تلك المكالمات.. أعدت إيباس الخط فضلت رنا تنظر إلى الشاشة في عدم فهم.. حاولت الاتصال مرة أخرى إلا أن الهاتف قد تم إغلاقه.. ركلت رنا حقيبتها وظلت تذرع الغرفة جينة وذهاباً كأسد أسير.. أمسكت الهاتف مرة أخرى وبحثت عن رقم زين.. ترددت في ضغط زر الاتصال.. تركت الهاتف على السرير وجلست بجانبه متكررة على نفسها.. طفلة كبيرة نحيلة منكوشة الشعر تبكي وتتأرجح أماماً وخلفاً وهي تعمم..



"آسر.. ابي " وكأني تذكر نفسها بثلاث الحقيقة..

فتحت عينيها لترى من خلف دموعها ورقعة صغيرة على الأرض من ضمن ما تآثر من مخويات الحقيقة.. قطعت بكاءها فجأة وانحنت لتلتقط الورقة.. كانت تظنها الورقة التي تحمل اسم مشروب آسر المفصل، إلا أنها أدركت أنها ليست كذلك حال وصلت أمامها إليها

فتحتها لتجد مصغرة من الأرقام مكتوبة بخط يدها. ماذا تعني؟.. ولم كتبها من الأساس..

وصعت الورقة في حقيبتها مرة أخرى وشرعت محبة تجمع حاجياتها المتناثرة على الأرض، وقد هذا هذا العاقل الصغير من الحيرة من روعها، إلا أنها ظلت تنفس بعمق كي تجمع محاط أمها من السقوط وهي محبة بهذا الشكل..

حين قامت من ركوعها وجدت الطفل العاقل على السرير متربعا فوق الطعام، لا يحس بوجوده الشفاف.. مد يده إليها فمم تدر ماذا يريد..

- ألن تكف عن إفراعي بهذا الحضور الدرامي؟! يمكنك أن تدخل من الباب أو الحائط، لكن لا تظهر هكذا بالله عليك..

وقفت رنا أمامه والحقية في يدها.

- ماذا تريد؟ الحقيقة؟

مد الطفل يده أكثر خلال الحقية وأحرج الورقة.. تذكرت رنا ما حدث صباحا بشكل مفاجئ فرفعت حاجبيها وتناولت الورقة منه في لهفة..

- آه.. اللافنة! لقد تذكرت.. لكن ما معنى تلك الحروف؟!

جلست رنا بجانب الطفل وقد ركمت أبعاسها رائحة الرمال الممللة التي  
تموج منه..

— انظر.. رعا.. أين أنت؟!

أخذت رنا تلفت حولها بحثاً عن الطفل فظلت أنه اختفى كعادته لكنها  
وحدت يده الصغيرة تثبت من وسط السرير وتشير لها إلى أسفل..

بحثت على ركبتيها لتجد الطفل متربعا تحت السرير أمام صندوق من الورق  
المقوى تعلوه طبقة سمكة من العيار..

— ماذا تعني؟ تريدني أن أخرج الصندوق؟!

أخرجت رنا الصندوق وجلست أرضاً بجانبه. فتحت لتجد الكتب التي  
احتارت أن تأخذها من شفتها القديمة..

هناك ما يقرب من خمسين كتاباً من أحجام متعددة.. في ركن الصندوق  
مجموعة مختارة من كتابات دكتور أحمد خالد توفيق ودكتور نبيل فاروق..  
تدوين لرجلين، معظم معرفتها بالعالم الخارجي.. روايات د. أحمد خالد  
مكتظة بمعلومات طيبة وجغرافية وأدبية وتاريخية وما ورائية، جعلتها الأخيرة  
بشكل ما تلك متقبلة لما يمر به من أحداث غريبة.. سلسلة فانتازيا للكاتب دانه  
تجعلها تشعر وكأنه يتحدث عنها هي بالذات.. أسلوب لم تجد أقرب منه إلى  
قلبك حيث كانت تدس مع أحد تلك الكتب الصغيرة تحت غطاءها مصينة  
كشافاً صغيراً لتقرأ على ضوئه.. تدمع في عالمه الواسع المثير وتسي رين  
والسواء الأحرىات.. تسي شوقها لطفل من دمها ولو مؤقتاً..

انتمت وهي تصفح إحدى روايات د. نبيل فاروق.. أدهم صبري..  
بور الدين محمود.. عالم شديد المثالية والصفاء.. أسلوب روائي فريد معقد،

وروايات مكتثرة مشبعة إلى حد التحمة ..

أخرجت مجموعة كتب وروايات للدكتور مصطفى محمود .. الرجل الوحيد الذي تظهر صورته في دهبها عند ذكر لقب "عالم مصري" .. تذكر جيدا موسيقى برنامج العلم والايمان .. صوته المبحوح وضحكاته المتقطعة المبول .. بطارته الصفراء .. يذكرها كثيرا برفعت إسماعيل بطل سلسلة روايات "ما وراء الطبيعة" ..

روايات عالمية لديستوفسكي واعقاد .. تشاك بولانيك وياتريك سوز كيد .. كتب لكارل ساغان .. كولن ويلسون .. عبد الوهاب المسيري توقفت عند كتب ذلك الأخير حين أشار الطفل الغامض إليها .

د. عبد الوهاب المسيري يتحدث عن الصهاينة واليهودية والمؤامرات في معظم كتبه .. أمسكت في يدها اليمنى بـ "المؤامرة الخفية - دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية" وفي اليسرى "الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ" ..

جلست تقرأ فيهما في عجالة وقد تراءى أمامي ما يريد الطفل قوله .. الحركات السرية ..

ارتدت ملابس الخروج على عجل وسارت إلى أقرب إنترنت كايه .

في الطريق كانت تشعر بدوار وذلك الشعور بالحرارة في أعلى رأسها . كانت الأفكار تدور في رأسها ثم أصبحت تسير في خط مستقيم بلا عودة .. تذكرت أسر فتوقفت .. يجب أن تعود وتحدث رين .. يجب أن تعرف ماذا حدث لم طفل .. ومن رأسها تصاعدت الخيوط بيضاء وتحول طيف رما إلى كائن خشبي غبي .. أخذت تحك شعرها من فوق الحجاب محاولة التذكر .. ما الذي أتى بها ها .. هناك مكانة لتجربتها لكنها لا تذكر إلى من ولأي سبب .. عادت

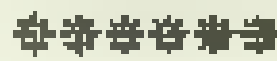
رنا بخطرنا بطيئة متناقلة إلى منزلها.. أزاحت الطعام جانباً واستلقت على  
السريـر وبامت حتى الصباح بلا أحلام .

## الذمى ..

كانت دمية ربا تام الآن كدمية بريئة أمام السيدة خوشيار .. كانت المرأة عصبية .. تشعر بحيرة .. إن هذه الدمية غير مستقرة وتفقد ترابطها برنا كثيرا .. يحدث ذلك نادرا في عمرها الطويل لكنه لم يحدث بهذا الشكل من قبل .. هناك شيء غير عادي موشك على الحدوث .. أرسلت لها العين المراقبة إشارات بأن ربا طفل استثنائي .. لقد استطاع اليوم الاتصال بمن احترقت أرواحهم .. لقد حكى له رمزي عن أشياء ما كان له أن يحكيها .. لقد هاج بأسرار أقسم على حمايتها .. لكن الخطر الأكبر يكمن في هذا الطفل .. هناك من يود جمع في نفسه نيران التمرد وبلع عبه في إيقاد الشر .. هناك من يعطيه أسباب إصراره على تدميرهم حتى في هذه السن ..

إنهم على دراية بأشياء كثيرة، لكن هناك ما يعوق نظرهم فيما يخص هذا الطفل .. لا يد أن تدقي خوشيار قيودها عليه في أقرب وقت .. ذلك الطفل يمر بطرواف مناسبة كي يعود بسببها إلى أمه، إلا أن الدمية التي تحرك أمه غير مستقرة .. لا تستطيع المرأة التركيز في شيء فصلا عن كونها فضولية أكثر من اللارم فلا يستطيعون حل الرباط بينها وبين دميها الآن حتى تجلب ابنها إليهم، ولا يستطيعون الاستمرار في التحكم فيها، فنسى مشاكل ابنها ولا تغير لعودته اهتماما ..

يمكنهم أن يتركوا ربا وشايبها تمامًا كغيرها من البادرين الذين لم يحضروا  
لتحكمهم فتركوهم ليدمرهم الآخرون باعتبارهم عريو الأظوار لا يصح  
الأخذ بكلامهم، لكنهم يريدون أبها.. هذا ما يضطرهم اضطرارًا إلى المعامرة  
بتلك الدمية غير المستقرة..  
لا يوجد حل آخر سوى التعجيل بالخاق أسر بالمدرسة، وساعتها يمكن لروح  
رنا أن تحترق بما عرفت..



جلس أسر في طريقه إلى المنزل بجوار أبيه في السيارة المسرعة، الجو بارد  
والضلام قد حل، إلا أن أسر ما زال مرتديًا ملابسه الخفيفة المرلية وكان يرتجف  
رغم أن التدفئة في السيارة تعمل كما يجب..  
- خذ ارتد سترتي..

ويلف رين سترته حول الجسد الصغير فيرتجف الطفل أكثر.. لم يكن يرتجف  
من البرد قدر ارتجافه من العودة إلى منزل أبيه.. لقد كانت أعظم أمياته الآن  
أن يختفي بين ذراعي أمه ويأمن كما لم ينم من قبل..

بدأ المطر في الانهمار خفيفًا متعرقًا فأخذ أسر يتأمل به وهو يرائق على رجاج  
مافلته..

- أسر.. هل تريد إخباري بما حدث أم تفصل أن تتحدث في وقت آخر..؟

- أبي أنا لم أفعل شيئًا... اعتقد أنك لن تصدقي إذا حكيت لك الحقيقة..

- جربني..

ابتلع أسر ريقه وصمت .. يعلم أن أباه لن يعلن تصديقه على الملائم أبدًا .. سوف  
يتهمه بالكذب وتأليف الروايات .. لن يعترف أنه يرى ما يراه أسر ..

- أعلم أنك لن تكذب .. سوف أصدقك ..

- أبي .. هل تذكر الطفل الأرق الذي رأيته في منزل أمي .. الذي دفع عني  
الرصاصة ..

اختلت عجلة القيادة في يدي على الأرض الزلقة لثوان ثم عمالك نفسه وبيد  
مرنخفة أشعل سيجارة ولم يهتم بكونه يدخن مع الطفل في مكان مغلق ..

- أكمل .. أسمعك ..

- هذا الطفل يجعلني أرى .. .. .

وحكي أسر لأبيه ما يراه على الناس، كما حكي له عن موهبة أمه أيضًا في رؤية  
تلك الخيوط ..

- ففمت كي أقطع الخيوط التي تربط بي بالمدرسة فسقطت وحدث ما  
حدث ..

أريد أن أذهب إلى أمي ..

- أمك مخبولة، وهي من جعلتك تحيل تلك الأشياء ..

- لكك ترى الطفل يا أبي ..

- أي طفل؟ أنا لا أرى شيئًا .. يجب أن تندمج معًا يا أسر .. مع أسرتك  
الجديدة، وحاول أن تتجاهل تلك الخيالات ..

ولم يتكلم زين حتى وصل إلى المنزل .. لا يريد لابه أن يرى أشياء ما وراءية .. لا

يعرف ما علاج ذلك لكنه لن يسمح له بالحديث عن تلك الرؤى مرة أخرى.  
لأول مرة في حياته يندس رأسه في التراب حتى لا يرى تلك الحقيقة، وسرعان  
ما قرر أن ابتعاد أسر عن ريا سوف يجعل تلك الموهبة تلاشي تدريجياً.. حتى  
وإن لم تلاش، فليتهاهلها إذن مع الرمي ومع عدم اعتراف أحد بها.

كان المطر بهمر محمل أسر وعطاء، معطيه حتى وصلا مدخل الريح الصبح،  
فوصعه أرضاً وسقط عن أسر المعطف.. كان وجهه الصغير أحمر الحدين  
والأنف معطى بالدموع.. لم ير رين أسر يبكي إلا مرات معدودة.. يكاد  
يصدق أنه لم يره يبكي من قبل..

- أسر.. لم نيكِ الآن؟.. الرجال لا يبكون..

- أريد أن أذهب إلى أمي.. أرجوك يا أبي.. هي لم تفعل شيئاً كي تأخذي  
مها.. لا أريد أن أعيش هنا.. سوف نكرهي طسط إناس لما فعلت مع لي لي..  
لن تصدق أنني لم أقصد..

ركع زين على ركبتيه وحاول تجاهل ألم مفصله مرة أخرى واحتصن رأس أسر  
ثم مسح الدموع الساخنة بكفه..

- أنت صغير يا بني كي تعرف أن ما فعلته أمك يستحق أكثر مما فعلته بها..  
هي لن تستطيع التفرغ لك.. لن تستطيع حمايتك أو الإنفاق عليك.. أو  
استطيع ذلك.. وإيأس لن تعصب منك وهي تعلم أنك لم تؤذي لي لي عامداً..  
وأمسك بيده يد أسر واصطاحبه إلى المصعد الذي تهادى بهم حتى وصلا إلى  
باب الشقة.. توارى أسر حلف والده حتى لا يراه من سيفتح الباب..

انفرح الباب عن وجه نهى القلق فالتقى رين تحية المساء ودخل ومن خلفه أسر  
الذي هرول إلى حجرته ووجهه إلى الأرض..



خرجت ايناس من حجرة لي لي رتبت بنظرها أسر الذي اختفى داخل حجرته..

- هل هو بخير؟

- نعم.. فقط حجل عما فعله..

- وهل سألته لم فعله من الأساس؟

- إياس.. إنه طفل، وربما كان يلعب أو يمارحها.. اتركيني أرتاح قليلاً كي أقوم بعمل تجهيزات سفري..

- ألا يمكنك تأجيل السفر؟

- إنه أسيرع واحد وقد ظلمت أحاول أن أحدد ميعاد، مع هؤلاء العملاء لمدة شهرين.. لن أستطيع التأجيل، وليس هناك شيء كي أؤجل من أجله.

- لي لي مريضة.. وابك أيضاً.. لن تركي في وسط كل هذا..

دخل زين حجرة بومه وتحدث عسى امراش بملايسه وهو يحسك أعلى أبعه بأصبعيه وبغمض عينيه إرهاقاً..

- وما كل هذا؟ مرقب صغير لن ينكر.. ثم من أحبك أن تربية الأطفال نزهة؟ كل الأمهات كذلك..

- زين.. لقد أحببت فتاة واحدة وليس من واثبي أن أعسي بطفل ليس طفلي.. طفل مختل..

جلس زين في عضية واتسعت عيابه في تحدير جعل إياس تراجع حتى ألصقت ظهرها بالبواب..

- إيناس.. ابي ليس مختلاً، ولن أسمع لأي شخص بأن يعنه بذلك.. وتذكري

أني تزوجتك وكتب تعلمين أن لديّ روحه أخرى وطفل.. لم يهبط أسر فوق  
رأسك من السماء، ومن حقّي تمامًا أن أربي طفلي في منزلي.. من حقّي أن  
أربي طفلاي في منزلي.. لا يملك أحد حق الاعتراض.  
- هكذا إذن؟

- نعم..

وشرع زين في استبدال ملبسه في عصابة فتركة إيمان وقد اشتعلت غضبا .  
هل يعني أنه سيتركها إذا اعترضت وسيأخذ ابنتها معها لتربيتها امرأة ثالثة؟  
إب من يقدر على حرمان امرأة من طفلها الذي تبقى لها من مشاع الدنيا، بل  
وإطلاق النار عليها، لقادر على فعل ذلك مرة أخرى وأخرى.

شعرت بتعاطف مع رنا، وتذكرت كيف كانت تبدو.. نجدة بائسة  
مكسرة..

حيلة نفسية تدرسها كل النساء هي لاتحاد مع أي امرأة حتى وإن كانت غريبتها  
هصد أي رجل، وزين قد استحث هذه الحيلة على الظهور بتهديده لأمان إيمان  
المعسي.. كانت تظه هرق الجميع، وأن ما حدث مع رنا لن يحدث معها .  
كانت تظن أنها امتلكت زين هي وابنتها، وأن من سواها - حتى ابنه الآخر  
- يأتي في المرتبة الثانية..

لأول مرة منذ زواجهما يتغير شعورها نحوه.. لأول مرة يوضع حبها له تحت  
صغف كهذا.. حرة متعقل منها يعلم أن زين لن يؤذيها، وأن هناك ما يعكس  
صفوه، لذا استقرته كلماتها وتقوه بما لا يعيه حرفيًا.. لكن الحرة الأكبر غير  
العقلاني كان قد سيطر عليها منذ أن علمت بما حدث بين زين ورنا.. لقد  
علمت إلى أي مدى قد يكون زين قاسيًا تحت ملامحه الراقية المتحصرة..

أخذت تبحث في حائتها الماسي وهي نائمة إلى حوار ابنتها.. تتخيل أنها قد  
حرمت منها.. حرمت منها عن طريق أبيها أو حتى أختها.. ضمتها بشدة إلى  
صدرها فراحت الصغيرة ثم أكملت نومها في هدوء..  
وحتى غابت إيساس في أعماق الكهف الذي يغيب فيه النائمون، لم ترفع  
عينها عن هاتفها المحمول..

\*\*\*\*\*

لم يمارق الطفل القمض ربا طيبة فرة مكوئها في الصاء صباحا.. ظل ملتصقا  
بها يلمس جسدها بجسده، ولم تتحل الموهبة السوداء عن ربا طيلة هذا  
الوقت.. كانت جالسة وهي ممسكة بوريقة الأرقام وفي يدها قلم رصاص  
تخط تحت كل رقم حرفا..

٧٠ ٣٨٠٤٠٠٤٠٠٣٨٠٦٠٠١٥٠٦٠٠٨٥٠٣٨٠٢٠٨٦٠٨٤"

٧٠٠٨٣٠١٢٠١٥٠٦٠٠٨٥ ٨٤٠٢٠٣٨٠١٥٠٦٠٠٨٥٠٣٨٠٧٠

" ٧٠٠٦٠٠٣٨٠٤٠٠٣٨

هي ما كان مكتوبا باللاتينية

((Truces in solis ardentis eius anima scientia))

صغت جدولاً واستعاضت عن كل حرف برقم ثم طوت الورقة ودستها في  
حيب صغير داخل حقيبتها عازمة على استخدام هذا الجدول بعد استكمال  
لذلك شفرة كل ما هو مكتوب داخل المدرسة.. يجب أن تجد قدحا فخاريا  
كالذي شربت فيه حين جاءت للمدرسة لأول مرة كي تجد ما استحوطت إليه  
الحروف من أرقام وتكمل جدولها..

دخلت إلى فصلها وهي شاردة.. تفكر في كه تلك المدرسة، وتفكر في أسر وهي تتعجب من كونها قد سببت السؤال عنه بالأمس وبامت.

كانت ترى الأطفال وعلى وجوههم أقنعة الدمى، تراقص في الهواء حيوطهم الشفافة في انتظار أن تمد يدها وتقبض عليها..

أحترحت هاتفها المحمول وقد خطر لها خاطر ارتجفت له أوصالها.. صوبت كاميرته إليها بعد أن نظرت إلى الطفل العامض الملتصق بها فلم يعلن

النقطة الصورة ونظرت فوجدت هناك حيوط مقطوعة مثديبة تخرج من رأسها إلا أنها قصيرة تجمعها هالة كريستالية كأنها فقاعة شبيط بها.

نظرت إلى الطفل العامض في دعر، ثم صوبت كاميرتها إليه، وفي رعب وترقب لم تشعر بهما من قبل.. صعدت زر حفظ، ثم فتحت الصورة..

لم تكن كأي صورة رأتها من قبل. كانت ترى طفلاً حميلاً يرتدي نظارة ملونة وعيناه حصاروان راهيتان ينظر إليهما في ذكاء وكبرياء، لم تره من قبل. من حوله هالة كريستالية تمتد إلى خارج إطار الصورة.. تستطيع أن تتخيل أنه يحتويها بتلك الهالة ويقطع حيوطها عن يتحكمون بها.. إنه يحميها إذن.

حتم قلبها وهي تنظر إلى الصورة. هذا هو شكل الطفل العامض الحقيقي.. هو ليس كأنه إذن. لقد كان طفلاً حميلاً متوقد الذكاء. ترى في عييه نظرة تحد وأصحة.. لقد أحته حقاً وشعرت برغبة عارمة في مساعدته بأي طريقة..

وصمت الهاتف في حقبتها وانصقت أكثر بالطفل العامض. قررت أن تتظاهر بأن كل شيء على ما يرام إلا أنها لا تذكر كيف كانت تصرف عندما

كانت تحت التحكم..

وقفت قليلاً تنظر إلى الأبطال وتوقف نظرها عند الصغير عمر طفل آخر بلا قيود يتنظره مصيراً مجهولاً على يديها إن لم تفعل شيئاً لإبقائه .

سمعت رما صوت الحذاء ذي الكعب العالي المميز للسيدة حوشيار هارتجمت وهي لا تعرف ماذا تفعل . نظرت إلى الطفل العامض فوجدته قد احتفى.. لم تركها؟ شعرت بالحرارة تعودها مع اقتراب وقع قدمي السيدة حوشيار.. شعرت بإرادتها تخبر وهي تمد يدها إلى العصا السوداء على المضدة أمامها.. قبضت بيدها عليها حين دحمت السيدة حوشيار..

مدت رما يدها الأخرى وقضت على الخيوط المبعثة من الأبطال. ابتسمت السيدة حوشيار ودخلت ثم جلست على كرسي هالك

- صباح الخير يا مدام رما.. سوف أجلس بكم اليوم لأرى أسلوبك في التدريس فأنت في فترة تدريب كما تعلمين..

ابتسمت رما وشرعت تؤدي دورها المكتوب مسبقاً في براعة.. سبت كل شيء عن الطفل العامض بل وطفلها أيضاً، واستمرت في نحو عقول الأبطال وقيادتهم كالقطيع، بينما اتسعت ابتسامة السيدة حوشيار في رضا..

## لي لي..

كانت إياس تذرع صالة منزلها المتسعة جيئة وذهاباً وهي تلمس خاتمتها  
الماسي من وقت لآخر. لقد سافر رين ولن يعود قبل أسبوع..

آسر يجلس ساهماً في الشرفة ممكاً بقطع صلصال مدونة يضغط عليها في  
عصبية دون أن ينظر إليها.. لي لي ما زالت غير راغبة في التواجد خارج  
حجرتها. وقع ينظر الطفلة على آسر أثناء ذهابها إلى دورة المياه فصرحت  
وبللت ملابسها ولم تكف عن الصراخ حتى عادت إلى حجرتها.

أمسكت إياس بهاتفها المحمول وبحثت عن رقم رين.. هل اتصل بها مرة  
أخرى؟ لقد توقعت أن تخبر رين وتصل بها وتلخ في أن تستعيد ابنها، أما هذا  
الصمت الثام فشيء يثير التساؤل.. تراها ما زالت على علاقة بذلك الرجل  
((رمزي؟)) وقد قررت أن ابتعاد آسر هو أفضل شيء بالنسبة ل كليهما؟ لا يوجد  
مهرب آخر لتحاول رين لمكانتها حتى إنها لم تسأل عن ابنها مرة أخرى..

تركت إياس الهاتف وقد شعرت بشعور سيئ حيال نفسها.. تريد الخلاص  
من صبي صعب والقائه لأم لم تعد ترغب فيه؟ لكن.. ابتها.. إن وجود آسر  
يصعب على أعصاب الطفلة بشكل لا تعرف تبريره.. هناك شيء غير طبيعي  
بين الطهيين.. ليست المسألة مسألة عيرة أو شيء من مشاعر الطفولة الأبدية..  
هناك شيء غير طبيعي..

دخلت ايناس الشرفة المشرقة وجلست على ركبتيها لتكن في مستوى طول  
آسر الذي احتصن القضبان الحديدية للشرفة فبدأ كعصفور صغير في قفص..  
تبه آسر لوجودها فانتفض وسقطت قطعة الصلصال من يده إلى الشارع..  
أحد يتابعها بظره وهي تتعد عبر الطوابق حتى ارتطمت بالرصيف..  
رفع عييه بحذر نحو ايناس التي حاولت قدر استطاعتها أن تنسى .  
- لا عليك.. يمكنك أن تأخذ قطعة غيرها..

- آسف.. لم.....

- لم يحدث شيء.. آسر.. ها.. ألك في قدح من الشيكولاتة الساحنة؟  
تهلل وحده آسر في طفولة افتقدتها منذ ترك أمه، واتسعت عياه.  
- نيسكويك؟

ضحكت ايناس وأمسكت كفيه الصغيرين..

- نيسكويك!

اصطحبت آسر إلى المطبخ وأجلسته على الكرسي هناك وأخرجت عبدة اللبن  
من الثلاجة ووضعت بعضاً منه في إناء على النار..

- لم تحدث منذ... تعلم.. لست عاضية منك..

- أنا آسف.. لم أكن أقصد أن أؤذيها.

- إذن.. ماذا كنت تفعل..؟

- كنت.....

وصمت آسر محققاً في الأرضية البنية اللامعة.. لن يحبرها.. لن تصدقه.. إنه

متأكد من أن أباء يرى الطفل الغامض لكنه ينكر ويتهمه بالجنون، فكيف تصدقه من لم تر شيئاً؟ شعر باحتياج شديد لأمه.. كانت متصدقه بعد ما واحها معاً.. كان يحتاج لصديقه العامص، لم يعد يحكث معه طيبة الوقت كالسابق، ولم يعد يحلم بأمه.. لقد كان وحيداً.. وحيداً بشدة

— كنت ماذا؟

— كنت.. ظلت أن هاك نحلة فوق رأسها فخشيت أن تقرصها.. حاولت أن أبعدا عنها.. فقط..

قطبت إيباس حسيها ولم تشعر بتلقائية تلك الإجابة.. كنت ملفقة.. ((دعوني أمزق الحبوط.. هذه السيدة تؤذي لي.. تريد حقها..)).. بشكل ما... لقد كان كلامه عن حبوط وأدى تريد المدرسة أن تلحقه بلي لي..

— لكنك تحدثت عن أن المدرسة تريد حق لي لي..

— لقد كنت حائفاً وأقول أي شيء..

سمعت إيباس صوت قوران اللين على الموقف فاستدارت بسرعة ورفعت الإباء.. سألت أسر وهي تتشاعل بتحضر المشروب..

— هل ما زلت تحلم بأمك؟..

— ليس كثيراً.. لا أعرف عنها شيئاً..

— وصديقك ال.. إحم.. الميت؟

— لا.. لا يوجد صديق ميت.. كنت ألعب فقط..

التفت إيباس وحملت فيه.. كان داعم العينين موشكاً على الكاء وقد تشاعل باللعب بأصبعه في صحن من الدقيق موضوع على المضدة بجواره..



لم يكن ينظر إليه .. كان يحدق في الأرض ..

وصعت إبناس الإباء الساخن على المصدرة المرحامية في عصابة وحطت نحو  
آسر ..

- لم تكذب؟ لقد أحبرتك أني سأصدقك، أنت ترى أشياء .. تخيل أشياء ..  
لم تذكر؟ يمكننا علاجك ..

قفز آسر من فوق الكرسي وانجه إلى مدخل المطبخ ..

- أيا لا أكذب .. لا أعرف ماذا أقول كي لا تعصبوا مني ..

جرت إبناس حلقه وأمسكته من ذراعها فطير إليها في دعر ..

- اسمع .. إن كنت تريد أن تعيش هنا فأحبرني بما تراه كي أصدقك .. كفت عن  
هذا الموضوع .. كفت عن إثارة دعر إبناس .. هل تفهم؟ كنت سأعيدك لأهلك  
لكنها لا تريدك .. لقد اتصلت بها وأحبرتها بما حدث فسم تأبه ..

- لا .. لم تفعلني .. أمي تحبني ..

- هذا يعني أنك ستظل معنا هنا للأبد .. لا بد ..

- أمي تريدني أن أعود إليها .. ((لم آخذ أحلم بها؟؟))

- .. من أن تعالج .. أريد أن أعيش في هدوء ..

- أعيديني لها .. أريد أمي ..

خرجت لي لي من حجرتها .. كانت تنظر لهما دون أي تعبير على وجهها ..  
قطعت المسافة العاصفة بين حجرتها والصالة - حيث لحقت إبناس بآسر - في  
هدوء .. كانت آسر ينظر إليها ويحاول أن يغمض عينيه .. لم يكن يريد رؤيتها  
والحيوط تنصاعدها بهذا الشكل .. كانت تشبه دمية خشبية متوهجة باللون

الأحمر كان تسير وفقاً لشد الخيوط أو انبساطها.

أملت أسر دراعه وجرى نحو المطبخ.. كانت لي لي تمد كلتا يديها نحو قدح اللبن الساخن وكان القدح يتحرك نحوها من تلقاء نفسه.. يطير في الهواء بسلاسة حتى يقف فوق رأسها.. تنظر أخته ذات وجه الدمية إلى أسر وتنسم في حبث.. وينسكب اللبن الساخن فوق رأس لي لي..

\*\*\*\*\*

لم تعد السيدة خوشيار بُدّاس الاستعانة بدمية لي لي.. لي لي تسكن في القاهرة إلا إن جميع الدمى متاحة لسيدة خوشيار.. هالك آلاف من السيدة خوشيار في كل تلك المدارس.. وكل الدمى تحفظ في صندوق واحد تعرف هي طريقة استحصارهم منه..

لأقت السيدة خوشيار عمراً في التعامل مع دمية رنا.. لقد نسبت المرأة إليها وقد آن الأوان أن يعود إليها كي تحصره لهم.. لا بد أن تعيده المرأة الأخرى إيناس إليها، إيناس ليس لها دمية.. إيناس تلقت تعليمها في الخارج وبسيط على نظام آخر غير النظام المروط بالعرب.. إذن فلي لي هي الحل..

سكت الطفلة اللبن الساخن فوق رأسها ولم يكن معها سوى الطفل مدعي البطولة، أسر.. سوف ترى إيناس إلى أي حد وصل الحقد بأسر على أخته كي يسكب اللبن الساخن عليها.. لن تتركه يعيش معها لحظة أخرى..

ابتسمت السيدة خوشيار في رضا وخرجت من حجرتها الخفية لترمي الأطفال بلعبون، أو لا يلعبون، في هاء المدرسة..

## العودة..

لم هذا الانهاك.. لا تذكر فيم مرّ اليوم..

قابلت السيدة خوشير التي هاتها على كفاءتها ثم مدت يدها في درج مكتبها  
وأخرجت مجموعة أوراق مالية ملفوفة حول نفسها في أسطوانة..

- خدي يا رنا.. مبلغ بسيط من مرتبك كي تشتري ملابس جديدة.. أرى أن  
ملابسك... حسنا.. متسعة قليلا.. قديمة..

مدت ربا يدها إلى النقود وشكرتها.. وضعت النقود في حقيبتها وأخرجت  
إلى الشارع..

لحظات مرت عليها وهي واقفة ثم شعرت ببرودة في ساقها اليسى.. الطفل  
الغامض قد عاود الالتصاق بها.. لا تذكر ما حدث منذ أن دخلت الفصل  
وحتى وجدت نفسها أمام البوابة..

- افتقدتك! تعال!

سارت رنا حتى وصلت إلى البحر.. عبرت الطريق وسارت بمحاذاة سور  
الشاطئ.. يتطاير الحجاب من فوق رأسها.. تتذكر سيرها مع أسر..

أخرجت سماعة هاتفها المحمول ودستها في أذنها..

- هكذا يمكنني التحدث إليك دون أن يظنني الناس مجنونة .. ١

جلست على مفعد حشي دي مطلة أسنتية .. تأملت الكتابات القديمة من حولها على المظلة ..

(يسقط مارك) ويأتي من "اسسهل" من بعده فشطب على كلمة مارك وكتب بدلاً منها (حكم العسكر) ..

(مصر إسلامية) يتصاعد من كلمة إسلامية مهم بخط مختلف لشخص يسحر كاتبًا (ما تروح السعودية) ..

يتشم في حرن وتكم حواظرها .. تخرج هاتفي المحمول وتشعل كاميرا الفيديو وتضويها نحر الطفل العامص .. تراه بصورته الطبيعية يتشم لها في خجل ..

هكذا اجعل تعرف .. تذكرني بأسر بالرغم من أنك لا تشبهه .. لكسي أرى نص الذكاء في عيبك . آه لو أنك تستطع الكلام ..

فتحت ربا حنينها لترى إل كانت قد تناولت الشطائر فوجدتها كما هي ..  
- أغشى لو أجد طريقة كي أعرف ما الذي أفعله أثناء اليوم الدراسي .. حتى لم أكل .. لا أعجب إذ أشعر بكل هذا الوهم ..

أخرجت الشطائر لتجد رزمة الأوراق المالية المرفوفة حول نفسها .. حمسين دولارًا .. إذن هم يتعاملون بالدولار .

أمسكت العملات ونساءلت عن سر لف الأمريكيين الدولارات حول نفسها بهذا الشكل الأنيق الذي يقبها مهرودة، بينما نحن نشي القود ويطبقها ونمسح بها أبواقنا ورمي موزحراتنا كذلك ثم يشكو من كوبها اهترأت! لم ترَ بلداً تعامل الأوراق المالية تلك المعاملة التي تلتقاها في مصر .. ربما لهذا تمر

النقود بلا عودة من سوء المعاملة!

تأملت الدولار وكأنها تراه بعين جديدة.. على الوجه الخلفى للدولار نجد هرمًا، قمته مفصولة ومرسوم بداخلها عين.. ((أين رأيت ذلك الهرم؟؟)) وفي أعلى الشعار مكتوب باللاتينية "annuit coiptis" ومعناها "مهمتنا تكملت بالإنجاح". وفي أسفل الشعار "novus ordo seclorum" ومعناها النظام الاجتماعي الجديد..

طلبت رنا الورقة المالية وشعرت بغصة في حلقها.. ما معنى هذا الكلام؟ ولم يكتبوه على الدولارات تحديدًا؟ أهو نوع من السحرية؟ نحمل نقودهم ونعيبهم على إنجاح مهمتهم وتأمين نظامهم الجديد دون أن يدري؟ أمسكت برأسها وأغلقت الكاميرا وبرعت السماعه..

- لقد تعبت.. لا أهم شيئًا.. ماذا يريدون مني؟ أريد ابني وليحترق العالم بعدها..

هكت رنا ولم تبال بالمارة.. هل لم يعد أحد يبال بشيء.. يعيشون عصر الحرية كما يجب أن تكون.. يمكنك أن تقتل نفسك في قارعة الطريق ولن يسألك أحد عما تفعل..

- كيف نسيت مكانة المرأة لي؟ ماذا فعلت بابي؟

أمسكت هاتفها في دعر وإذا به يرن.. إنها إيناس.. صعدت رنا زر استقبال المكالمات في لهفة وأنفها المسدود يمين مخارج الفاظها..

- ألو.. أين ابني.. ماذا حدث له؟

أتاها صوت إيناس من الطرف الآخر مكتومًا ملل بالدموع..

- تعالي لتأخذي ابك.. لقد أحرق ابني.. اتركي ما تفعله وتعالي فوراً وإلا  
القيته في الشارع...

\*\*\*\*\*

لم تحمل ربا ماقبها.. حاولت الهوض لكنها سقطت.. كان الطفل الغامض  
يظن إليها بلا تعبير.. ثمست لو استطاعت أن تتوكل عليها.. مدت له يده فعبرت  
يدها حلاله..

- أسر.. يا بني.. هل تستطيع أن تذهب إليه؟ اذهب إليه.. ابق معه..  
ابتعد الطفل الغامض وأحدث حزينا انه تفكك وتشتت رمالاً.. أملت ربا أن  
يكون هذا معاه أنه قد ذهب لأسر..

أمسكت ربا هاتفها بصعوبة ويدها ترتجف.. وجدت رقم مال وضغطت زر  
الاتصال.. وضعت السماعة على أذنها وأخذت تنتم..

- مال.. مال.. ردي.. بالله عليك أن ترددي.. هيا..

- آلو؟ رنا؟؟

- منال.. تعالي بسرعة.. أحتاجك..

- ماذا حدث؟ أين أنت؟

وصفت لها ربا مكان جلوسها وبعد ربع ساعة وجدت مال تزل من سيارة  
أجرة وتعدو نحوها..

دفت ربا رأسها في صدر مال وبكنا معا دون أن تعرف مال سراً لهذا  
السكاء..

- رنا.. ما بك؟ ما الذي جد؟

- آسر.. أريد أن أذهب إلى القاهرة وأخذه.. ستطرده إياس.. ستلقي به في الشارع..

حكى رنا لمال ملخصاً للفترة السابقة دون ذكر لأي أحداث غامضة، ثم أمسكت كتفها وأخذت ترمق مال بعينها الواسعتين..

- لا أستطيع أن أقف على قدمي.. تعالي معي إلى القاهرة.. الآن..

- رنا.. لا أستطيع الآن.. انتظري حتى عِدِّ وسوف أخبر رشدي أنني داهية لأمي.. أما الآن.. أنت تعرفين..

- أعرف.. أستطيع أن أذهب معك إلى رشدي وأطلب معفرته. زوحك طيب ولن يتأخر في خدمة كهذه.. سأرجوه أن يأتي معاً..

- حسناً.. سأحدثه في الهاتف ولنرّ..

قامت منال وتحدثت في الهاتف لفترة طويلة.. كانت تقطب.. تهز رأسها.. تحرك كفيها رافضة.. وأخيراً تبسم..

- لقد وافق يا رنا.. وافق.. يمكننا أن نسافر الآن على ألا تتأخر..

ابتسمت رنا في إبهائك واحتضت مال..

- أشكرك يا صديقتي..



كان الظلام قد حل حين وصلت المرأتان إلى مدخل البرج المأخوذ الذي

نسكن فيه إبناس .. رفعتا رأسيهما إلى أعين فبدت الساية كأنها ترتفع لتصطدم  
بزحل ..

- هل يسكن ريس هيا؟! يبدو أن أحواله المادية تحسنت.

- هي لم تكن سيئة ..

- لم تكن سيئة لكنها تحسنت .. ألا ترين؟! إنها ناطحة سحاب كالتى كما  
تشهد سايدر مان يتقافز عليها ونحن صغيرات!

- هل متصعدين معي أم ستكلمين؟

- بصراحة؟ لا أبوي أن أقوت اللقاء نظرة على شكل الشقق في بناية كهذه ..!  
عقدت ربا حاجبيها في عدم فهم فابتسمت مثال ووضعت يدها على كتف  
رنا ..

- أمزح يا رنا! لن أتركك في موقف كهذا مع امرأة محبونة كهذه .. هيا بنا ..  
أحبرت رنا الأمن بوجهتها فاتصل الخارس بشقة زين ليتأكد من كونهم  
يتظرون رنا ثم انشم وأشار إلى المصعد ..

ركبت رنا ومال وكفاهما تعتصران إحداهما الأخرى .. كان الشريان في  
مصف حبة مال بافرا وحداها محمران من التوتر ..

قرعت رنا الجرس في توتر وسرعان ما امتح الباب كاشفاً عن وجه إبناس  
العاصب مشوش الشعر .. كانت تحاول أن تمالك نفسها حين وجدت مثال  
مع رنا .. امرأة غريبة هنا ..

- تفضلاً ..

- أين آسر ..



حطت رنا إلى الشقة الفاحرة وهي تتساءل ولم يفتها الايبهار الذي رمقت به  
منال أرجاء الشقة..

- في حجرته.. تفضلي..

جرت رنا إلى الحجرة حيث أشارت إيباس وفتحت الباب.. كان أسر واقفاً  
وخلفه الطفل العامض يشير إلى رنا..

- ماما.. لقد أخبرني..

وركض أسر ثم قفز إلى حضن أمه المهك الحزن.. سقطت رنا به وهي  
تضحك وتبكي.. أخذت تربت على شعره وتحتضه في بهم.. تقبل كل جزء  
فيه.. تقبل كفيه ويعمر هو وجهها بقبلاته.. تصاعد صوت البكاء والضحك  
من الحجرة إلى حيث وقفت إيباس ترمق الأرض ومنال تنفحها..

- ألم يكن حراماً أن تتركى أمّا تُعَذِّب بعيداً عن ابنها؟

- لم أكن أريده.. اسأليه.. أبوه هو من تمسك بوجوده هنا..

- لم تكوني تريديه؟ ألا تخجلين؟ طمل صغير مثله، ما ذنبه في أن يشعر بأن  
زوجة أبيه لا تريده؟

رفعت إيباس عينيها المحمرتين في حق نحو منال..

- ماذا تريدين؟ إذا أخبرتك أنني أريده اتهمتي برغبي في الاستيلاء عليه، وإن  
أخبرت أنك لا أريده اتهمتي بالقسوة.. ماذا تريدون مني؟

وأمسكت يد منال وسحبته إلى حجرة لي لي.. كانت الطعلة ترقد على السرير  
والصمادات تغطي وجهها وكتفها..

- لقد أحرق ابني.. صب عليها اللبن المعدي حين أخبرته أنه يحتاج إلى علاج

بمسي . كنت أحصر له مشروب الشيكولاتة الذي يحبه .. كنت أحاول أن  
أساعده فشكرني بأن أحرقها ..

أشاحت مال بظرفها وانسحبت إلى الخارج . نادى على ربا التي خرجت  
حاملة حقيبة صغيرة بها ملابس أسر ..  
- أشكرك على عنايتك به .

- أشكرك على أنك أحديته أخيراً .. ابنك يحتلها مدام رنا .. عاجليه ..

- اسي ليس مختلفاً . ولن أخبرك ما لا تستحق معرفته

- لا أريد أن أراكما هاهنا مرة أخرى .. لا أريد أن أياكما في حياتي ..

طوّقت مال كتمى ربا بذراعها وسحبته في اتجاه الباب قبل أن تتحدث المناقشة  
بينهما، وهمت في أذن رنا ..

- ابنتها محترقة .. حالتها سيئة، اعذريها ..

لم تكن رنا لتريد أكثر مما تشعر به بين كميها الآن . شعر أسر والحرارة المتصربة  
من رأسه إلى أمانها .. لقد عاد الدفء إلى حياتها من جديد ..



اعلقت إياس الباب ووقفت خلفه للحظات . انغمضت عينيها واتخذت نوح  
بداخلها عن شعورها بالارتياح فلم تجدد .

ماذا سيفعل زين حين يعود ويعلم بما فعلته .. هل سيطلقها ويأخذ ابنتها معها؟  
هرعت إلى الحجرة واحتضنت الطفلة .. لن يأخذها أحدهما . هل تهرب بها  
كما فعلت رنا؟ لكنها لن تهرب إلى داخل مصر .. ستهرب إلى الخارج ..

أخرجت حواجز سفرها وقلبت بين دفتيه.. هل تستطيع أن تهرب فعلاً؟ ولم تترك حياتها وكل شيء خلفها.. لم لا تواجهه.. قد يدرك أحيراً بعد أن تهدأ ثورته إن وجود الطفلين معاً قد سبب من المشكلات ما دفعها إلى إعادة أسر لأمه..

حلت عبي طرف الفراش تفكر في هذا الاحتمال.. احتمال واه جداً مع شخصية زين العنيدة وتهديده لها قبل أن يسافر.. احتمالية أن يطبقها ويستعيد طفليه أقوى.. لكنها في الوقت ذاته لا تستطيع الخروج خارج مصر لا هي ولا الطعنة دون إذن قانوني من زين.. أخذت تعيش في حائتها المتألمة في الصوء الحالت الآتي من الأماجورة المجاورة وأزمنت أن تواجه زين.. ليس له الحق في أخذ طعناتها حتى إن طلقها.. هناك قانون، قانون لم تعلم به رنا أو ربما علمت به لكنها كانت أجبر من الصمود والتواجه..

وقفت إياس وواجهت فراش ابتها، أمسكت هاتفها وحطبت رقم زين..

\*\*\*\*\*

كان الطريق إلى الإسكندرية يختلف تمامًا عن شكله أثناء الذهاب منها إلى القاهرة.. تلصق رنا حدها بحد أسر الأحمر الصغير ويشاهدان الطريق المتألمة في الظلام.. ما زالت سال محاول ابتلاع دموعها وقد تشاغلته بالحديث إلى زوجها همسا كي لا تزعج صديقتهما..

كانت تتأمل انعكاس وجهيهما في نافذة الأوتوبس.. لقد أصبحت رنا أيقونة للأمومة في عقل سال تمامًا كحورس وإيزيس.. كصور العذراء والمسيح.. لكن ترى هل استحققت رنا حرمانها منه بهذه الطريقة؟

ترى سال السعادة في عيني رنا كما لم نرها من قبل، ترى كذلك دُعرا خفياً

يكاد يتصحم حلف ملاحها الصغيرة ويهشمها مطلقاً إلى العالم.. ترى كيف سيكون رد فعل رين؟ إن رنا في حاجة إلى حمام جيد.. كماها هرباً ودعراً.. لن يستطيع رين أن يأخذه معها ((عالم يثبت سوء سلوكها.. عالم تهرب بالطفل بهذا الشكل من الأساس )).. لا بد أن نعيد رن التفكير في دعرها..

- رنا.. معذرة يا صديقتي.. لكسي أعتقد أنه لا بد لك من أن تتصلي برين الآن وتخبريه بما حدث.. انتهري الفرصة وأخبريه أن ايناس هي من طردت الولد، وأنت لم تجدي سبيلاً إلا أن تأخذه.. دعيه يشغل بلومها عليك قليلاً..

أدارت رنا وجهها في دعر والتصفت بأسر الذي ابتعد عنها محاولاً إخراج شعره الطويل من عبيه..

- لا يا مال.. هل حنت؟ سوف يدومها بعد أن يأخذه سي مرة أخرى.. لن أغامر.. سوف أهرب مرة أخرى، وسوف أعمل على ألا أترك حلفي أي أثر..

- تهربين ثانية؟! ومتى ستجدي مشرباً لشقتك كي تجدي مكاناً آخر عوضاً عنها؟ وابن ستجدين عملاً آخر؟ سيحدثك يا رنا، وإن لم يستطع، فسوف يقاضيك، وسوف يجدون أسر فور التحاقه بأي مدرسة..

صمت رنا هببة وهي تنظر إلى وجه أسر الذي ابتسم محاولاً تخفيف حدة الأوضاع..

- لن الحقه بمحارس.. لن نجدنا!!

كان صوتها يتعالى وأخذ الركاب من حولهم يخلسون إليها النظرات..

- اخفضي صوتك.. يمكنني أن أرسل رشدي كي يتفاهم معه.. لقد كانوا أصدقاء قبل.. قل مشاكلكم الأخيرة..

- لقد قلتها.. كانوا أصدقاء.. لى يسي رين أن رشدي ساعدي في الفرار .

- إذن.. ما خططك..؟؟

أرجعت ربا رأسها إلى الوراء وأمسكت حبيها هدمسة .

- لا أعلم.. لا أعلم...

صمتت سال وأخذت تقضم أنفاسها، بينما التفتت آسر برنا ووضع رأسه الصغير مواجهها لمقها وهمس..

- ماما.. لا تقلقي....

عندلت ربا في جلستها لتجد آسر مسددا رأسه إلى كتفها البسي يساعده الطفل العائض عافيا على كنها البسرى.. ابسمت رعب عنها ورفرت .

- كيف لا أقلق عليكما... كيف؟

\*\*\*\*\*

كانت السيدة حوشير تنسم في أرياح بعد أن أحييت بأحر التطورات. لقد عاد آسر لأمه.. وقرينا جدا سيكون هذا.. متحفا بالمدرسة ونحت تحكيمهم التام .

لكن بحب أن تُعطى ربا بعض الوقت كي ترتب أمورهما. اعين المرافقة في عقل الصغيرة لي لي أحييتها أن إبس تعزم إحيار رين الآن. معنى ذلك أن يثور ويعود غدا.. سوف يستعيد آسر في موعد أفصاه مساء لغدا.. لى يترك فرصة لربا كي تلحقه بالمدرسة ولو لساعة واحدة. ساعة هي كل ما يطمحون إليه.. حتى يحدد أحد الدم من الطفل سوف يكون كافا لمعاية..

إن دمية ربا غير ذات فائدة في معظم الأحوال خارج المدرسة معنى هذا

أنها ربما تحتاج بعض الوقت كي تلحق أسر بالمدرسة.. ربما يقودها دعرها إلى الهرب مرة ثانية، لا يهم أن تهرب طالما ستلحقه بأي مدرسة.. كل المدارس سواء وتؤدي إلى عابثهم بشكل ما.. المهم ألا يزيد دعرها عن حد عدم إلحاقه بأي مدرسة!

جلست السيدة خوشيار أرضاً وأخرجت دمية لي لي.. سوف تستيقظ لي لي الآن من غفوتها وتشكو من أوجاعها فتترك إيناس الهاتف مؤقتاً.. لن تدعها لي لي تتم مكالماتها حتى تنتهي خوشيار من السيطرة على الطفل.. أما مسألة قرارات ربما قنك مشكلة أخرى.. كيف ستعرف ما يدور في دهن رنا؟ هاك دائماً ما يقطع الاتصال عنها خارج المدرسة..

قامت السيدة خوشيار إلى الصندوق الضخم في صدر القاعة.. طرقت على الحروف المصفوفة على غطاءه فالتفت الحروف حول نفسها مصدرة صوت تكات منتظمة ليقتح الصندوق..

ارتفعت السيدة خوشيار عن الأرض حوالى نصف متر ولا مست أطراف أصبع كفيها صانعة شكلاً هرمياً.. ومن أكوام الدمى في الصندوق، تحركت دمية مزينة من فوقها أكوام الدمى.. تصعد مترنحة ببطء فوق الأجساد الخشبية ثم تسلق حافة الصندوق.. تنظر تجاه السيدة خوشيار وتبتسم.. ترتفع خيراتها متوهجة مشدودة في الهواء.....

## أفكار..

كانت مريم وزيم تتشاجران حول مصدة السفرة الصغيرة حول احفية كل منهما ليدفتر الاحصر الصغير بيما جاست مال متربعة على الاربكة توضع في حجرها كيما عملاقا من الخبز "المينو" تدبحد طوليا يسكنها وتحشوه بما تبيع منها من الحين والاشيون والريون في عبه الملونة..

- لن احرك يا رشدي عن الشقة . ربما تيلع مساحتها اربعمئة متر هناك مطبخ امريكي كذلك .

- اصمتي يا مريم.. اتركيه لريم..

صمتت مريم وجلست على كرسي السفرة عاصية.. كانت ريم تقوم حولها في محاولة لإغاضتها بعد أن أبعد رشدي باطربه عنها

- إذن ماذا ستفعل رنا؟

- في ماذا؟!

- يا مال.. لقد تشاغبت في وصف الشقة والعمارة .

-... برج لو سمحت...

-... حنا. البرج، وتناسيت المشكلة الأكبر. هل ستهرب رنا مرة أخرى؟

- هي تفكر في ذلك فعلاً، لكنني لا أظنها ستعملها مرة أخرى . تعرف؟  
المجنونة تفكر في الهرب وعدم إلحاق الولد بمدرسة كي لا يخدمهم زيراً

توقفت مريم وبدأت كتمثال موحه وجهه شطر متال . لم تكن تطرف أو  
تبدل بدفعات ريم لها كي تستأبها الشحار . كانت العين في رأس الفتاة ترسل  
الجملة الأخيرة إلى السيدة خوشيار .

- صديقتك بلياء ولن أساعدها مرة أخرى .. لقد تركتك تساعديها هذه المرة  
فقط ولكي ما زلت أمانع أن تعودا صديقتين كالسابق . لقد انتهى الأمر ..

تركت متال كيس الخبز يترلق من بين ساقيها الممتوحتين ووقفت احتجاجاً ..

- رشدي .. لقد أخطأت ربما وقد عادت لرشدتها .. لقد دفعت ثمن غلطتها  
فادحاً .. لربما ظلت تدفع ثمن تلك الهموة بقية حياتها كامرأة مطاردة .. لن  
تشر بالأمان مرة أخرى ..

أحياناً كثيرة ألوم نفسي على تركي إياها كل تلك الفترة .. لقد ظننتها امرأة سيئة  
بالمعل تعلم ما تفعله جيداً .. ظننتها ستعيش حياتها طويلاً وعرضاً، لكنني حين  
عدت وجدت روحها ما رالت متشبثة بأسر رغم وحدتها وصيق حالها ..

- لقد أحررتك بما يجول في نفسي .. لقد عاد الولد إليها ولن تحتاجك في  
شيء بعد الآن .. لا ضرورة للمخاطرة بسمعتك معها ..

- مخاطرة بسمعتي؟ لم تستمع بتضحيم الأشياء إلى هذا الحد؟

صمت رشدي وتشاغل بمشاهدة التلمار، كانت متال تعلم أن ذلك التصرف  
يعني النقطة في نهاية السطر .. لن يعاود فتح الموضوع مرة أخرى في المستقبل  
القريب ..

مللت الشطائر المتساقطة على الأرض ووضعت بصيب رشدي منها في طبق



ووضعت الباقي لمعنايتين في صمت..

توقعت منال في طريقها إلى المطبخ والتفت إلى ابنتها.. كانت ريم تأكل في شراة متفية شطائر اللاشون وهي تنظر بجانب عيها لريم في انتظار أن تنهزها إلا أن مريم كانت تأكل في هدوء ميكانيكي غير مبالية بشيء..  
- ريم! كلي كخفق الله.. لا مريد من شطائر اللاشون.. مريم، مالت؟

- لا شيء يا أمي..

- كلي يدب قل أن تأتي تلك السمسة على الطبق..

لم تكن منال في مراح رائق للإلحاح على الفتاة كي تعرف ما بها، كانت تفكر في صديقتها وفي رشدي.. كانت تكره أن تفعل شيئاً لا يرضى عنه، لكنها أيضاً لم تكن تتنوع أفكاره المسقة عبر القيلة للفاش.. دائماً ما يتعاطف رشدي بشدة ويكره بشدة.. دائماً ما كان ينهي وجهات نظر سابقة التحيز كنتك التي تنهم المطلقات بسوء السمعة وترفض الصصح عن زلاتهن..

اعتزمت ألا تترك ريم إذا احتاحتها على ألا تفرط في اللقاءات بينهما.. وضع بين جعلها تشعر بالراحة وبأنها لا نخدع أحداً.. كانت تحب تلك الأوجع التي تبج لها تصرفين متناقضين في الوقت نفسه.. تسأل ابنتها عما بها ولا تعباً في الوقت نفسه بالمعرفة.. تطيع زوجها وتخالف أوامره أحياناً.. لن تبدل جهداً في إقاعه، الأسهل أن تفعل ما تريد بكميات قليلة..

لم تكن منال الوحيدة بهذه الصفات.. هناك حيل من الأمهات الشابات بهذا الشكل.. لا يثن على موقف ولا يحاقدن من أجل وجهه نظر معينة.. يسرن في طريقين في الوقت نفسه، مهددات بالتحرق في أي لحظة..

من تلك الأجيال ابحدرت بوعيات من لأطفال من السهل قيادتهم وللاعب

بإرادتهم . يتظاهرون بالسير على الحبلين بينما هم يسرون على أي من الحبلين  
وفقاً لإرادة مسيطرة عليا..

عفت منال وهي جالسة على سريرها من الإرهاق وبجانبها تسلمت مريم.  
وقفت بجانبها منسللة بينما العين الخفية في رأسها تمسح ذكريات منال  
وتحرنها وترسلها إلى من يهمهم الأمر.

\*\*\*\*\*

احتضنت رنا آسر لمدة تزيد على الساعتين دون أن تتحرك.. أطفأت الأنوار  
وتربعت على السرير ودقت وجهه الصغير في صدرها وأخذت تبكي.. تبكي  
وتدخل الدموع في فمها الميتم.. تشمم عبق شعره عبر أنفها المسدود، تشعر  
به في رأتها فتترك نفسها بلا زفير أطول وقت ممكن.. تحبس عطره في داخلها  
لتشبع به خلاياها بعد جوع طال..

تتمنى لو استطاعت أن تعيده إلى رحمها مرة أخرى.. هناك سيكون في أمان  
أكثر، ولن يفرقهما إلا الموت..

تمسك وجهه بين كفيها وتغمرة بالقبلات.. يثل وجهه بدموعها.. يذو  
كوجه ملاك صغير في لوحة كلاسيكية قديمة..

— ماما.. كفى.. لا تبكي..

— أخاف أن أحرم منك ثانية...

— سأكون معك دوماً.. ألم أكن معك منذ أن أحذني أبي؟

— لا أريدك في أحلامي.. أريدك أنت، طفلي من لحمي ودمي وليس مجرد  
حلم..

- لم يكن حلمًا.. كان يبدو وكأنني أراك فعلاً.. كأنني أتحدث إليك في الهاتف مثلاً..

التفت أسر ونظر إلى قدم رنا المشوهة..

- كنت أعلم أن قدمت نزلتك.. كنت أعلم حين نعدت بقودك.. ألم يكن ذلك صحيحًا..؟

أغمضت رنا عينيها وخبات وجهه في صدرها مرة أخرى..

- صحيح يا حبيبي.. ولكم كنت أتمنى أن تكون العلاقة بيننا مثل باقي البشر.. أشعر بالذعر كلما تذكرت ما تملكه من قدرات عربية.. أشعر بالخطر عليك منها..

- ماما.. تعلمين أنني قد حملت مرة بعيني رمزي؟!

- رمزي؟! أين هو الآن؟ وهل كان ذلك حينًا عاديًا أم حينًا كالذي تراني فيه؟

ابتعدت أسر عن رنا في رفق ووقفت على السرير وطلعت بحكي عن الحلم.. كانت كلماته الصغيرة معبرة بشكل مثالي عن كل كلمة حكها له رمزي..

- الآن أرى الأمر بوضوح...

احتضت رنا أسر واجلسته على ساقها وشردت بظرفها خارج البافدة بينما تنساب حصوات شعره بين أصابعها العابثة...

- إذا استطعنا تجميع الحيوط، في اليوم الذي طلبت فيه من رمزي أن يسأل عن المدرسة المجاورة وما إذا كانت صالحة لأن ألحقك بها، ذهب بالفعل إلى هناك.. لا أعلم إن كان قد وجد الرواية الأخرى أم لا، لكنه قد ذهب هناك..

عرف شيئاً ما جعله يصاب بالهستيريا التي رأيتها عليها.. سقط الهاتف منه..  
هكذا وحده السيدة حوشيار.. عاد ليحكى لي ما رآه إلا أن قدوم ربي قد  
أفسد كل شيء..

صمت قليلاً وكأنها تتذكر ذلك اليوم.. قامت وهي ما زالت تحمل أسر  
وأخذت تجول في الحجرة..

- لقد فقد رمزي الوعي، كان مفتوح العينين ساقطاً جوار أمه إلا أنه كان  
بهلوس، لم يكن يدرك فعلاً ما يقوله....

تذكرت رنا شعاراً حفظته جيداً بقدر ما تحفظ اسمها..

- من يطل النظر إلى شمس المعرفة تحترق روحه! لقد أحبرني أن رمزي حكى  
لك عن شيء بهذا المعنى... إذن رمزي قد جنّ أو ما شابه.. هذا إن لم يكن  
قد مات..

انقبض قلبها.. مات؟ أتراها هي السبب المباشر في موته إن كان قد مات  
فعلاً..

- لا أظنه مات يا أمي... لقد وعدته أن أبحث عنه..

- هذا صحيح.. مسجد طريقه للوصول إليه لكن أولاً يجب علينا حلّ ما  
تراكم فوق حياتنا من الغاز..

أنزلت رنا أسر وقد آلمها ظهرها الضعيف من وزنه، فسار الطفل إلى حث  
صندوق العابه القديم..

- هل يوجد رابط بين ما حدث لرمزي وبين إصرار المرأة على أن تعمل لديها؟  
بل إصرارها على أن الحقل بالمدرسة؟ وما علاقة كل هذا بالطفل العامر؟

أحرج أسر من الصدوق المجسمات التي صنعها وأعطتها إياس لرتنا مع القود..

- هل تظن أن الطفل الغامض كان طائفاً في تلك المدرسة ومات بشكل ما هالك؟ قرأت أن الموت بشكل عيب يوئد طاقة تبدو كشبح.. لكن الطفل ليس شبحاً بالمعنى المتعارف عليه.. لديه قدرات حارقة.. هاهاها.. مَنْ أنا كي أزعج أمي أعرف كل شيء عن الأشباح!

مد أسر يده إلى أمه بالأشكال الهرمية المجسمة التي كان يصنعها.

- هل تعرفين يا أمي ما معنى تلك الأشكال؟ لا أستطيع التوقف عن صنعها..

أمسكت رنا بالمجسم الذي يبدو كهرم.. بدا لها مألوفاً إلى حد كبير..

- يبدو أن الحياة قد امتلأت بالأهرامات مؤخراً! أرى هذا الشكل في شعار المدرسة.. على ظهر الدولار.. في مجسماتك.. بل وقد لمحتة وقد حفر في وسطه نقش لعب في الحلم الذي رأيت فيه رمزي.. إنه مرسوم أيضاً على ثياب الطفل الغامض!

.. ماذا سنفعل الآن؟

جلست رنا أرضاً وأمسكت بكلتا كفي أسر وهمست..

- فلترتب أفكارنا.. أريد أن أعرف كل شيء عن تلك المنظمات السرية.. عدي بعض الكتب هاء، بمكسي السهر على قراءتها حتى الصباح.. بعدها يستطيع أن يبحث على شبكة الإنترنت عن المزيد..

- وسنبعث عن عمي رمزي؟

- سنبحت عنه، لكن دعنا في ما يهم أولاً.. يبدو أن حالته قد استقرت بشكل ما وليس هناك من خطر آخر محدق به كي يستعمل البحث عنه، الخطر يحيط بنا نحن . نحن لا نعرف بعد مدى سيطرتهم علي.. الطفل العاصي يحمي بشكل متقطع، ألاحظ أن حمايته لي تقل في المدرسة لكنها تلاشى مُدً في الفصل وخاصة مع وجود السيدة خوشيار..

- خوشيار؟

- نعم. اسمها غريب حقاً..

صمت رنا كروب من الشيكولاتة باللبن لأسر الذي ما إن شربه حتى ترنح ونام محبباً وجهه في صدر رنا.. شعرت رنا برضا عن العالم لم تشعر به من قبل، ونمت لو يتوقف الر من عند تلك اللحظة فلا تضطر إلى فراقه أبداً..

ضمته جيداً وأخرجت أحد الكتب المتراسة بجانبها وشرعت تقرأ فيه حتى غثها النوم في الساعات الأولى من الصباح..

## طفلة صغيرة..

لم تكف مريم عن النفي، والتوهم مد أن استيقظت في ذلك الصباح، الأمر الذي جعل مال نوحل ذهابها إلى المدرسة اليوم

دثرت مال ابنتها وأحدث تدمر في فمها، الأقراص المصادة لكل أنواع الأمراض ثم جلست بحايبها في دعر تنتظر النتيجة.. كانت تؤمن بطريقة الصرب العشوائي للأدوية.. حاصر المرض بكافة أنواع الأدوية لعل أحدها يصيب ويشفيه! لم تكن تؤمن بالتفاعلات الفتلة للأدوية، إلا أن ستر الله قد حفظ أبنائها من عشوائيتها إلى الآن..

لم تكن الفتاة مريضة حقاً، إن ربا لم تذهب إلى المدرسة اليوم، ولم تجد السيدة خوشيار بداً من أن تشعر الفتاة بالمرض كي تمكث في المنزل وترسل إليها الأخبار عن طريق أمها..

كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً حين قدرت مال أن هذا هو وقت الفسحة في المدارس، وقررت تجربة حطها في اسوزال عن ربا، لا نظماً ستذهب إلى أي مكان اليوم وتترك طفلها.. تحتاج إلى عام على الأقل من دس الطفل في صدرها حتى تستطيع بعده أن تفكر في إمكانية تركه يتمسك!

رب الهاتف بضع مرات ثم سمعت صوت رب المنهدج يجيبها من الطرف الآخر..

- أهلاً يا رنا... ماذا بك؟ صوتك متغير..

- أنا بخير.. فقط كنت.. مشغولة...

- ألن تذهبي إلى العمل؟ لقد توقعت هذا!

- مال.. هل يمكنك أن تقابليني؟

- ماذا حدث؟ إن مريم مريضة..

- حسناً.. أنا في طريقي إليك..

- لا انتظري.. ا.. ا.. يمكنني أن أمر عليكِ عداً حين تتحسن مريم..

- لا أظن أسي أستطيع الانتظار إلى عد..

- ماذا حدث إذن، طمشيني؟

كانت مريم تنظر مفتوحة العينين عن آخرهما إلى مال، تستمع إلى كل كلمة تقولها رنا عبر الخط عن طريق ذلك الخيط الرمادي الذي يربط أذنهما بالسماعة. كانت تعمل كجهاز إرسال واستقبال آي..

شرعت رنا تحكي لمال ما عرفت عن ارتباط المدرسة التي تعمل بها بمؤسسة ماسونية ما تتحكم من خلالها بعقول الأطفال.. لن تخفى رنا في أمور حوارية فقد أرادت فقط أن تشارك حيرتها شخص ما.

- حسناً يا رنا.. يمكنني أن أمر عليك بعد أن يعود رشدي من العمل كي يمكنني مع مريم.

- حسناً.. لا تأخري..

أغلقت مال الخط وقد قررت أن تكذب كذبة بيضاء أخرى على رشدي، متخيرة أنها ذاهبة لشراء شيء ما، لن تعامر بأن تدع رنا تأتي ثم تفاجأ بعودة



رشدني مبكرًا . لا تريد لها الإحراج ..

تظاهرت مريم بأنها لم تكن تنصت عليها وتساءلت في وهن .

- أمي .. هل سنذهب حقًا إلى طبط رنا؟ أريد أن آتي معك . لقد أوحشني  
أمر ..

- لكك ما زلت منعبة يا صغيرتي . سأخذك إليها يومًا آخر ..

- لا .. أشعر بتحسن شديد .. انظري ..

وقامت الفتاة وذهبت إلى المطبخ، وأخرجت طبق الحين من الثلاجة وأخذت  
تأكل منه بأصابعها في لهفة ..

- انظري . لا تؤلمي معدتي .. لا أريد أن أقيء!

تناولت مال الطبق من مريم ووضعت في الثلاجة مرة أخرى ..

- هل جئت؟ معنى أنك قد تحسب هو أنك لم تشفي تمامًا . لا تحثري  
معدتك بهذه الطريقة ..

- هل يمكنني أن آتي معك إذن؟

- لا ..

استحال وجه الفتاة حشيشًا كالخا وامتدت من أطراف أصابعها خيوط دحاية  
كثيفة موجهة إلى ظهر مال التي كانت في طريقها إلى الحجرة ..

تسمرت مال في مكانها للحظات ثم التفتت إلى مريم الصغيرة وهمست دون  
تعبير على وجهها ..

- اذهبي وحضري ملابسك التي سترتديها عندما نذهب إلى رنا ..

ودون كلمة أخرى خرجت مال لا تذكر إلا أن أدويتها العشوائية قد آتت أكلها وأنها تستطيع اصطحاب مريم معها.. مريم كتومة للغاية ولن تحرر أبدا شيئا، لقد جربتها من قبل حين كانت تأتي معها لإطعام ربا حين كانت مريضة ولم تفوه بشيء عن تلك الرحلات لأبيها أو لأي شخص..

أخرجت مال ملابسها وأحدث تكويها وهي تتساءل عن معنى ذلك التشتت في الأفكار الذي يصيبها كثيرا مؤحرا، إلا أن تشتت الأفكار قد جعلها تدمج في الكراء ونسيت تماما كل شيء عن تساؤلها...

\*\*\*\*\*

طفلة أخرى كانت تثير حيرة أمها، لم تكف لي لي عن الشكوى والتشتت بأمها طيلة الليل حتى أنهكت إياس تماما فنامت حيث جلست بلا حراك حتى الثانية ظهرا..

استيقظت فزعة وهي تشعر بأن هناك كارثة ما قد وقعت أثناء نومها. التفتت إلى لي لي فوجدتها نائمة كما هي وبقيها إقطار بسيط على الكرمود بجانبها..

فركت إياس عينيها ومحطت، شعرت بجوع شديد إلا أنها لم ترغب في الطعام.. خرجت مترنحة إلى الصلاة لتجد نهى جالسة تشاهد التلفاز..

- مدام إياس.. صباح الخير.. حاولت أن أوقظك إلا أنك كنت في سابع نومة.. جلست الفطور الذي حضرته الحاجة رشيدة إلى لي لي وجلست معها إلى أن انتهت من....

- حسنا يا نهى... شكرا...

واصلت سيره١ حتى ماكية القهوة، وضعت فلتر القهوة الأمريكية نبعته بالقهوة ذاتها وضغطت زر التشغيل..

سرعان ما تصاعدت رائحة القهوة المركزة العبية فذات خلايا مع إيناس في العمل تدريجياً..

لا بد أن تتصل بزين الآن . ترى هل اتصل هو؟ كانت نهى ستخبرها.. عبيها أن تبادر بإخباره أولاً..

رشفت من القهوة ثم أحدث الفجاء العملاق إلى الشرفة، طُلبت رقم زين وانتظرت صوته وقلب يرتجف في قفصها الصدري كمصغور يحاول الفرار..

– ألو.. كيف حالك يا إيناس.. لقد كنت سأطبخ حالياً..

((صوته يشي بالسعادة... هل أهدم سعاده؟؟))

– كيف حالك أنت يا زين.. يبدو صوتك سعيداً...

– لقد كتبنا العقود لتزوا، ورأيت أن أتصل بك لأسمع صوتك على ميل الاحتفال.. ماذا تريد من كهدية لهذا الخير السعيد؟

((هذه الرومانسية تقتلني.. لن أستطع إخباره..))

– أريد سلامتك يا عزيزي..

– سأشترى لك شيئاً على دوقى إذن . سأشترى للي لي ذلك ال.....

((.. لا تخبرني بما ستشتريه لأسر.. لا تخبرني ..))

– ...الحاكيث ذو الفراء الذي طالما حلمت به ستبدو فيه كأميرة! أما أسر فلربما أحرب معه ال...

- زين... ..

- الطاقم الذي يمكن به صنع أشكال هـ... ..

- زين... كفى..!

- ماذا؟

- لقد رحل أسر إلى الإسكندرية مع أمه بعد أن حاول أن يحرق أخته بالبن  
المغلي..

- ثانية واحدة... تقولين أين ذهب؟!

- ذهب إلى الحمام! أحبك أن ابتك احترقت وأنت لا تهتم إلا بابتك؟!  
كنت تشعر بأعصابها تملت منها. تسارع الكلمات مطلقاً من فمها بلا  
توقف.. بلا تفكير.. تحرق القهوة معدتها الحارقة فيريد الإحساس بالحرارة  
الزائدة من عصيتها..

أخذت تبحث في درج المضدة عن سجائرها، أخرجت واحدة بيد مرتجفة  
وتركت العلبة تسقط أرضاً..

- من الذي أعطاه لربنا؟ من الذي أخبرها بما فعله الولد؟ أحيي..  
تعالى صوت زين حتى لم يعد ثمة داعٍ لهاتف كي تسمع صوته.. أوقدت  
السجارة بقذاحتها وسحبت نغماً عميقاً..

- ما هذا الصوت؟ تدخين ثانية؟! أجيبيني واتركي ما في يدك.. الآن..!  
- زين.. أنا اتصلت بها وأعطينها الولد.. أبك يحتاج إلى علاج نفسي وأنت  
لا تهتم.. لا تعترف حتى بحظيرة تصرفاته..

أنا الذي يقرر مصير أبي.. سأأتي على أول طائفة.. وأعلمي أن هذا الموقف

لن يمر على خير..

- زين.. أيا... ..

أعلق زين الهاتف فتهدت وشرعت تحتص الدخان في نهم . فليفل زين ما يستطيع فعله.. لن يستطيع إجبارها على شيء ولن يستطيع إلحاق أي ضرر بها..

((لقد أطلق الرصاص على راس قبل .)) أقصى ما سيفعله هو... تطليقها؟  
ليكن.. يومها لن تندم على تجربتها، وستعلم أنه لا يستحق الحياة معها.

امرت بوى بأن تعي بلي لي ثم دخلت غرفتها وأغقت الباب.. ستحس عصبها وتوترها إلى أن تضح الصورة أكثر.

## قصة رجلاان..

كانت ربما نسترجع ما قرأته على شبكة الإنترنت.. تسترجع قصة رجلين  
بعيهما...

في عام ١٧٧٦ أسس آدم وايزهاوت - رجل الدين الذي ألد - محفلاً  
باسم "محل الشرق الأكبر" بناء على طلب اليهود، وهو محفل يضم جماعة  
الورايين، وأصبح هذا المحفل صاحب أقوى سلطة على باقي محافل العالم  
نادي وايزهاوت بتأليف حكومة عالمية تصمم عباقرة ورجال فكر من كل  
أنحاء العالم، وقد احدث بهذه الفكرة أكثر من الألفين من الرجال السياسيين  
والعلماء والحكام.

أما الرايا الحقيقية لهذه الجماعة فظهرت في التوجيهات التي يمسر عليها  
الأعضاء ومن أهمها ضرورة الإيمان بالأممية العالمية لتجنب الحروب البشرية؛  
أي إلغاء الأديان والحسيات حتى لا تقوم حروب بين البشر، كما أطلق على  
الشر دونهم لفظة "جريم" وهي لفظة يهودية تعني "القطعان البشرية" التي  
لا تفهم ما هو صالح لها نفسياً وجسدياً وعقلياً، فوجد أن تحويلهم إلى دمي  
متشابهة ممسوحة هي أيديهم هي الطريقة الوحيدة لحمايتهم من شر أنفسهم!  
كان يجمع الأناس الأكثر تميراً من كل أنحاء العالم لتلقي تدريب خاص،  
وحيث ينتهي هؤلاء الطلبة من تلقي تدريباتهم في مدارس خاصة لذلك

أشهرها في مدينة سالم الألمانية، يعودون إلى بلادهم؛ لينقلوا أعلى المناصب ويبدؤوا في تنفيذ مخططاتهم.. لقد أصبحوا دمي تلهو يدمى، ويظنون أنهم المسيطرون...!!

أما الرجل الثاني فهو الجنرال الأمريكي ألبرت بايك فهو المخطط لما نحن فيه الآن، فقد وضع خطة لحروب عالمية ثلاث؛ الأولى هدفها إسقاط القيصريّة في روسيا وجعلها معقلاً لشيوعية، والثانية هدفها هو ازدياد سلطة الصهيونية السياسية حتى يمكن إقامة دولة إسرائيل في فلسطين، وكذلك دعم الشيوعية لتصبح قوة تعادل العالم المسيحي.

أما الحرب العالمية الثالثة فالهدف منها هو وصول العالم إلى حالة من الإعياء المطلق نعم الحياة الروحية والعقلية والاقتصادية، وهو ما بدأ بالحدوث بالفعل.

فقد مهد بايك في خطته للحرب العالمية الثالثة عن طريق قيام الصراع بين الصهيونية السياسية وقيادة العالم الإسلامي، ولا بد أن يشترك في هذا الصراع بقية دول العالم التي تكون متحذبة إلى أي من الطرفين - كما أكدت الوثيقة التي كتبها بايك والمحفوظة في المتحف البريطاني..

"سوف نطلق العنان للحركات الإلحادية، والحركات العدمية الهدامة. وسوف نعمل لإحداث كارثة إنسانية عامة نبي يشاعنها اللامتناهية لكل الأمم نتائج الإلحاد المطلق وسيروون فيه منع الوحشية، ومصدر الهرة الدموية الكبرى. وعندما سيجد مواطنو جميع الأمم أنفسهم محبرين على الدفاع عن أنفسهم حيال تلك الأقبية من دعاة الثورة العالمية. فيهرون لبقضاء على أمرادها مخطي الخصاصات. وستجد حينها الجماهير المؤمنة أن فكرتها اللاهوتية أصبحت تائهة، غير ذات معنى. وستكون هذه الجماهير متعطشة إلى مثال وإلى من

توجه إليه بالعبادة. وعبدت يأتها النور الحقيقي من عقيدة الشيطان الصافية التي ستصبح طائفة عالمية، والتي ستأتي نتيجة لرد الفعل العام لدى تدمير الإيمان والإلهام معًا، في وقت واحد..".

إن المؤامرات تعيد نفسها لكسلا لا تكثر لمجرد التفكير فيها إن التشابه بين ما حدث في مصر وما حدث في الثورة الفرنسية واضحًا جدًا، فقد أقبحم حشد في باريس سجن الملك الرئيسي.. الباستيل، حيث أطلقوا سراح سبع سجناء فقط، معظمهم كانوا مرضى عقليًا، لكنهم حصلوا على البارود والبنادق التي كانوا في حاجة ماسة إليها.

وعلى عكس التاريخ الشائع، فإن هذا الهجوم لم يكن فعلاً عفويًا لرعايا عواميين مداسين، فالحقيقة المؤكدة من قبل سلطات أكثر من أن تعد، هي أنه قد تم إغواء اللصوص قاطعي الطرق من الحروب، وجذبهم إلى باريس عمداً سنة ١٧٨٩، حيث تم استجبارهم والدفع لهم من قبل الدين وعموا قيادة الثورة، وبكلمات أخرى فإن جلب مجموعة من اللصوص المستأجرين يدحض بشكل شامل أن الثورة كانت ثورة شعب كامل لا يمكن قمعها..

وهي الوقت ذاته تم إرسال رسل مبعوثين من قبل المظلمات السرية، انطلقوا راكبين من مدينة إلى أخرى، محذرين الفلاحين من أن المتأمرين على الأمة يحتمون داخل قصور الأرستقراطيين، ومزارعهم وأقاليهم، وأنهم قد أحبروا أن المثل قد أمر بمهاجمتهم، وسرعان ما انتشرت الفوضى والعنف، وتم الترحيب بها على أنها الثورة!

في الثورة الفرنسية يرى للمرة الأولى كيف كانت المعاناة تُخلق بشكل نظامي بغرض استغلالها واستثمارها..

قدّم المجلس الوطني عام ١٧٨٩ مدعوراً بسبب الفساد المنتشر - على أيدي



الماسونيين محركي الثورة لأهدافهم الخاصة - على عجل إعلان حقوق الإنسان  
و المواطنة، معلناً الحرية والمساواة وحرمة الملكية، وحق مقاومة الاضطهاد،  
وهي جميعها الأهداف الرضية الطويلة المدى للماسونية.

في الوقت نفسه - مدعومة بالثقل في فرنسا بسبب رفض الملك الإعلان  
السابق - قهرت الأنديّة الثورية المؤسسة على الماسونية، في بلدان أخرى منها  
إنجلترا والنمسا وسويسرا. وظل التوتر بين فرنسا والأمم الأخرى قائماً حتى  
عام ١٧٩٢.. عندما أعلنت فرنسا الحرب على النمسا وبروسيا، مواجهة  
بكليهما "حرباً وثورة"، انحطت فرنسا إلى عصر الإرهاب، الوقت الذي تم  
فيه إعدام الملك لويس السادس وعدد من الأرستقراطيين.

وراء المؤتمرات والأنديّة والمحاكم الثورية كان يوجد ذلك المؤتمر الأكثر سرية  
وحفاءً، والذي كان يدير كل شيء. وهو القوة السرية الخفية المربعة، التي  
كانت مؤلفة من المبايعين الأساسيين من المستنيرة illuminism

إن القوة الخفية التي قادت الثورة الفرنسية كانت الأليوميناتي ولها فقط -  
علناً - ١٣ سنة في الوجود.. ومع ذلك فقد كانت قوية بما يكفي لثورة في  
واحدة من البلدان الرئيسة في العالم..

وعندما أعلن نابليون نهاية الثورة في عام ١٧٩٩، كانت فرنسا أرضاً محصية  
بالدماء، وكان مئات الألوف قد ماتوا بسبب الجوع والفقر والقتال، وكانت  
قوة الملكية والكنيسة قد دمرتاً معاً. وهكذا فقد وجدت مشاريع المنظمات  
السرية تمامها في استنزاف أسس المسيحية على مدى ١٨ قرناً.. وبالتالي هدم  
الإيمان في تلك البقعة بالكامل..

باللهول! ما كل تلك الخطط والمؤامرات.. بل إن هناك مؤامرة مهم على أيها  
هي بالذات.. لهذا السبب يريدون أيها؟ لتعيد محط وايضاوت؟ إن أيها

مير حقاً ودو دكاء خارق، لا بد أنهم يستطيعون الاستعادة منه في تدمير العالم بشكل ما..

كانت ترتعد ولا تعرف كيف تتصرف، إن كان ما همته صحيحاً، فإنهم سيجدونه مهما فعلت..

ول حرس الباب ففرغت والتصقت بأسر وكانهم قد وجدوه فعلاً وأتوا لأحذه منها..

— من؟ من يطرق الباب؟

— أنا مال.. انتحي..

هرولت رنا في لهفة وفتحت الباب، جدت مال وابتها إلى الداخل ونظرت بحرص إلى السلم ثم أغلقت الباب..

— ماذا بك؟ هل يشعك أحد؟ لم كل هذا الدعر؟

— اجلسي يا مال.. أكاد أموت ذعراً..

— ماذا حدث؟؟

— هناك من يريد إلحاق الضرر بابي.. إن مديرة المدرسة التي أعمل بها ماسونية، تريد أن ألحق أسر بالمدرسة لأنه ذو قدرات خاصة وتريد أن تحكم قبضتها عليه حتى تستطيع السيطرة من خلاله هو وأشباهه على العالم..

— نعم؟ لا أفهم حرفاً! أترأك قرأت شعرة دافشي لذلك الكاتب.. جيمس براون..

— جيمس براون معي وليس كاتب.. تقصدين دان براون..

نعم نعم.. براون هذا.. هذه مجرد رواية، ولا يوجد مثل تلك الأشياء..

- ليست رواية يا رنا.. إنهم موجودون حقاً..

أسكت رنا مجموعة الكتب التي لديها والتي تتحدث عن الماسونية وألفتها أمام مثال على السرير..

- هل كل هؤلاء كادير؟ آلاف الكتب تتحدث عن الشيء ذاته.. آلاف الأحداث لا تفسير لها سوى وجودهم...

- حسناً.. اهبطي.. بفرض صحة كلامك.. كيف تعلم مديرة المدرسة بالقدرات الخارقة لدى أسر؟ ثم إني لا أرى فيه شيئاً غير عادي يستاهل أن يكون مطعماً لجماعة ماسونية كما تدعين..

- ابني مميز.. عقله أكبر من عمره كثيراً.. ابني... ابني مميز بطريقة لن تستوعبها.. هناك أطفال يمرون آخرون في المدرسة تتم السيطرة عليهم.. لقد رأيتهم..

- إذن لا تلحقه بالمدرسة!

تركت مريم المكعبات التي كانت تلاعب بها أسر والتفتت إلى أمها..

- سيصلون إليه يا مثال.. سيحتفظوه مني..

كان هاتف رنا يرن لكنها لم تعبا به.. على الشاشة لمحت مريم اسم رين..

صمتت مال وقد أدركت أن رنا تمر بحالة نفسية شديدة السوء.. إنها تتوهم أن العالم كله يريد أن يأخذ أبها منها.. إن حالتها سيئة حقاً..

- إذن.. ماذا ستفعلن؟ ألن تردي على الهاتف؟

صعد أسر إلى السرير حيث تجلس رنا وهمس في أذنها..

- انظري إلى مريم..

انتظرت رنا قليلاً كي لا يشك أحد فيما همس به أسر، ثم التفتت عفوياً إلى حيث تجلس مريم..

كانت مريم تنظر إلى مؤخرة رأس رنا ووجهها بهييء بلون أحمر شرير . امتدت بشكل عنيف وفجائي خيوط دحانية كالقذائف إلى مؤخرة رأس رنا، اتفصت على أثرها وابيضت عيناها..

— رنا.. ماذا يحدث؟

قامت منال إلى صديقتها في دعر بينما تسمر أسر مكانه لا يدري كيف يتصرف..

كانت العين في رأس مريم تستخلص المعلومات من عقل رنا بأقصى سرعة دون الاكتراث إلى سلامة رنا.. كانت السيدة خوشيار تستعد للعد التارلي للحصول على أسر..

أبوه يتصل وربما كان على مقربة منهم.. رنا توي الهرب بالولد. إلا أن القرار الأكبر الذي قرره السيدة خوشيار كان بناء على آخر المعلومات التي اقتنتها مريم من عقل رنا المحتضر.. رنا ترى القيود.. أسر يراها.. الأخطر أن هناك ملاكا حارسا لهما.. ترى وجهه الآن في ذكريات رنا.. تعرفه جيداً. لكن.. الطفل الذي لم يمت رغم أنف الجميع...

\*\*\*\*\*

سقطت رنا والزبد يشاقط من فمها.. هرع أسر كي يقطع الخيوط التي تربط مريم بعقل رنا وهو يصرخ.. مد يده الصغيرة إلى الخيوط إلا أنه وجد الطفل العاصم يحول بيه وبين أن يصل إلى أمه.. ومن الطفل العاصم صدرت

موجة تصاعدية باتجاه أسر ومال قذفتها بطول العرصة فسقطا فاقدي الوعي،  
بيما تباثر الطفل العامض مستحيلاً إلى درأت من الرمال..

ثوانٍ أخرى وانسحبت الخيوط من عقل رنا..

كاست مريم ثابتة بلا تعبير على وجهها، بينما تكوَّمت رنا على الأرض، بعد أن  
احترقت روحها بما عرفتته...

## احتراق و اختراق ..

فتح أسر عيبه شاعرًا بدوار شديد. تدور الحجرة من حوله فلا يستطيع تثبيت نظره على شيء.

تدور الحجرة بما الشخص الوحيد الثابت فيها هو رمزي.. ما زال متدثرًا بالقماش الأسود، يملأ حسده القمع الزرقاء والحروق التي تشوه أطرافها كالجمر.. يركع رمزي محبًا بحوار حسد رنا الهامد، يمسح على شعرها المسائر حولها.. ما زال وجهها طفولًا بريًا كما عهد.. يمس أنه لن يلمس هذا الروح ناية في هذه الحياة على الأقل.

يحاول أسر الهوى إلا أن الدوار يسقطه أرضًا ويصطدم رأسه بالحائط خلفه مرة أخرى..

- عمي رمزي، ماما.. ماذا حدث لها.. ماذا حدث لك؟

- أسر.. إنني أنلاشي يا بني. لقد علموا بما أحيرتك به في لقائنا السابق، يحرقوني بعهدي لهم، وقريبًا لن أكون في هذه الحياة.. حسدي يموت الآن، لا ترهق نفسك في البحث عني..

- أستطيع إنقاذك يا عمي.. فقط قل لي ماذا أفعل قل لي ماذا أفعل كي أُنقذ أمي.

- يا حبيبي.. لا أعلم من أين جاءتك تلك الروح المضحة، لكنها ستكون وبالاً عليك يا صغيري.. لن تستطيع إيقاظ العالم منهم.. لن يستطيع حتى من حاولوا قبلك..

يشير رمزي إلى رنا..

- انظر ماذا فعلوا بأمك.. لقد عرفوا ما عرفتة وما هي قادرة على فعله وأحرقوا روحها.. نحن الآن في مكان واحد، أنا وهي.. وقرينا سيمترق مرة أخرى - لا تقل ذلك.. سوف تعود أمي.. وسوف تعود أنت أيضاً..

ينسم رمزي في مرارة.. تهب من الساعدة ربح خفيفة فتأجج اللهب في جسد رمزي ويتطاير منه بعض الرماد..

يقطب رمزي ويحيل وجهه شطر الباب..

- آسر.. حوشيار قادمة.. اهرب.. احبني.. لن أستطيع حمايتك..

تسرع عينا آسر في دعر.. ينظر حوله فلا يعرف له ملجأ.. يحس عني أطرافه الأربعة حتى يصل إلى جسد أمه.. يحتصنها.. يضع يدها المرتحية فوق جسده ويرتجف..

- ماما، إنها آتية.. لا تركيني.. لا تدعها تأخذني..

يحسش آسر بالبكاء، لم يكن حدثاً من حوشيار قدر حرقه على مصير أمه الضعيفة الوحيدة..

تهتز الأرضية اهتزازات متتالية خفيفة، ثم تجسد أمامه امرأة طويلة رمادية الشعر، تحيطها هالة فضية من الخيوط الدخانية تتلوى في كل صوب.. فوق رأسها ما يشبه الناح الطيفي المثلث، تتوسطه عين وحيدة شريرة ترمقه في نهم..

تمسك السيدة حوشيار الخيوط المرتخية لمريم الفاقدة الوعي، تجذبها بشدة فتستيقظ الصغيرة وعلى وجهها ذلك القناع الخشبي.. تقوم في حطرات مشحوبة. تمد يدها إلى يد مال فتفتح الأحيرة عينيها الخاويتين.. تلتفت حولها وكأنها لا ترى شيئاً.. تعودها مريم إلى الباب في هدوء فتقاد مال دون أي وعي...

تمد السيدة حوشيار يدها الطويلة الأطمار إلى ذراع أسر. يطر إليها ثم يغمص عينه حانقاً.. تسحبه خلفها في قوة وهي تضحك..

- أحرراً يا صغيري أنت ملكي الآن.. لن يفذك أحد. لدي دم أمك ولا يقصني الآن إلا دمك انصبح أغلى دمية اقتينها..

- لا.. اتركيني... لا... ماما...!

تحملة تحت ذراعها وتعر باب الشقة، يرى أسر الباب يغلط، يخفي خلفه جسد أمه شيئاً فشيئاً..

يسير به حوشيار متعمدة أب يراها كل من في الشارع، تراها بثينة فتثبت عيناها على أسر في لا مبالاة، الروح الخشبي يعلو وجهها وهي تمسك بيد صغيرتها الدمية بدورها..

بحران على كل شخص في الشارع ليرمقهما بذات البطرة الثابتة، لا يرى ولا يسمع إلا ما تريده السيدة حوشيار أن يراه ويسمعه..

يصرح أسر فلا يصدر عنه صوت كأنما هو في كابرش، لن يسمعه أحد إذن..

اليوم يرى هالات الباس وقد تكشف أمامه، كل من كان يعرفه ويحبه يوماً صار دمية لهم، لا أحد يعا به ولا أحد يعا بشيء..

تعب السيدة حوشيار السور الحديدي المحيط بالمدرسة، تطأ بقدمها الكتب



القديم المتناثرة في الفناء القديم فتتهشم.. تسحق اللعب الكالحة اللون التي  
كان يلعب بها الأطفال هنا في زمن ما..  
تعبير به البرابة إلى حيث لم يعد أحد..

\*\*\*\*\*

تفتح رنا عينيها على عالم آخر، البرودة تسيل إلى جانب جسدها وهي ملقاة  
على الأرضية ذات اللونين الأبيض والأسود لا يحول بيهما إلا قطعة كبيرة  
من القماش الأسود..

تجلس مدعورة وتضم القماش على جسدها وشعرها.. تلتفت حولها فتجد  
مرمر على مسافة منها.. يجلس صامًا ركبتيه إلى صدره وقد استحال معظم  
جسده إلى جمر مشتعل..

- رمزي؟ ماذا حدث لي؟ أين نحن؟ هل أحجم مرة أخرى..

- لا يا رنا.. أنت حيث أوجد أبا.. كما حكى لك أسر..

- تعني.. تعني أنني لن أعود؟ تعني أنني قد رحلت وتركت لهم أبي؟

صمت رمزي وأخذ يش.. قامت رنا وصارت تجول في المكان وترفع رأسها  
إلى أعلى.. لا يوجد سقف ما ولا سماء.. فراع أبيض ممتد في الجهات الخمس  
بلا نهاية..

- أين أسر الآن؟

- أخذه غوشيار..

- أين؟ ولماذا؟ هل ستحيله دمية لخدمة أغراضها.. أغراضهم... لخدمة أي

أغراض لعينة؟ أنا لا أفهم شيئاً!

- متحيلة إلى دمية كما فعلت مع كل من نعرفه... مصيره كمصير باقي جيله والأجيال السابقة.. والقادمة..

- نعم؟ وهل المفروض سي أن أتركه؟ ما هذه السلية؟ لن أترك أبي لهم  
- لا تركيه إن استطعت!

أخذت رنا تحول في المكان متسعة العين غاضبة. كيف تعود؟ كيف تساعدته؟

- قل لي.. كيف يصنعون تلك الدمي؟

- لا أدري بالضبط.. كل ما أعرفه أنهم يحتاجون إلى بصع قطرات من دماء الأم والابن إذا كان الطفل ولداً، أم إن كان فتاة فيحتاجون إلى دماء الأب فقط..

- لأي غرض؟

- لحقن الدمين في رأس دمية خشبية يصنعونها، نوع من السحر أو شيء من هذا القبيل، يتحكمون في الناس من خلالها..

- وكيف حصلت المرأة على دمي؟ بعد أن فقدت الوعي؟

- لا بد أنك أعطيتها إياه بإرادتك ولكبك لا تذكرين..

- وأين يحتفظون بتلك الدمي..

- في صندوق ما.. لا أعرف مكانه تحديداً....

قتلع رمري كلامه وبدأ كأن النار تتأجج فيه أكثر. توهج الجمر في جسده

وأخذ الرماد في النثر من حوله..

- ما.. ما بك..

- روحي تفنى.. أريد أن أخبرك بكل ما أعرفه.. اجلسي اسمعي... آه ه  
... ه ه

~~~~~

تمر السيدة خوشيار في ممرات المدرسة.. يسمع أسر أصوات الأطفال تبعث  
من الحوائط.. تبدو لأول وهلة كأنها أصوات ضحكات (( أم بكاء؟ ))، ثم بدأ  
يتبين فيها كدمات متناثرة (( النجدة .. )) . (( لا نظه قادراً .. )).. (( كان هناك  
الكثير من قبل .. )).. (( ما اسمها؟ ... ))..

تدخل السيدة خوشيار المكتب وتغلق الباب.. تضع أسر على الكرسي وتذهب  
لإحضار سكينها . يسمع أسر الأصوات حوله من كل مكان.. يهمس من بين  
أسنانه..

- نعم.. أستطيع.. لا تخافوا...

((.. إنه يسمعها... )).. ((.. صبي أم فتاة .. فتاة أم صبي .. )) .

((.. لا تقاومها.. لا تدعها تشك... ))

نصيه الخيرة مما يسمع... هل تلك الأصوات معه أم ضده.. كيف تريد  
الأصوات أن يقدّها، وفي الوقت نفسه نصحه بالاستسلام؟!

تد السيدة خوشيار يدها بالسكين إلى أصبع أسر الذي تحيطه بكفها  
الأخرى..

يشعر أسر بالخدر.. هو فعلاً غير قادر على المقاومة..  
تأخذ السيدة خوشيار قطرات من دمه على طرف السكين، تمسحها في كرة  
خيوط الكتان ثم تهرع خارجة..

- لا تحاول الهرب.. لن تستطيع...

ينظر إليها أسر متحدياً..

- لن أهرب...

تقطب خوشيار حاجبيها ثم تكمل مسيرتها إلى حيث تصنع الدمية. ينتظر  
آسر قليلاً حتى يتأكد من ابتعاد وقع قدميها، ثم يقفز من على الكرسي واقفاً..  
يهمس وهو يتلفت حوله..

- أنا اسمعكم . ماذا تريدون أن أفعل؟

((.. اهرب...))....((حاول أن تجد مكاناً..)). (( لن تستطيع.. ))..

- أستطيع.. أستطيع! أين أنتم؟

تحتلط الأصوات بضحكات بعيدة جداً.. أصوات الأطفال يحتلط بعضها  
ببعض..

- حسناً.. سوف أبحث عنكم...

((.... إنها نهايته... المسكين...))...

وينطلق أسر خارجاً من الحجرة...

## إنقذنا..

مركب زين سيارة أحرة ثقله من المطار إلى موقف أوتوبيسات الإسكندرية القريب.. لم تستطع قدماءه أن يحملوه كي يسير من داخل المطار إلى الموقف، كان جسده يبصر بالغضب.. بالحق.. ((هل هربت رنا ثانية..)). إن حساب إنناس سيكون عسيرًا، عسيرًا لدرجة تحتاج التمرغ له.. فليجد أسر الآن وبعدها يستطيع التفكير في عتاب مناسب..

صوت صغير في عقفه يدع عليه بسؤال.. "أتراك قد ظلمت إنناس بفرضك الولد على حياتها؟" ((أتراك ظلمت رنا ٢)).

كان يعرف أن الولد غير طبيعي؛ لحكمه أرادها الله، استطاع زين أن يرى ما يراه أسر، هل الحكمة هي أن ينسحب العذر لإنناس فيما بعد إن لم تحتسبه؟!!

رنا أيضًا ترى تلك الأشياء.. ما تفسيرها؟ ماذا تعني؟ إن بعض الأمراض النفسية لها طبيعة التوارث، فإذا فرض أن أسر قد ورث مرضًا نفسيًا ما عن والدته، فكيف يصل هذا المرض إليه؟!!

لم يكن يؤمن بخوارق الطبيعة، كان دائمًا ما يسخر من الروايات التي تقرأها رنا.. يبدو أن تلك الروايات قد أعانتها بشكل كبير على التعامل مع الأمر.. ((يبدو أن رمزي أعانها بشكل كبير على تحمل الأمر.. لقد كانت وحيدة)).

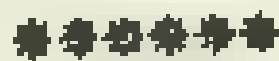
لن يترك الولد لربا.. ليثبت خيانتها قارباً ويطلب بحصانة الولد، هكذا  
مستريح من البحث عن الولد كل حين، لكنه لن يضبط على إناس أكثر من  
هذا.. إن أسر خطير فعلاً وربما أصري لي بشكل أكبر، لقد كاد أن يحرقها.  
لا بد أن هذا قد مثل ضغطاً هائلاً على إيس..

نزل من السيارة الأجرة وقد سبي فيها حقائبه، عاد مهرولاً واسترجعها ثم  
بيد متوترة أخرج النقود لقطع التذكرة، ما سقط من النقود على الأرض كان  
صعبي ما وصل إلى يد بائع التذاكر..

ركب الأوتوبيس وجلس وحيداً في آخر مقعد.. إنه الشتاء، ومن الصعب أن  
يحتلني الأوتوبيس بالركاب عن آخره حتى يقطع أحدهم خلوته..

أخرج هاتفه وطلب رقم رتا مرة أخرى.. لن ترد بالطبع، لا يوجد معنى آخر  
لعدم ردها إلا أنها قد قررت فعلاً الفرار بالولد.. ((لن تفكر لي أخذه منها ))..

التقى بالهاتف على المنضدة الصغيرة المعلقة في ظهر الكرسي أمامه.. تنهد  
وأخرج علبة سجائره.. التدخين ممروع في الحافلة، لكنه كان يبحث عن شجار  
ما يمرغ فيه العضب بداخله.. دع السائق يعترض وليأخذ نصيبه إذن..  
نفت الدخان وشرع يراقبه يتسلل خارجاً من فتحة تنقية الهواء في  
السقف...



## إنقذنا..

مركب زين سيارة أحرة ثقله من المطار إلى موقف أونوبيسات الإسكندرية القريب.. لم تستطع قدماء أن يحملوه كي يسير من داخل المطار إلى الموقف، كان حمده يعض بالفص.. بالقلق.. ((هل هربت رنا ثانية..)).. إن حساب إياس سيكون عسيراً، عسيراً لدرجة تحتاج التفرع له. فليجد أسر الآن وبعدها يستطیع التفكير في عقاب مناسب..

صوت صغير في عقله يلح عليه بسؤال.. "أتراك قد ظلمت إياس بفرضك الولد على حياتها؟.. ((أتراك ظلمت رنا.....؟))..

كان يعرف أن الولد غير طبيعي؛ الحكمة أرادها الله، استطاع زين أن يرى ما يراه أسر، هل الحكمة هي أن يلتصق العذر لإياس فيما بعد إن لم تحتله؟

رنا أيضاً ترى تلك الأشياء.. ما تفسيرها؟ ماذا تعني؟ إن بعض الأمراض النفسية لها طبيعة التوارث، فإذا مرض أن أسر قد ورث مرضاً نفسياً ما عن والدته، فكيف يصل هذا المرض إليه؟

لم يكن يؤمن بخوارق الطبيعة، كان دائماً ما يسخر من الروايات التي تقرأها رنا.. يبدو أن تلك الروايات قد أعانتها بشكل كبير على التعامل مع الأمر.. ((يبدو أن رمزي أعانتها بشكل كبير على تحمل الأمر.. لقد كانت وحيدة..)).

لن يترك الولد لربا.. ليثبت خيانتها قانوناً ويطالب بحصانه الولد، هكذا سيستريح من البحث عن الولد كل حين، لكنه لن يضغط على إناس أكثر من هذا. إن أسر خطير فعلاً وربما أضربني في بشكل أكبر، لقد كاد أن يحرقها لا بد أن هذا قد مثل ضغطاً هائلاً على إيس..

برل من السيارة الأجرة وقد نسي فيها حقائبه، عاد مهرولاً واسترجعها ثم بيد متوترة أخرج النقود لقطع التذكرة، ما سقط من النقود عنى الأرض كان ضعفي ما وصل إلى يد بائع التذاكر..

ركب الأوتوبس وحلّس وحيداً في آخر مقعد.. إنه الشتاء، ومن الصعب أن يمتلك الأوتوبس بالركاب عن آخره حتى يقطع أحدهم خلوته..

أخرج هاتفه وطلب رقم رنا مرة أخرى.. لن ترد بالطبع، لا يوجد معنى آخر لعدم ردها إلا أنها قد قررت فعلاً الفرار بالولد.. ((لن تغفر لي أخذه عنها..))

ألقي بالهاتف على المضدة الصغيرة المعلقة في ظهر الكرسي أمامه.. تهد وأخرج علبة سجائره.. التدخين ممنوع في الحافلة، لكنه كان يبحث عن شجار ما يفرغ فيه العصب بداخله.. دع السائق يعترض وليأخذ نصيبه إذن.. نفث الدخان وشرع يراقبه ينسلل خارجاً من فتحة تنقية الهواء في السقف...





يسير أسر في طرقات المدرسة.. ينظر إلى الأطفال من حوله.. ينظرون إليه ويبتون أبصارهم إلى وجهه.. تدور رؤوسهم فوق أعناقهم ليسير حشدهم إلى الأمام ورؤوسهم ما زالت ناظرة ورائها إلى أسر..

على مقعد طويل تجلس فتاة سمراء حريفة، تأكل بطريقة أوتوماتيكية.. تنظر إلى الجدار المقابل وكأنها تنظر خلاله.. يتدبذب حياها الشفاف فيتحول من الوجه الخشبي إلى وجهها الطبيعي، يشير حياها إليه وتتحرك شفتها في دعر ((...أنقذني...))..

كان يعرف الفتاة وإن لم يذكر متى رآها.. يمر أمامها فيتدبذب حياها مرة أخرى عائداً إلى طبيعته الخشبية..

كان يسير ويشعر أنه يدور في دوائر.. برغم ذلك فإنه لم يمر بذات الطالب مرتين.. مر أكثر من ثلث ساعة وهو ما زال يدور في الممرات نفسها. ((لن يصل.. لن يجدنا..)).. يشعر أن عدد الطلبة في هذه المدرسة غير طبيعي.. الطرقات مزدحمة بطلبة.. بيض، ودوي شعور ناعمة فاتحة كالشوام، قمحين حشني الشعر كالمصريين ودول المغرب العربي، سمر وذوي شعور ناعمة طويلة كسكان الخليج، ذوي ملامح أفرقية كسكان جنوب الوطن العربي... لهجات مختلفة إلا أنه يقيّمها جميعاً.. لم يدرك معنى تسرع كل تلك الأشكال إلا أنه شعر أنه من غير المعتاد تسرع كل تلك الأشكال في مكان واحد..

بعض ممرات المدرسة أبرد من بعضها.. بعضها شديد الإضاءة وبعضها خافت.. من بعض النوافذ ترى الأمطار، ومن بعضها جو خافت مترب..

((... سينتهي... لا بد أنها تصع الدمية...)) ((... لن تستطيع أن تصعها... إنها لا تعرف حقيقته...))..

((... إنها لا تعرف حقيقتها...))..

يقف أسر مستنداً إلى الحائط في إرهاق .. يلصق اده به عله يستمع إلى اصوات  
الأطفال البعيدة بشكل افضل ..

-ماذا افعل .. اين انتم ؟

((.. نحن سجناء صندوق الدمى ... ))

-اين هذا الصندوق ؟

(( لن نصل إليه .. )) .. (( سيساعده .. سيصل .. ))

زفر أسر وقد بدأ اليأس يتسلل إلى نفسه .. أخذ يحول بصره في الأطفال  
هالك .. عند المعطف، يراه جيداً ..

- يا صديقي .. أنا هنا !

التفت الطفل الغامض ونظر إلى أسر طويلاً، همّ أسر بأن يسير نحوه فبدأ الطفل  
العاصف في الجري .. . يجرى أسر بسرعة ليلحقه .. يشير إليه أن ينتظر ..

- هه .. هه .. انتظر .. أبطئ قليلاً ..

تزايد سرعة الطفل العاصف وتباعد المسافة بينه وبين أسر .. يريد أسر من سرعته  
حتى إنه يشعر بعضلاته الصغيرة تحترق ..

يتسارع الممر من حوله .. تسارع اللوحات وتبدو كأنها تدوب في لوحة  
واحدة طويلة ..

تبدو اللوحات المتلاحقة بهذه السرعة الكبيرة كأنها تظهر بوابة ضخمة  
منقوش عليها .. ((حصان مجع مقيد ... )) . يقش لم يتبينه أسر جيداً ..

تسهي البوابة لتظهر بعدها حجرة نحاسية البوابة .. يرمي الطفل العاصف  
جسده ناحيتها فتبلمه، يحذو أسر حذوه .. يشعر بدوار شديد وكأنه يسقط ..

يسمع أصوات الأطفال من حوله يتعد في سرعة.. تلاشي..  
((... لقد فعلها...)). ((... لكه لم يصل لل... ..))  
ويرتطم أسر بارضية رملية يحفها الظلام والصمت..

\*\*\*\*\*

مع آخر كلمات رمزي، تلاشي الرجل نهائياً مستحيلاً تلاً صغيراً من الرماد..  
لم تزل رنا تبكي وتعفر وجهها وكعبها في الرماد الساحر..

- رمزي.. رمزي.. أين دبت... كيف أنقذ ابني مما نحن فيه.. أسرنا  
نحري رنا في جثون في كل صوب.. تريد العودة.. إن أسرني حطر حقيقي..  
البشرية كلها في حطر لن تتصوره في أبشع كوايسها..  
تسقط رنا وتحاول أن تغمص عيها.. تحاول أن تنصل بأسر كما كانت تفعل  
من قبل...

- هيا.. هيا.. أسر.. اسمعني...

لا شيء...

لقد مات رمزي فعلياً الآن... تستطيع أن ترى بخيالها السيدة سكيئة تبكي  
وتلطم الخدود، يسما طيب ما يغطي وجه رمزي عملاء.. صغير طويل باك  
يشي يتوقف قلب شاب كل ما اقترقه هو أن عرف أكثر من اللازم..

كان رمزي سلياً مُحبطاً في كثير من الأحيان، إلا أنه قد ساعدها بقدر لن تنساه  
أهلاً ما حيت.. هذا إن عادت مرة أخرى..

تعرف أنها لن تعود، ولا يهمها ذلك كثيراً، كل ما يهمها هو ابها..

بحسب كلام رمزي واطلع عليه من أسرار في غيوبته، فإن حجرة صدوق  
الدمى تقع في بُعد آخر، لا يستطيع بشري ذو جسد مادي اختراقه، كما لا  
يستطيع شبح ذو جسد ميت اختراقه أيضاً.. على حسب ما تعرف، البشر على  
حالتين فقط؛ إما ميت، وإما حي (( أو ميت بـجسد حي؟ ... )).. هذا معناه  
ببساطة أنه لا أحد يستطيع الوصول إلى تلك الحجرة..

إذن فالطبل الغامض ميت فعلاً، لذلك فهو يحتاج المساعدة من أسر.. لكن  
أسر حي.. كيف يستطيع مساعدته إذن؟

فكرت رنا أنها هي المقصودة، إنها ميتة بشكل ما.. روحها وعقلها الواعي في  
هذا المكان العريب بينما جسدها حيث تركته.. بالطبع هي ليست ميتة، تعتقد  
أنها ستعرف الموت جيداً حين تراه.. لم يذكر أحد أن الموت هو الاثقال إلى  
الحياة في رقعة شطرنج لا نهائية.

هذا بالإضافة إلى أن رمزي قد مات فعلاً الآن، وتلاشى من هذا البعد.. إذن.  
ربما هي الوحيدة التي تستطيع إنقاذ العالم.. لكن كيف تعود؟  
كيف؟؟...

## سأعود..

فتح أسر عبيه فلم يصبر شيئاً إلا أرقام ساعته الفسفورية الصغيرة. لا.. لا.. لن  
توقف الساعة. كل ما في الأمر هي أنها تعود إلى الوراء، في سرعة جتوية  
يستحيل كعبه الوردية إلى لون شفاف لم يعد يصره..  
يرفع بصره ليجد باب ما يفتح.. تدخل السيدة خوشيار منه بشكلها الآدمي  
الطبيعي.. لا يبدو أنها تراه..  
تحمل تحت ذراعها طفلاً صغيراً يرتدي نظارة طبية ملونة.. تلقيه أرضاً فتسقط  
النظارة الصغيرة..  
يبدو على وجه الطفل التحدي.. لا يبدو أنه يخاف بأي شكل.. يقوم واقفاً  
مظنفاً ملابسه من الرمال التي التصفت بها..  
- لن تقيديني.. لن تستطعي...  
- لمست أول طفل لم أستطع تقييده، لذا أحصرتك إلى هذه الحجرة..  
أصاءت الحجرة بلون رمادي صعب.. من السقف يرى أسر حالاً متدلّية في  
آخر طرف كل منها طفل مربوط إليها من ساق واحدة، ما أثار دعر أسر هو أن  
رأس كل طفل مدفونة في الرمال..  
- أنت أدكى من رأيت يا لمن.. لديك قدرة غريبة على مقاومة القيود، إلا أن  
نهاية أي عقل مثل عقلك هو الدفن ها.. في الرمال..  
أشارت السيدة خوشيار بعصاها المعلقة بالشريط الأسود فصدر منها خيوط

دخانية شفافة أحاطت بالصبي..

كانت الخيوط تلوى حوله بعف وتحاول مقاومة حركاته المتملصة القوية،  
في هدوء جلست السيدة حوشيار أمامه على الأرض وعلى قمها ابتسامة  
ساخرة..

- لن تستطيعي تقيدي.. لن أحفظ ما عليه علي.. لن أفعل أشياء لا أفهمها..  
تحيط السيدة حوشيار على الأرضية الرملية في دقائق متناغمة وتتمتع ببعض  
عبارات أجنبية مسجوعة، تنمو من الأرضية الرملية دمية خشبية ترتدي  
نظارة ملونة صغيرة. تبدأ السيدة حوشيار في حياطة قم الدمية بإبرة ذهبية  
طويلة لها القدرة على احتراق الخشب كما تحترق السكين الزبد..

تتد الخيوط الدخانية إلى قدم، تدخل في الحبد الرقيق لشفتيه وتخرقها كأنها  
إبرة حياكة.. يعلق قمه تمامًا بحيطوط دخانية في عرر عميقة كبيرة تنزف دماء..  
- ممصففف... مم... ممفف...

ظل الصغير في محاولاته اليائسة للحديث، بينما تستمر السيدة حوشيار في  
ترايبها، تمسك قطعتي طين وتدس كل قطعة في إحدى أذني الدمية.  
تشكور الخيوط الدخانية على أذني اليمن الذي أخذ يهز رأسه بحمة وبسرة في  
حون.. تنقلب الخيوط على أديمه فيسكن تمامًا وعيناه متسعتان عن  
آخرهما..

يسحب الطفل الصغير على الأرض من قدمه بواسطة آخر خيط دخاني حر،  
يرتفع طرف الخيط السقف ويثبت هناك.. ما زالت رأس الصغير نائمة على  
الأرض..

تنزاح الرمال من حول رأس الصغير وتبتلعها تدريجيًا.. تظلم الصورة في  
عييه تمامًا.. رأسه مقلوب تحت مستوى الرمال إلا أن ما يحيط بها تحت  
مستوى العنق فراغ دامس..

يكبي، فتساقط الدموع مقلوبة من عينية إلى جبهته لتبلل شعره القصير..

يسمع صوت السيدة خوشيار ضعيفا مكررا.

- متعوت ببطء أيها الصغير.. سينحك أبوك الذي أورثك هذا الدكاء في حفرة مماثلة..

كان يحامد كي يصرح.. أنه مسدود لا يستطيع النقص حيذا.. ينقص بصوت عال وشيفات متقطعة.. يحتنق..

- لن تستطيع إنقاذه ولا إنقاذ أي من أصدقائك.. مساعدتك لهم لرفض قيودنا هي ما أودت بك إلى هنا.. ودعنا أيها الصغير..

تخرج السيدة خوشيار من الحجرة في كبرياء ويحتفي معها الصوء يسمع أسر صوت أيمر يرخ الحجرة في صوت قوى واثق..  
((..ساعود...))

~~~~~

يصل ريم إلى الشارع الهادئ الضيق، الشارع هادئ على غير عادته.. الناس صامتون ثقلوا الحركة يتبعونه بنظراتهم دون أن تبدر منهم أي أصوات.. يصعد درجات السلم، يقف أمام الباب وقلبه يخفق في أذنيه، يقرع الباب في دقائق قوية متتابعة..

- رنا، افتحي..

لا رد.. لا صوت...

يتصل ثابة برقمها، يسمع صوت الهاتف في الداخل يرن حتى يقطع الخط..

يتصل بحال.. عينا ريم مثبتان في مؤخرة رأس أمها تجعلها تمسك الهاتف،  
تنظر إليه في خواء ثم تتركه..

يدق جرس باب جارتها بثينة.. بعد عدة دقائق يكشف الباب عن وجه  
السيدة، يسألها عن رنا فتهمز رأسها مادية بلا تعبير، ومن حلقها تثبت بها  
الطاملة عينيها على رين.. تغلق بثينة الباب..

- ما هذا؟ ماذا جرى للناس هنا؟!

يطرق باب رنا مرة أخرى ثم يقرر كسر الباب.. آثار قدمه لكسر الباب تبدو  
على أخشابيه، لن يصمد طويلاً..

ابتعد زين إلى أبعد مسافة تسمح بها المساحة أمام الشقة ثم اندفع بهكتفه نحو  
الباب الذي استسلم من أول ضربة..

وعندما تمالك اندفاعه، وجد عند قدميه حسد رنا المافظ فاقد الوعي..

- رنا.. رنا..

شرع يصرب خديها دون حدود.. قام وبحث عن أسر وهو ينادي باسمه في  
حسب.. على مضدة الكمبيوتر وجد بعضاً من رسوم أسر التي تمثل أساساً  
مقيدين بخيوط شفافة.. مجسمات عديدة تمثل أشكال هرمية.. كتب تحدث  
عن الماسونية والمؤامرات..

تمت كل هذا أجندة صغيرة مهترنة، فتحها ليجدها مذكرات تكتبها رنا لابنتها  
آسر منذ أن كان علقه!

جلس على السرير وقد قرر أن يقلب في الصفحات إلا أن ما كتبه رنا قد  
امتصه بالكامل لمدة ساعة كاملة....





للمرة الثانية تُجرى السيدة حوشيار طقوسها على دمية آسر، الدمية هامة وكذلك الخيوط الكتابية..

تدور في الحجة لا تدري ما الخطأ.. ما المنبع في ذلك الصبي؟ لا يوجد بشري من بداية مشروعاتهم الضخم لم تتم صناعة دمية له، كل ما هانت أن هناك بشرًا ذوي دمي غير مستقرة، أولئك يمكنهم أن يتركوهم وشأنهم ليذمرهم مجتمعهم المقاد. الأبطال الذين يقاومون الدمى وهم بعد صغار يتم التخلص منهم ببساطة.. إن التخلص من طفل تحت أيديهم أسهل من التخلص من شخص بالغ، يحسون ذاكرة كل من عرف الطفل يومًا وبهذا يصبح كانه لم يكن..

شيء آخر.. التخلص من طفل، لا بد من صنع دمية ولو حتى دمية غير مستقرة له أولاً.. القتل بالطريقة العادية يحرق طاقات غضب في القيل ربما تسبب في الأذى لعالمها..

إذن ما الذي يمنع صنع دمية لهذا الطفل؟

تسندعي دمية مريم مرة أخرى وتصل رأس الدمية برأسها وتعيد مشاهدة ذاكرة رنا منذ البداية..

ثوان قليلة وبدأت الأمور في الانتضاح.. آسر ليس صبي داخليًا إنه فتاة!

ركلت الدمية بقدمها وشرعت تذرع الغرفة.. إن الصبي الآن طليق في المدرسة بلا رادع، بالطبع لن يظل في المكتب كدمية مطبوعة..

كيف تجد أبا آسر الآن وبسرعة؟ تعلم أنه سيأتي بشكل ما إلى رنا كي يسترد الطفل.. إذن فلتجعل كل الدمى المحيطة بمنزل رنا على استعداد للإبلاغ العين الكبرى إذا جاء زين..

رفعت ذراعها إلى أعلى ليظهر بينهما الشكل الهرمي متوسطه العين، وراحت  
ترنم..

\*\*\*

دق حرس الباب في شقة ربا فقام ربي لفتحه، أمام الباب طفلة صغيرة جميلة  
في عمر أسر تقريبًا تنظر له مبتسمة..

- عمر هل تبحث عن طوط ربا وآسر..

- هل تعرفين أين آسر؟

- نعم.. آسر في المدرسة..

وأشارت بيدها باتجاه المدرسة المحاورة للمزل..

- مدرسة؟ إلى الآن؟ الساعة السادسة يا بيتي..

حدثت الطفلة في وجهه ثم استدارت عائدة إلى شقة بثينة دون كلمة  
أخرى...

القي زين نظرة أخيرة على المذكرات بوجه يعتليه الوجوم.. نقل نظره إلى  
رما الساقطة على الأرض، احس بحملها وبضعها على السرير، أسدل عليها  
العطاء وقبلها في حبها. لأول مرة يعرف ما كان يدور في صدرها كل تلك  
الأعوام.. تمنى لو استطاع إلقاء نظرة كهذه على روحها في زمن سابق فل أن  
يحدث كل ما حدث..

همس في أذنها..

- سأعود يا بنتا..

أعلق الباب كيفما اتفق وهبط السلم وقد نيقس أن هاك شيئاً عامصاً يربط  
آسر بتلك المدرسة من البداية.. هذا الطفل العامص يجذب ابنه إلى هناك  
لعب ما..

عبر الشارع بحرص ثم أحد بنفحصى الرواية الصدئة. كان الباب موارباً  
بشكل غير ملحوظ، تلمت حوله فوجد المارة يظفرون إليه بلا تعبير.

دفع الباب ودخل.. آثار حذاء دي كعب عالٍ على الأرضية. لا يوجد أي  
آثار لأقدام سوانها..

عبر النساء الصغير وهو يتابع حركة الأرحوحة القديمة الصدئة.. ((ما الذي  
بحركها بالصبط؟)). بطة بلاستيكية صفراء مضطعة من منتصفها. (هناك من  
داسها بهذا..)).

وصل إلى الباب الخشبي المغلق، مد يده للمقبض مدار بسهولة وانفتح  
الباب..



المشكلة هي أن زين لم يدرس في مصر أبداً.. لا توجد دمية خاصة به في  
صندوقها.. لا تعلم إن كان سيتركها تدمسه كي يسقط في يدها ويعطيها دمه  
دون مقاومة..

لقت الدمية الصغيرة بقماش أحمر حريري ودستها في ملابسها كي تتخلص  
منها في حجرة الدفن تحت الرمال، يجب عليها صنع واحدة أخرى بعد أن  
تأخذ الدماء من زين..

وقفت أمام الباب الخلفي للمدرسة الخالية تنتظر القادم.

انفتح الباب في حذر وخطارين إلى الممر القصير.

- أهلاً وسهلاً.. كيف أخدمك؟

- إحم.. أبي في المدرسة، وقد أتيت كبر أحضبه إلى المنزل..

- تحت أمرك.. تفضل معي إلى المكتب ريثما أرسل في طلب الولد..

- متى ينتهي اليوم الدراسي هنا؟

- ينتهي.. الآن..

سارت السيدة خوشيار أمام زين حتى وصلا إلى المكتب. شعرين بأصوات

حافنة تصدر من الجدران.. أصوات أطفال ..

((.. لا.. لا تعطيها دملك...))

- هل قلت شيئاً يا سيدتي..؟

- لا.. هل سمعت شيئاً؟!

هز زين رأسه نائياً. جلس زين على الكرسي وهو يتلفت حوله.. كانت

السيدة خوشيار تقف حوله وتلمس سكبها..

- قلت لي.. ما اسم ابنك..

- آسر زين....

- ممم... لن تصدق! إنه طالب متميز.. ماذا تشرب ريثما أرسل في طلبه؟

- لا شيء.. أرجو أن تتعجلي قليلاً في الإرسال إليه..

جلست السيدة خوشيار على الكرسي المقابل لزين ثم نظرت إلى ساعة يده..

- آها.. ساعة فاخرة.. تيسو؟

- لا.. ووليكس.. أسر لو سمحت.. لديها موعد هام.

- معذرة.. هل لي أن أراها؟

ودون أن تنتظر الإجابة، مدت يدها إلى كف زين وهي تحرد سكينها باليد الأخرى...

\*\*\*\*\*

وقب الطفل العاصم أمس في الظلام وأمسك كفتي أسر بهكتنا يديه.. يسمع أسر كلمات الطفل حيناً ويحيب عنها دون أن تتحرك شفاههما أو يصدر أي صوت..

- كان من المفترض أن يختص الظلام تحت الرمال روحي ويحسها في بُعد موازٍ كما فعل مع الأطفال الذين سبقوني.. إلا أنني بساطة مُت قبل هذا.. لقد قتلتني حوشيار بهذه الطريقة وهي لا تعلم أنني مصاب بعيب خلقي في القلب، لم أشعل الضغط والوضع المقلوب.. فتشتي وحررت طاقة عاصية لا قبل لها بها..

كنت أشعر أنني بين الموت والحياة.. يختلط عضي بجريشات الرمال من حولي.. بالطاقة السوداء لأرواح الأطفال المقيين.. يصمت صراخهم آذاني الصماء من الأساس.. يستغيثون وأستغيث معهم.. رائحة الرمال المبتلة تتسلل من وسط شهقاتي الأخيرة الهمة للهواء.. أعوام صت وأنا لا أعلم أين أنا أو ماذا أفعل..

في يوم لا أعرف كم مضى عليه، فتحت عيني مرة أخرى في الظلام وصرت ما أنا عليه..

آسر.. حررتي.. حرر روحي..

- لا تقلق يا صديقي.. سأفعل.. لكن كيف..

-.. متعرف..

قطب الطفل الغامض ونظر إلى أعلى صعط على كف آسر ضغطة قوية وأعلنت  
أنه ضعيفة من آسر، شعر بدوار آخر ثم سطع الضوء في عيبيه.. فتح آسر عينيه  
بصعوبة فوجد نفسه في حجر من حجرات المدرسة ولم يجد الطفل الغامض..

~~~~~

بمراجع زين في كرسيه متعاديًا محوم السيدة حوشيار غير المتوقع، يسقط  
بالكرسي على ظهره ليحد المرأة واقعة راحة السكين كسيف مشهر، من  
خلف السيدة يرى زين الطفل الغامض يتحسد لأول مرة له في حضور السيدة  
خوشيار..

تلقت السيدة برأسها للحلف فتحد الطفل الغامض يتوهج بلون أحمر ماري  
ثم تصدر عنه موجة طاقة شديدة تدفع السيدة حوشيار نحو الجدار فوق رأس  
زين ثم تسقط فوقه تمامًا..

تغرز السكين في الشريان الخارجي لرأس زين الذي رفع كفه في الهواء ليدفع  
عن وجهه أثر السقطة.. للحظة يحمل زين في السكين المعروف في يده ثم  
يحيل بصره إلى الطفل المتوهج الواقف جواره.. يضغط على أسنانه ويحلم  
السكين فتتفجر من موضعه نافورة دماء تغرق ثيابه وثياب السيدة خوشيار..  
يظفر الطفل الغامض إلى موضع معين من ثوب السيدة حوشيار المضااض  
المزخرف في رصا ثم يحتفي تاركًا خلفه كومة رمال صغيرة..

يقوم زين دافعاً المرأة التي بدأت في الاعتراض بطريقة غريبة. تصور زين أن هناك شيئاً ما قد أصاب عمودها المعقري .

كانت الدماء تدفق من ذراعه في دفعات قوية، أطلق سبة وبحث حوله عن شيء يصلح لربط ذراعه فلم يجد إلا معرشة مفرغة مرقرة . ربط المفروش حول يده وشده جيداً بأسنانه، ثم ربط معرشة آخر فوقه بمنيل بالطريقة ذاتها فقل تدفق الدم إلى حد كبير..

من تحت ثياب السيدة خوشيار لمح زين شيئاً صغيراً معطى بالثياب يبدو وكأنه هو السبب في الرحمة التي أصابتها .

مد يده في حذر وأراح طرف العباءة فاكشفت له لفافة غارقة في دمانه يبدو وكأنها كانت حريرية حمراء..

في حذر وعيناه ماراً لمثبتين على المرأة الراقدة على وجهها، بدأ في فتح اللفافة التي لا تكف عن الارتجاف وكان ما بداخلها أرنب مذبح..

حدق النظر فيما يراه لثانيتين ثم ألقي اللفافة في دعر جعل قلبه يشب ويريد تدفق الدماء في جرحه..

على الأرض كانت دمية خشبية ذات شعر بني ناعم يغطي عينيها تنعص كأنها في نوبة صرعية، يساهم تنعص خشبها الدماء المحيطة به في جشع..

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ما هذا.. ما الذي تورط فيه..

تراجع زين إلى الباب وعيناه مثبتتان إلى الدمية.. بدت الدمية متصلة بحبوط كالتي يراها أسر وأمه.. وقفت مترنحة للحظات.. عيناها الكبيرتان تحدقان فيه.. يصدر منها صوتها مبتلاً لزجاً يستطيع أن يميز حروفه جيداً..

— بابا.....!





عم صمت مفاجئ، إلا من صوت تساقط قطرات ماء ((دموع )) مصطدمة بأرضية مبتلة ما لا تسير عليها.. ربما هي تحت الهواء الكثيف الذي تقف عليه..

- أنت.. تحدث.. ما الذي يحدث..

التفتت الرأس الذي لمستته إليها.. كانت فتاة صغيرة سقطت ساها الأماميتان اللبنيان ولن تمسولها أسنان دائمة بدلاً عنها أبداً..

- "أثر" قابل أكن.. الطفل الذي مات قل أن "يشع" مثلاً. يريد العمل أن يلقاه وينقذنا..

- كيف يا صغيرتي؟

- بأن يدمر الصندوق الذي يحتوي الدمى التي يتحكمون بها في الأطفال الأحياء..

- وإذا دمره، هل سنعودون أحياء مرة أخرى؟

صمت الطفلة الصغيرة وأغمصت عيها فتساقطت الدموع على جبهتها وشعرها. فتحت رأس أخرى عيها هاسمة..

- سيتحرر الأطفال الأحياء. وسموت نحن ميتة حقيقية. سنحرر من عذابنا هذا..

مسحت رنا عيها وأطرقت إلى الأرض.. ما دنس كل أولئك الأطفال؟ ما هذا الوحش القادر على تعذيب أرواح بهذه البراعة؟

- وكيف أساعدكم؟

- ربما إن حررتي أجسادنا المعلقة لا نعرف تحديدًا.. لكن لا بد من التخلص من الصندوق..

- و.. وآسر؟

- لن نستطيع إيذاءه.. آسر فتاة في الأصل وسحرها يعمل على أساس أنه صبي! في الظلام انبعث من أحد الأطفال نور صافٍ جذب نظر رنا.. توجهت

إليها وهي تحاول أن تذكر أين رأت هذا الوجه المألوف.. لم تذكر أنه الطفل العامض حتى وصلت إليه وكادت أن تلتصق أنفها بأنفه..

- أنت؟ هل أنت الطفل الذي مات؟

لم ينكلم الطفل إلا أنها سمعت صوته وأصغى في ذهنها..

- نعم.. ایمن.. انقذنی یا.. یا امی..

194-

امسکت وجهہ البارد ہکتا کھیہا وبکت..

- عیسیٰ.. سائیک.. لیکن میں آسر؟

—آسر؟ المرأة الشريرة قتله..

أولت من رنا صرخة ثم هوت إلى الأرض.. غطت وجهها بكُميها وظلت تردد كلمات غير مفهومة..

- مات؟؟ من؟.. قتله؟... ایسی ... لا.... لاۛۛ

— أمي.. يمكنك أن تغذيني حتى لا يضع دم أسر هدرًا.. يمكنك أن تغذي الجميعًا وستكون معك دومًا.. أطفالاً خالدين كما تحلم أي أم..

— (است) ... !

اتصفت عباها وقامت مترنحة لمراحمته..

— الاستعاض عن ابني بكم؟! لى يعرضني اطفال العالم عن اصبع ابى..

احترطت في بكاء طويل اختلط مع ضوضاء الأطفال المتناثرة.. رفعت عينها لتجد أيس ما زال محبباً فيها.. جرت نحوه ووقفت على أطراف أصبعها ودفنت رأسه في صدرها..

- سائنار لایہی .. سائنار لکم .. سائقدکم .. قل لی ماذا افعل ..

ثبت العمل العارض عليه في عينها وحسن.

— حرري جملدي..



شعر أسر وكأن آلاف الرماح تعرض في جسده الصغير أخذ يدور حول نفسه في الممر ويخبط بجسده الجدران.. تراقص الأنوار ثم تنفجر المصابيح واحدًا تلو الآخر..

يسقط أسر والدماء تنزف من أمه.. يهتز جسده الصغير وتتكون حوله حالة مشابهة له تمامًا.. أسر آخر شفاف مضيء ينسلخ من الجسد الذي همد أحيانًا.

يقوم طيف أسر متفتنًا حوله.. ينظر إلى جسده الملقى على الأرض ثم يقارنه بجسده الجديد الشفاف الذي يشبه إلى حد كبير جسد الطفل العامض.

يخطو أسر إلى الأمام خطوة واحدة فتقله الخطوة إلى آخر الممر بسرعة خرافية.. شعر بذعر محتزج بلذة استكشاف جديدة.. راح يجري بسرعة الخرافية في ممرات المدرسة الخالية. تدمع اللوحات بتأثير السرعة كلما زاد سرعته.. مجموعة من اللوحات صارت مثل بوابة كبيرة مقوش عليها حصان مجح مجيد إلى مثلث ضخم..

كلما راد أسر من سرعة دورانه في الممرات، كان شكل الباب أوضح.. في المرة التاسعة استطاع أن يرى الباب مواربًا.. استجمع شجاعته وألقى بنفسه إلى داخل الحجرة...

\*\*\*\*\*

.. أما ميت أو حي ((... أو ميت بجسد حي؟..))

\*\*\*\*\*

تقدمت الدمية بضع خطوات ثم نظرت إلى زين همست "بانا" مرة أخرى ثم سقطت أرضاً..

- إنها تعمل.. الدمية تعمل!

رحمت السيدة خورشيد التي كانت ترقب الموقف وهي ساقطة واستعصبت الدمية وهمت بالهرب إلى حارح الحجرة.. إنها فرصتها كي تبحث عن أمر ثم تتخلص منه عن طرق الدمية في الحجرة الرملية..

كرد فعل وبلا تفكير، حاول زين أن يأخذ الدمية معها في ركضه المرأة في معدته وسارعت بالحري في الممرات الملتوية للمدرسة.. جرى زين حلقياً يتدبر ما تسمح له عظمة فخذه ذات الإصابة القديمة مع الركلة التي تنقذها الآن..

كان يسب ويحاول اللحاق بثوب المرأة المتطاير.. يسقط أرضاً ثم يحاول الوقوف ثانية.. تقف السيدة خورشيد على بعد عشرة أمتار منه وهي تشير بيدها إلى الحائط وتحنم بكلمات لائية سريعة.. تسدد لزين نظرات قلقة بين كلمة وأخرى..

يقوم زين راكضاً على أربع، تدخل بسرعة في فتحة في الحائط، يقفز زين فوق المرأة فيسقطا معاً إلى الداخل..

## خدعة صغيرة..

لم ير أسر من قبل صندوقًا حشيشًا بهذا الحجم . ولا قاعة بهذا الاتساع من قبل  
إلا في أحلامه.. إذن هذا هو صندوق الدمى..

من مكان ما يسمع موسيقى طفولية مما يصدر عن لعب الأطفال ذات الصندوق  
الموسيقي المعدني.. موسيقى عذبة إلا أنها بعثت القشعريرة في نفسه..

حاول أسر تسبق الصندوق لكنه ظل متشبثًا بحافته غير قادر على فتحه..

سمع صوت السيدة خوشيار يأتي من حارج البوابة ثم سمع أصواتًا معدنية  
فحري ووقف خلف الصندوق الصغير.. انفتح الباب وسقطت من فتحته  
أبوه والسيدة خوشيار التي قامت من سقطتها في سرعة واعتصرت ذراع رين  
المصابة فصرح الأخير وتدفقت دماؤه مرة ثانية..

شعر زين بدوار شديد، جاهد كي يفتح عينيه لكن الصورة من حوله بدت  
مشوشة ضبابية.. صوت الموسيقى يسحبه إلى عالم الأحلام..

وقفت السيدة خوشيار أمام الصندوق وألقت بالكلمات المناسبة لفتحته..  
أخذ أسر يراقبها في ذهول..

ارتفعت المرأة إلى أعلى الصندوق وأمرت بعض الدمى أن يحشوا لها عن أسر

بسرعة وياتوا به إلى حجرة ثرمال..

هبطت السيدة خوشيار وألقت بطرة على رين.. كان غائبًا عن الوعي ما زال  
يرف ببطء.. حطت من فوقه وعبرت الباب حاملة دمية آسر ومن خلفها عشر  
دمى مترحة الخطوات، يديرون أبصارهم في كل صوب بحثًا عن آسر.

\*\*\*\*\*

لم نعلم رنا كيف أطلبت الدنيا ولا كيف فتحت عينها لتجد نفسها تحديق في  
سقف حجرتها..

قامت متثاقلة وهي تحاول استيعاب ما حدث لها.. كيف عادت؟ وهل  
ساعدها الطفل العامض في العودة؟

تذكرت شيئًا واحدًا بوضوح.. النار.. حرت مستدة إلى الحرنط ثم هبطت  
سلم دارها.. حرت في الشارع كالجمونة، عبرت البوابة الحديدية المنزوعة  
للمدرسة واحترقت الباب الحشيشي القديم.. الطلام يعم الطرقات.. تنلمت  
حولها.. كيف تجد الحجرة التي دس فيها الطفل العامض؟

في آخر الممر يظهر الطفل العامض المتوهج باللون الأحمر.. تسير وراءه  
مهتدية بالضوء المنبعث منه..

من الجهة الأخرى للمرات كانت السيدة خوشيار والدمى العشر تحمل وراءها  
جسد آسر المرتخي..

توقف الطفل العامض فجأة وأشار إلى رنا بالتوقف.. وقفت ونظرت إلى  
نهاية الممر المقابل، غطت فمها بكمها لتكتم شهقة خرجت منها.. التصق بها  
الطفل العامض فانفضت وغطت كفيها..

لم تصور قط أن ترى أسر ميتا . بل وبهذا الشكل . ماذا تريد هذه المرأة منه؟  
هل ستمثل بجثته البرينة؟

اندفعت رنا صارحة نحر السيدة حوشيار فظرت إليها الأخيرة نظرة متعحلة  
ثم خطت إلى داخل الحجيرة الرملية..

وقفت رنا أمام الخائط المعق المردان باللوحات . تتحسس الجدار بكتفيها .  
تادي على أسها . تركز الجدار فتألم وتركع على الأرض أمام الجدار .

— ارحميني يا سيدة حوشيار.. أرجوك.. لقد مات.. أترك لي جسده .  
أقسم أنني لن أتفوه بحرف سأحده وأرحل..

تتخلر رنا بصع ثوان فلا تجد إجابة فقط هدوء مستمر.

— أنت يا (.....) . عليك اللعبة! سوف أهدم المدرسة على رأسك..  
سأهدم العالم فوق رؤوسكم يا تبطين.. أنا أعرف من أتم.. حاولتم تدميري  
وفشلتم.. أرجعي لي ابني..!

ما زال الصمت مطبقا . كان الصبي القامص يقوم بشيء غريب.. كان يجري  
في ممرات ويلف من أمام رنا بسرعة حارقة.. عشرات المرات في الثانية، ثم  
وجدت رنا يد الطفل تمتد وتغذيها معه إلى بعد آخر..



خرج أسر من خلف الصندوق وهرع إلى أبيه الساقط على الأرض.. أخذ  
يهزه بقوة إلا أن يده كانت تمر حلاله فقط، أخذ يصرخ فيه حتى فتح عينيه في  
إرهاق..

- أبي .. أبي.

- آسر؟ ماذا حدث لك؟ هل أنت ....؟

- أظن أنني ميت يا أبي .. لا أدري .. تركت جسدي في مكان ما بالمدرسة ..  
هكذا استطلعت العور إلى هنا، لكسي لا أعرف كيف أدمر هذا الصندوق  
قام زين جالساً وهو يحك رأسه ..

- لا أصدق .. إنه كابوس .. ما الذي حدث كمي ...

- أبي .. هل صنعت لي السيدة حوشيار دمية؟

- نعم .. كانت معها في طيات ملابسها .. إلا أن الحياة قد دبت فيها حين  
جرححت وتشربت الدمية دمي .. تحركت بضع خطوات ثم سقطت ..  
قطب آسر جبينه وحاول التركيز .. هناك ما يجمع بين كل تلك النقاط .. دمه ..  
دم أمه .. دم زين ...

- يبدو أن الدمية لا بد أن تحق بدمين فقط .. أعتقد أن دمك هو ما فعل شيئاً  
ما للدمية ..

- دمي هو الذي قتلك؟!

- هي من قتلتني يا أبي .. أنا أحبك فعلاً .. أمني لو عشت أنا وأنت وأمي  
معاً ..

- ما كان ليحدث كل ذلك يا بني ..

أخذ آسر يدير عينيه بين جرح أبيه والصندوق المفتوح المكتظ بالدمى ..

- أبي ..

نظر زين إلى عيني أبيه الذكيتين وقد فهم ما أراده ..



قام رين متحاملًا على نفسه وتسحق الصدوق، مَدَّ ذراعَه فوقَه وفكَّ الأربطة..  
كتم ألمه وهو يفتح الجرح مرة أخرى ليعود تدفق الدماء ويغرق الصدوق ..

- أبي.. لم أكن اتصد ذلك .. كنت أفكر في القليل من الدماء المتساقطة على الأرض..

- القليل أو الكثير.. دعنا ننتهي من هذا العمل القذر الآن وللأبد..

- أبي!

تمسك رين بحافة الصدوق لبضع دقائق ثم سقط فاقدًا الوعي .. تعلعت الدماء إلى الدمي الصغيرة المتراصة.. كانت كل قطرة دماء تلمس أي جسد خشبي تجعله يمتص بقوة ثم يهمد تمامًا.. تعالى الصراخ الحاد الربيع من الصدوق وفي عدة دول تساقط الأطفال بلا سبب.. لم ير أحد الأطباء التي خرجت منهم داهلة لا تعرف ما الذي حدث لها.. تعالت الصراخات من كل شارع وكل منزل..

طن الناس أنه وباء ما زال من أطفالهم، لم يكونوا يعرفوا أن ذلك هو نهاية الوباء..

\*\*\*\*\*

سقطت رنا مع الطفل العامض في الظلام أمام السيدة خوشيار مباشرة. على ضوء خافت يأتي من السيدة خوشيار رأت رنا جسد أسر المسحجي أمامها ومن حوله تقف الدمي العشر بخيوطها الفضية المتطايرة..

- أنت..! كيف دخلت إلى هنا؟! ما الذي يحدث اليوم..

تقدم الطفل الغامض ليقف أمام رنا..

- آها . أنت ما حدث اليوم.. أنت من كنت تخمبها طيلة هذه الفترة؟ لم احزنر أمر بالذات هه؟ لأنه حتى؟ ظلت أنت ستخدعي بهذا الشكل ولن أستطع عمل دمية له؟ أنت محطني يا عزيزي . ها هي دميته!

اندفعت رنا بحرها إلا أنها شعرت بعشرة أرواح من الأسواط تلمع جسدها وتنفقها بعيدا.. كانت الدمى العشر تقف حاجبة خلفها السيدة خوشيار.. دمي لا يتعدى الواحد منها . ٤ سم إلا أنها تستخدم خيوطها المضية كأسواط لاسعة كأسواط فتدبل البحر.

نكومت رنا في الركن فهرع إليها الطفل الغامض وأشار إلى جسد معين من الأجساد المقلوبة..

تساءلت رنا من بين أسانها..

- أهذا جسدك؟

أوما الطفل إيجابا.. تسلمت رنا ببطء وهي ملتصقة بالحدار، تزف الدماء من جروح جسدها الطولية..

كانت السيدة خوشيار تتمتم بتعاويز وتعمل إبرتها الطويلة على دمى الدمى إلا أن جسد أسر لم يبد عليه أي تأثير . همست السيدة خوشيار في عل..

- أي شيطان هذا؟! الجسد ما زال حيا، لم فقد ارتباطه بالدمية إذن؟! لقد تحركت الدمى اللعينة من قبل!!

كانت رنا عاكمة على الحفر حول رأس جثة الطفل الغامض.. كانت الجثة جافة كأنها محطمة.. ترنح رنا من هول التفكير فيما فعله لكها تحامل على نفسها وتسنر. لا ترى أمامها إلا الثار..

ما إن حررت رنا الرأس الصغيرة المحاطة القم المسدودة الأذنين، حتى اندفع  
الطفل الغامض نحوها وغاص فيها.. أضواء الجسد بشدة وتلوي قاطعاً ما  
يربطه إلى السقف..

التفت السيدة خوشيار في عدم تصديق لكل تلك الأحداث التي تهاال على  
رأسها اليوم..

الطفل الغامض قد عادت روحه إلى جسده الميت.. يتحرك متخشباً في  
جسده الجاف المشوه.. من فتحات جلده المشق تبت أسواط من نار تدور  
من حوله.. يمد يده في الهواء فيمسك بحبوط الدمى العشر، تقف السيدة  
خوشيار أمامه في ذهول.. لقد عاد..

تقدم رنا من الطفل الغامض وهي ترتجف من مظهره.. تحاول أن تمد يدها إليه  
فيضربها سوط نارى تطير على أثره مترين إلى الخلف..

— لماذا يا بني؟ ماذا فعلت لك؟

— يا بلهاء.. أنت أعدت له للحياة! هذا ما فعلته..!

تستدير الدمى العشر التي تبدلت إلى الهيئة النارية إلى السيدة خوشيار.. تراجع  
المرأة وفي عينيها نظرة خبت واضحة..

— لن تصدق!.. لن تستطيع تدمري!

ترفع السيدة خوشيار ذراعيها إلى الأعلى لتظهر علامة المثلث والعين.. ينبعث  
من المثلث حبوط دخانية مترهجة إلا أنها سرعان ما تطفئ في إشارة لم تعدها  
السيدة خوشيار من قبل..

— جيشك لن يأت.. يبدو أن أسر قد حرر الدمى كما وعدا

تتهض رنا مهرولة نحو حشد ابها.. ما زال يبص بالحياة..

- آسر حي! لم كذبت علي اذن؟!

- ما كنت لتحريري اذا علمت ان آسر حي لن تفكري في الانتقام إلا بهذه الطريقة..

يرفع الطفل العامض أحد أسواطه ويهوي به إلى حيث كانت رنا وحشد آسر وقد تدهرجت معه بعيداً عن موضع سقوط السوط..

تصفق السيدة خوشيار كفيها معاً فيهار السقف حائلاً بينها وبين الطفل الغامض وجيشه الصغير..

تباعاً تبدأ حوائط المدرسة في التصدع بينما تسير السيدة خوشيار في ممراتها بسرعة وثقة . تعلم أنها ستخرج من هنا..

تضم رنا آسر إلى صدرها وتهزول خارحة . لا تدري إلى أي اتجاه تسير، وهي الاتجاه المعاكس بحرح الطفل العامض الناري وحلمه العشرة دمي، يصرون بسياطهم ما حولهم ويهدمون الحوائط، بينما فاندتهم مسحوظ في الضحك الهستيرى..

لقد عاد أخيراً.. وسيرد..

## وجها لوجه..

كانت جذران حجرة الدمى تنصدع وتساقط الأحجار حول جسد رين..  
يحاول أسر أن يجرّ والده إلى مكان آمن إلا أنه لا يستطيع الإمساك به بهذا  
الجسد الشفاف.. ركم فوق جسده ومنه انبعثت هالة صونية حوتيهما معاً،  
ردت عنهما تساقط الحجار حتى غدت الحجرة بلا جذران تقريباً يحوطها  
أروقة المدرمة المشابهة..

خرج أسر إلى الممرات باحثاً عن عون، باحثاً جسده، باحثاً عن شيء لا يعرف  
كنهه تحديداً..

كان يشعر بالطمأينة كونه ما زال قادراً على استخدام هاتهِ الحامية، سوف  
يساعد من يحتاج المساعدة إذن..

دقائق حتى سمع أسر أصوات ضحكات مجنونة تلاها المشهد المرعب للطفل  
العامض وقد استحال جحيماً متحركاً..

لم تُدمّر الدمى التي حوّلها إلى قيادته، أصبحا مسوخاً اعنف وأقوى..

من خلف أسر شعر بصوت يألّفه جيداً يتادي عليه..

— أسر؟ هل هذا أنت يا بني؟!

— ماما؟

— لقد عدت يا حبيبي من أحلك.. تعال، اترك العالم ليذهب إلى حيث ألفت،  
وعُدْ إلى جسدك.. إنه ما زال حيًا..

— أمي.. إن صديقي أصبح شريرًا.. لا أستم كيف يصح صديقي شريرًا.. لا  
أنهم..

— حبيبي.. هناك الكثير لتتعلمه في الحياة.. لا طاقة لك به الآن..

— أبي.. أبي في حجرة الدمي.. اتركي جسدي ها واذهي لتُحضريه.

— بل أنت عد إلى جسدك الآن ولذهب لتُحضره معًا.

ضحك الطفل الناري وأشار إلى رنا، امتدَّ على أثر إشارته الأسواط النارية على  
طولها تجاه رنا عابرة جسد أسر الشفاف..

— أمي!

طارت رنا في الهواء مرة أخرى وقد تهشمت عظامها.. رقدت بلا حراك  
محرقة نازفة..

من خلف الطفل الناري وقفت السيدة حوشيار تراقب كل ما يحدث في  
رضا.. دقائق ثم التفتت خارجة من المدرسة في هدوء..

تعرف أنها ستعود، مؤامرة منات الأعوام لن تقى حتى وإن فنت هي ذاتها..  
وذاكرة البشر ضعيفة، سينسون سريعًا ويعودوا ليتبعوها مرة أخرى في زمن  
آخر وبطريقة أخرى..

اقترب أسر من الطفل الناري في تحدٍّ، تلاصقت جبهاتهما.. الأول في حزن،  
والثاني في نشوة وتحدي..

فتحت رنا عينيها بصعوبة لتجد زين يجذبها هي وجسد أسر، يجزّهما جرّاً  
إلى خارج المدرسة التي غدت كومة أنقاض مكشوفة بتوسطها صندوق الدمى  
الضخم..

- زين.. ابني..

- اهتأ.. دعيه لما خلق من أجله.. لقد فات الوقت..

- لكن جسده ما زال حيّاً..

تجمعت الدموع في عيني زين وضم أسر ورتا إلى صدره، ثم غاب عن الوعي  
مرة أخرى خلف السور المهدم الذي يحتمون فيه..

مد أسر كفيه الصغيرين ليضعهما على كتفي الصبي الناري..

- آسف.. لقد كنت صديقي الوحيد، لكنك صرت الآن مثلهم..

ابتعد الطفل الغامض إلى الوراء خطوة ثم ابتسم ساخراً..

- أنا لست مثلهم.. أنا أفضل منهم..

- إذن.. أرني كيف تستطيع أن تنال مني..

هرول أسر في اتجاه صندوق الدمى ومن خلفه تتقاذف الستة اللهب فتفجر  
الأرض من تحت قدميه..

يتسلق أسر صندوق الدمى، ثم يتشبث جيداً بهافته.. يلقي نظرة أخيرة على  
الدمى الراقدة المبقعة بالدماء..

- لن تنال مني..

ضحك الطفل الناري ضحكة شيطانية طويلة ثم أردد..

— سأنال من الجميع ..

وتفجرت من الطفل الغامض واتباعه موجة نارية عارمة بانجاء أسر الذي بدأ في احتواء المدرسة كلها بما فيها الطفل الناري داخل هالته الحامية ..

انبثقت الدماء الشفافة المفضية من عيني وأنف وأذني أسر بينما تحول الصندوق بما فيه إلى شظايا ..

احتوت الهالة الانفجار العتيف حتى تلاشت من قوته .. وبدأ الناس في التجمع حول السنة النيران والدخان الكثيف ..

يقول من رأى الانفجار إنه سمع ضحكات طفولية تنطلق وتدوي مغطية على صوت الانفجار .. يقول البعض إنه رأى أطيافاً تخرج من النيران وتختفي .. بعد عدة ساعات من إخماد الحريق، النفّ الناس حول أطلال المدرسة التي وقف أمامها رجل وامرأة وجثتا طفلين ..

لم يعلم أحد صلتهم بالانفجار ولم يرهم أحد مرة أخرى ..

لم يذكر أحد شيئاً عن فقدان أطفالهم للوعي، شعر الجميع بنشوش في ذكرياتهم عن لحظات بعينها ..

مرت أيام وانشغل الناس ولم يعد أحد يذكر الحادث، إن ذاكرة البشر ضعيفة كما نعلم، لهذا السبب وحده بعيد التاريخ نفسه مراراً ولا يذكر أحد أنه مرّ بذات الأحداث من قبل، وسيظل التاريخ يعيد أحداثه، إلى أن يأتي زمن يسود فيه ذوي العقول ..

\*\*\*\*\*



تعقيباً..

رغم مرور خمس وخمسين عاماً، مازالت رنا تعيش في تلك المصححة، لا  
تشكلم، لا تتواصل مع أي شخص..

يقول من يشرفون عليها إنها أحياناً تمتص بكلمات، وأحياناً تبكي، وكثيراً ما  
تضحك وتدير عينيها حولها..

تخيط برنا الستائر البيضاء والورود المتناهية الصغر التي يسمونها نفْس الطفل..  
وبجانبها كيس يحوي كرات ملونة حال لونها، ومكعبات قديمة..

ويجلس بجانبها على السرير طفل ذو شعر بني طويل، يشبه الملائكة في  
اللوحات الكلاسيكية.. لقد وعدما هذا الطفل أن يكون معها دوماً، ورغم  
كونه طفلاً، إلا أنه لم يحدث بوعدة قط..

لا يرى أحد هذا الطفل إلا رنا، ولا يرى أحد عشرات الأطفال الذين يحيطون  
بها دوماً..

لقد دُمر صندوق دمي واحد على يد هذا الصبي، وقد تحررت منه أطفال يعيشون  
خارج المصححة ويراهم الجميع، وأطفال داخل المصححة، يحيطون بامرأة كانت  
كل أمنياتها في الحياة أن تكون أمّاً لطفل واحد، ففدت أمّاً لعشرات..

وحين أغمضت رنا عينيها لآخر مرة، كانت الانسامة تغطي وجهها الطفولي  
المجعد..

## د. محمد المخزنجي

عن روايتها الأولى "نيكروفيلا"

شيرين هنالي تصلح المجتمع بالروايات، وتميزت في روايتها الأولى

"نيكروفيلا" بقدرتها على مزج الرؤية الفلسفية بالحقائق العلمية..

جريدة السياسة الكويتية

## صندوق الدَّمْعِ

مؤامرة مئات الأعوام لن تفنى حتى وإن فُتت هي ذلتها..

وذاكرة البشر ضعيفة، سينسون سريعاً ويعودوا ليتبعوها مرة أخرى

في زمن آخر وبطريقة أخرى..



شيرين احمد هنالي، مصرية من مواليد القاهرة ١٩٨٢، تخرجت في

كلية الفنون الجميلة عام ٢٠٠٤ قسم الجرافيك والرسوم المتحركة،

تعمل مخرجة رسوم متحركة، كاتبة سيناريو، مصممة إعلانات

ومترجمة. نشر لها رواية "نيكروفيلا" عام ٢٠١١.



نشر وهنالي